

هكذا غنى

طاغور

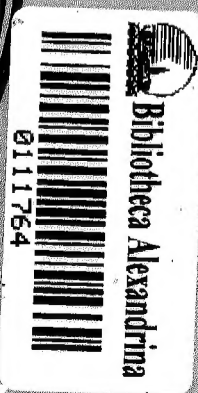


ترجمة

خليفة محمد التليسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

دار العربية للكتاب
ليبيا - تونس



هكذا ختم طاعن

فكلا غمّي طاع غور



ترجمة،
خليفة محمد التليسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية

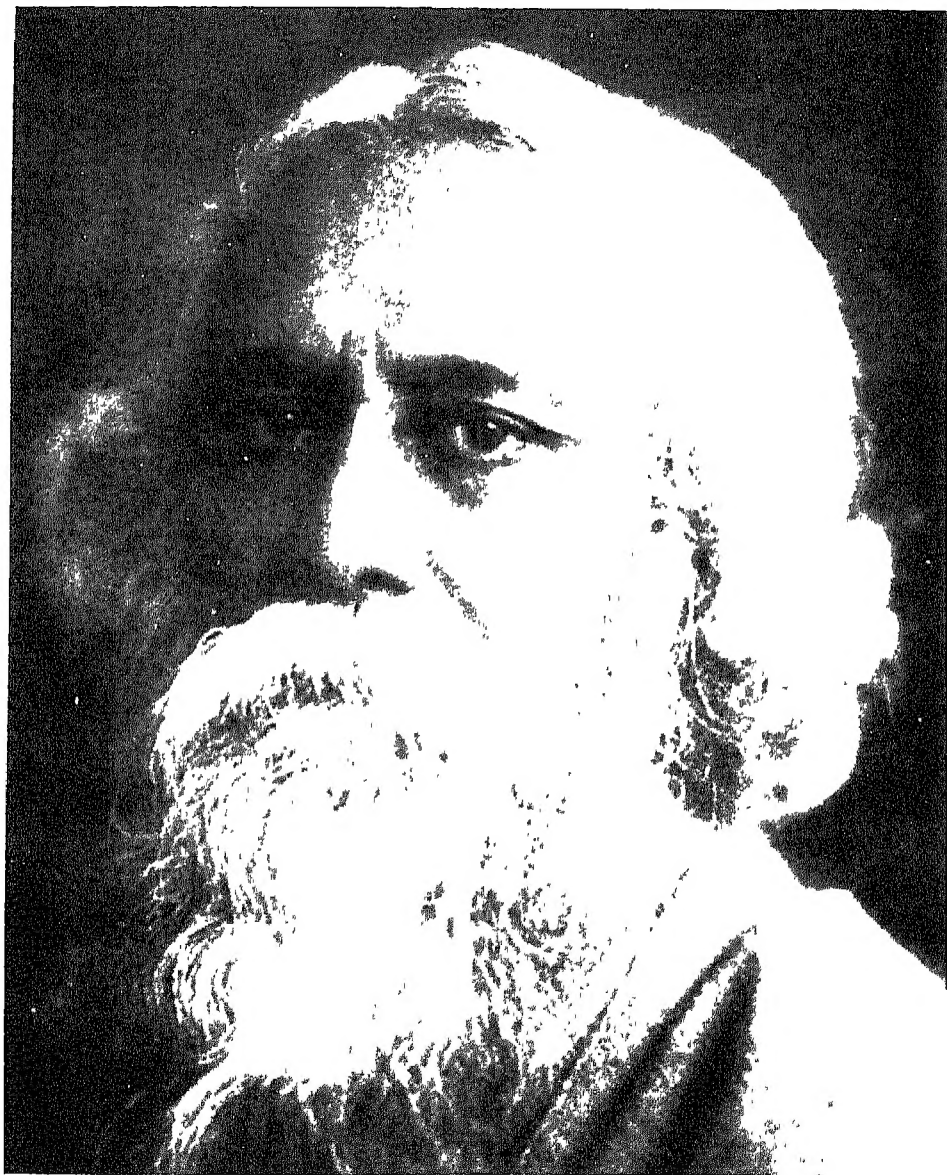
89/673

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جميع الحقوق محفوظة دار العربية للكتاب

1989

جُویَا لیا کِساؤِ زِي
Gioia Lia Chiauzzi



طاغور هذا الشاعر العظيم

بمقامه ، خليفة محمد التليسي

كان طاغور محظوظا في بيئته الأسرية التي وفرت له ، وفي وقت مبكر فرص اللقاء بأرفع صور الثقافة والفن والأدب .

وكان محظوظا أيضا فيما نعمت به هذه الأسرة من بسطة في الرزق ورفعة في المركز الاجتماعي مما رد عنه ظروف المشقة والعناء في التحصيل والتكوين .

وكان محظوظا فيما أعدت له الأسرة من مربين ومعلمين خاصين حين رفضت طبيعته ونوازعه الحرة الخضوع لبرامج ومناهج التعليم النظامي .

وكان محظوظا أيضا في هذا التبجيل الذي خص به ، ورافق حياته كلها على المستوى الوطني والعالمي وانتهى به في نهاية المطاف إلى الظفر بجائزة نوبل للأدب بعد سنة واحدة من نشره لمجموعته الشعرية جتنجالي . وكان أول شاعر شرقي يظفر بها .

وكان محظوظا في أن معرفته باللغة الإنجليزية قد هيأت له سبيل الكتابة فيها مباشرة . أو ترجمة أعماله بنفسه أو الإشراف عليها شخصيا مما جعل هذه الترجمات أصدق مطابقة للأصل ، وجلبت لصاحبها تلك المكانة العالمية التي جعلت منه أحد الرموز الكبرى في الأدب العالمي الحديث .

وكان طاغور محظوظا - قبل هذا وذاك - بما تميزت به شخصيته من مشاعر الوداعة والقداسة والطمأنينة والهدوء والرضا والتقبل لما تقضي به المشيئة الإلهية مما هون عليه بعض النكبات العائلية التي أصابته في زوجته وولديه وبعض اقربائه بل زاد ذلك في عمق تصوفه وإبداعه وانصرافه إلى خدمة الآخر في محبة وحماس .

ولا يعني ذكر الحظ هنا ، أن الرجل كان من ذوي المواهب المتوسطة التي يشترك الحظ في إبرازها ، وتضخيمها ، وإنما يعني أن ظروف حياته وإبداعه سارت وفق ما يرتضيه لنفسه ، وفي نسق واحد متتابع ومنسجم ، جعل أعماله كلها ، سواء ما اتصل منها بالجانب الإبداعي أو الجانب العملي ، تنساب في وفاق وتناغم ، فكأنه النهر الهادئ الذي لا يخطيء طريقه ، من منبعه إلى مصبه . أو ذلك اللحن الموسيقي المتصاعد في توزيع بديع حتى تقضي الخاتمة بنهايته المحتومة فلا تكون هذه الخاتمة إلا كمالا للإنجاز وتماما للإبداع .

وإذا كانت حياة الشاعر قد خلت حقا مما يثير فضول الناس من مجازفات ومغامرات عاطفية يشغلهم البحث عنها في حياة العظماء . إلا أن مجاهداته الروحية ومغامراته الباطنية تبلغ من العمق ما يفوق بواعث الفضول السطحي المنبهر بالوقائع والمغامرات العابرة .

على أن أهم ما يميز هذه الحياة هي تلك العصامية النادرة في التحصيل وبناء الذات . فهو رجل لم يثقل تعليما منتظما ولم يتسلح بالشهادات ، ومع ذلك بلغ تلك المكانة المرموقة التي جعلت الجامعات تأتي إليه لتكرمه .

لا يعرف الشعر العالمي الحديث شاعرا استطاع أن يجمع في باقة شعرية واحدة الشعر والدين والفلسفة ، دون أن يجور واحد منها على الآخر كما فعل طاغور . ومن هنا نسبت إليه صفة الشاعر الفيلسوف ولكن طاغور لم يكن فيلسوفا بالمعنى الأكاديمي ، ونسبت إليه صفة الشاعر المتدين . ولم

يكن طاغور متدينا بالمعنى التقليدي المتزمت ، ولكن أعظم صفاته حقا أنه كان شاعرا عظيما اتسع قلبه لكل القيم الإنسانية الرفيعة ، فكان منه هذا الرمز الذي يعانقه المسيحي فيشعر له بقرابة المسيحية ويقراه المسلم فيشعر له بقرابة الإسلام ، ويعانقه أي مؤمن بأي دين وعقيدة تعلي من شأن الإنسان . ويبدو من سيرته وشعره أن كان التحقيق العملي لما طمح إليه والده في يوم من الأيام من توحيد الأديان الكبرى وصهرها في دين واحد .

هز هذا الصوت ، عند أول ظهوره ، الوجدان الغربي الذي وجد فيه الجانب المفقود في حضارته الحديثة ، فتلقف شعره وأغانيه ، بل ربما أمكن القول أنه وجد سبيله بسهولة إلى هذا الوجدان ، بأكثر مما وجدها في بلاده .

وقد تعرض طاغور ، على مكانته الشعرية الكبيرة ، لما يتعرض له جميع النابغين والمبدعين الكبار من جحود ونكران في وطنهم . ووجد إغفالا في تقدير قيمته الأدبية .

وقد سجل ذلك في قصيدة رائعة تحمل معنى العتاب أكثر مما تحمل طابع الحقد أو النقمة ، وتصور واقع الحال في علاقته مع البيئة التي عاش فيها ...

في الصباح
ألقيت شباكي في البحر
واستخرجت من اللجة المظلمة
أشياء غريبة المنظر ، رائعة الجمال
بعضها يتألق كأنه ابتسامة
وبعضها يلمع كأنه دمة
وبعضها وردي كأنه خدود عروس

وحين عدت إلى بيتي في نهاية المساء
حاملًا غنيمتي
كانت حبيتي تجلس في الحديقة
تنزع في كسل بتلات زهرة
وفي تهب واحتشام
وضعت تحت قدميها ، كل صيدي
فنظرت إليه في استخفاف ، وقالت :
ماهذه الأشياء الغريبة؟
لست أدري ما نفعها ؟
فأحنيّت رأسي في خجل ، وفكرت
« لم أصرع للحصول عليها
إنها عطايا ليست جديرة بك »
ولبت طوال الليل
ألقيا واحدة واحدة
في الطريق
وفي الصباح جاء المسافرون
وجمعوها ، وحملوها إلى بلدان بعيدة

ويذكر أن طاغور عندما أسندت إليه جائزة نوبل تنادى قومه لتكريمه
والاحتفال به ، فقال في شيء من الاستهانة والازدراء (إنهم يكرمون
التكريم) ... أي أنهم لم يفتنوا إلى قيمته من قبل ، وإنما جاؤا لتكريمه بعد أن
جاءته جائزة نوبل .

وقد استقبل بشيء من الجفاء ، وفدا كبيرا جاء لتهنئته بهذه المناسبة ولم
ينخف المرارة التي كان يحسها لإغفال القوم شأنه هذا الكبير .

وديوانه جنتجالي الذي جلب له الشهرة العالمية غلب الزهد والتصوف على ألوان الصورة التي يحملها الناس عنه .

وقد حاول كل فريق أن يجد له صلة أو خيوطا تصله بهذا الإبداع .
فادعى المسيحيون أنه يستلهم الإنجيل .
وادعى اليهود أنه يستلهم التوراة وادعاه الإنجليز فقالوا إنه كتب بالإنجليزية وتأثر بشعراء وأدباء الرومانسية الإنجليزية .

وبقي فريق هو أقرب الفرق إلى حياته وبيئته وثقافته لم يدعه ، وإن شغل بأدبه وترجمته والتعريف به ، دون أن يتعمقه أو يبحث عن الخيوط التي تشده إلى التراث الإسلامي .

وما أكثر ما يكتشف المرء من صلة لهذا الشاعر بهذا التراث وأثره في تربية وجدانه . وقد كان الإسلام من الأديان الكبرى التي يحترمها طاغور . وكان يعلم تلاميذه احترامها .

وهو دين شديد الصلة بحياته اليومية وحياة أسرته . فقد ولد طاغور ونشأ في إقليم البنغال ، وفي بيئة يهيمن عليها العنصر الإسلامي . وقد ظفرت أسرته بمكانه مرموقة في ظل الإمارات الإسلامية ، قبل الاحتلال البريطاني . ولم يستطع الباحثون الغربيون المنصفون إلا أن يكتشفوا أثر الجوار للبيئات الإسلامية على وجدانه .

وما من أحد يستطيع أن يجحد أن الإسلام هو أحد ثلاثة ركائز قامت عليها الروحية الهندية والثقافة الهندية التقليدية والمعاصرة بصفة خاصة ، وهي الهندوسية والإسلام والثقافة الوافدة مع الاستعمار البريطاني . وقد تفاعلت هذه العناصر في التكوين الفكري والوجداني لطاغور بما يظهر أثرها واضحا في إبداعه .

ورغم أن الهند هي موطن التصوف فإن المرء يتبين بسهولة أن تصوف طاغور كان من حيث منحاه العملي أقرب إلى الصيغة التي تبناها التصوف الإسلامي وأن هناك طابعا عمليا منغمسا في الحياة ، يميز تصوف طاغور عن تصوف أسلافه من الهنود .

فالحياة الروحية لديه لاتنفصل عن الحياة العملية بل هما يتداخلان ويندجان في وحدة شاملة ونسق باهر ، وإقبال على الحياة بأفراحها وأتراحها ومهرجاناتها البهيجة ، ورفض لأي قيد أو بهرج أو زخرف يفصله عن الاندماج في حفل العالم الكبير .

ويستدعي طاغور في شعره كل مظاهر الطبيعة التي احتفل بها الزاهد الهندي القديم وجعل منها ملاذا في مواجهة نداءات الحياة الفانية ، ولكن استدعاء طاغور لهذه الطبيعة يختلف عن النداء القديم فهو لا يريد لها لتحقيق العزلة الفكرية والرياضية والروحية ولكن لدلائل الإعجاز التي تثيرها ، وعبادة الله الذي تتجلى قدرته وعظمته في روعة مظاهرها ، وفي كل ناموس من النواميس التي تحكمها وتنظم سيرها . وما من شاعر ساق الطبيعة في مهرجان كبير ليجعل منها خلفية دائمة للوحته الشعرية كما فعل طاغور في شعره . فقد كانت الطبيعة المصدر الأول لإلهامه . وكان مدركا كل الإدراك لدورها في صياغة الوجدان الهندي ، وحين التفت إلى القديم لدراسة الخصائص الروحية الهندية عزا نزعة الزهد والتصوّف والتقشّف لدى الهندي إلى ما وفّرتة الطبيعة القديمة من ثروات أغنته عن الكد والعمل وعمقت فيه رغبة الائتلاف معها والركون إلى أحضانها والذهول أمام مشاهداتها الرائعة الخلابة .

وقد وعى طاغور هذه الحقيقة فتشرب هو الآخر حب الطبيعة وفتن بروعتها واتخذ منها إطارا لشعره الجميل الذي تتحرك فيه الطبيعة في مواكب أخذة بسهولة وجبالها وغاباتها وانهارها وأمطارها وطيورها ونباتاتها

وحيواناتها . ويتصدر الإنسان هذه المشاهد الجميلة التي توحى إليه بالحقيقة الأولى التي أجهد نفسه في البحث عنها . فالطبيعة هنا مدرسة للخير ، ومدرسة للعطاء ، ومدرسة للرعاية والانطلاق والانسراح ومعجزة دالة بقوانينها على العظمة الإلهية ، فيها تصفو النفوس ، وتغتسل الأرواح ، وتطهر من درن الحياة الزائفة ، وفي أحضانها يعثر الإنسان على حقيقة وجوده .

وفي نفس طاغور شفافية نادرة في استقبال المعاني التي تعبر عنها مظاهر الطبيعة وله عين نافذة تكتشف أبسط المظاهر فيها وتستخرج منها المعاني الكبيرة التي يصورها أحيانا في إسهاب وإفاضة وأحيانا في تركيز وتكثيف ، فانظر إليه كيف يكشف موقفا من المواقف التي تحكمها المفاجأة الشعرية حين تواجه المذهل والعجيب والمثير في الدقائق البسيطة . فقد خرج ذات صباح من بيته ، وأبصر قطرات ندى تتألق فوق الأوراق النضيرة ، فاندججت نفسه مع المشهد البسيط

الرائع فقال :

طوال أعوام عديدة

وبثمن باهظ

جبت مختلف البلدان

ورحلت لمشاهدة المحيطات

ولكني لم أفطن

إلى قطرة الندى المتألقة

فوق سنبل القمح

أمام عتبة بابي

شاعر يتعامل مع الطبيعة برقة وحنان، ويخاطبه منها كل مظهر جمالي ، ويستقي العبرة من سننها والقوانين التي تحكمها ، ولا يقف منها موقف المصارع

لها العامل على إخضاعها لإرادته ، ولكنه يقف منها موقف المندمج فيها ،
المتلاشي في كمالها والساعي إلى إذابة فرديته في صيغتها الشاملة .

وما أكثر ما يوفره شعر طاغور من شواهد على هذه المعاني التي أشرنا
إليها ، وفي وسعنا أن نقدم الكثير منها ، ولكننا نؤثر أن يكتشف القارئ بنفسه
هذه المعاني بعد أن وضعنا قدمه على الطريق القاصد .

أليس في وسعك
أن تكون سعيدا
بسعادة هذا الإيقاع
بأن تقذف نفسك
وتضيع وتشتت
في لجة هذه البهجة الرهيبة
كل الأشياء تتقدم في اندفاع هادر
لا تتوقف
لا تلتفت إلى الوراء
ولا قوة تستطيع أن تمسك بها
إنها تجري إلى الأمام في اندفاع هادر
متبعة
هذا الإيقاع السريع
لهذه الموسيقى
التي لا تعرف التوقف
الفصول تقبل راقصة
ثم تذهب
والألوان والأنغام والأريج

تندفق كلها في شلالات لا حد لها
لتصب في مصب الفرح الطافحة
التي تنتشر وتنقطع وتموت كل لحظة .

التصوف ليس ابتعادا عن الناس والحياة الاجتماعية ، ولكنه اندماج في
مشاغلها وهمومها ، ونهوض بأعباء المسئوليات تجاه البشر ، ورفض للتعلل
بالانعتاق من الروابط المادية واليومية ودعوة إلى الاقتداء بالخالق الذي أخذ
على نفسه الارتباط بمخلوقاته وفي هذا المعنى يقدم طاغور هذه القصيدة
الجميلة الدالة على اتجاهه الصوفي .

لتكف عن إنشاد أناشيدك
وتلاوة تراتيلك
من الذي تعبه في هذه الزاوية المظلمة
المنفردة؟
في معبد أبوابه كلها مغلقة
لتفتح عينك
ولتنظر
إن الهك ليس هنا
إنه هناك
حيث الحراث يحرق الأرض الصلدة
ويحس يجهد عامل الطريق ، في كسر الحجارة
إنه معهم
في الشمس الساطعة وفي الأمطار الهائلة
ثيابه معفرة بالغبار
فلتنزع معطفك القدسي

ولتنزل معه إلى الغبار
الانعقاد؟
أين تظن وجود هذا الانعقاد ؟
إن ربك نفسه
قد أخذ على نفسه في غبطة
روابط الخلق ؟
إنه مرتبط بنا جميعا رباطا أبديا
فلترك تأملاتك
ولتخل عن البخور والزهور
أي سوء سيصيبك إذا بادت
ثيابك أو تلطخت
لتذهب نحوه
ولتقف قريبا منه
حيث العمل وعرق الجبين

التصوف عند طاغور ليس عزلة أو نسكا ، او زهدا وانصرافا عن الحياة
العملية ولكنه اندماج فيها ، وانصهار بنيرانها واكتواء بحرقها ، ومعاناة عميقة
لتجاربها وقبول بالامتحانات الربانية ، وشعره كله معرض حافل بهذه المعاني
التي تصدر عنه في دفء وحميمية ، نفتقدها لدى كبار المتصوفة الذي لا
يتوفرون عادة على قدرته التعبيرية ولا على شاعريته الفياضة ، مما قعد بهم عن
التأثير الواسع في نفوس الناس .

لا أيها الأصدقاء، لن أكون ناسكا أبدا

مهما قلتم

فلن أكون ناسكا

إذا هي لم تنذر نفسها للنسك معي

إنه من عزمي الثابت

أن لا أكون ناسكا

إذا لم أجد مأوى ظليلا

ورفيقة لتوبتي

لا أيها الأصدقاء

لن أترك أبدا

دفع الحياة العائلية

وبيتي

ولن أنسحب إلى وحدة الغاب

إذا لم ترن ضحكات بهيجة

في ظلاله المرددة للصدى

وإذا لم ترفرف للريح

حافة لحاف زعفراني اللون

إذا لم تجعل همسات ناعمة

صمت الغاب أكثر عمقا

فلن أكون أبدا ناسكا

هذا شعر عميق يفيض بالنضارة والاشراق ، وينشر السرور في النفس ،

وتشعر لقراءاته ما تشعره لنافورة فوارة متدفقة توزع الطراوة وتنشر الراحة

النفسية فيما حولها .

قد تلتقي في شعر طاغور باللوعة ، وتلتقي بالحزن ، وتلتقي بالفاجعة ولكنك لن تلتقي بالتشاؤم والنظرة السوداء . وهناك تقبل صوفي لكل ما تقضي به النواميس الإلهية ، وعدم تمرد على إرادتها ، وشعور بأنها تخفي في خيرها وشرها أهدافا لا يبلغها فهمنا المأخوذ بالعابر والسطحي والزائل والفاني .

طاغور يبشر بالمحبة والسرور . وفكرة السرور لديه لا تتحقق من إشباع الرغبات والشهوات وإنما تقوم أصلا على الخروج من حصون الفردية وقلاع الأنانية إلى رحابة الايثار وخدمة الغير . فالانفتاح على الآخر وخدمته ومساعدته هي الشروط الأساسية لتحقيق السرور . وخدمة الغير لا تنحصر في مساعدته على حاجاته المادية ، ولكن في مساعدته أيضا على اكتشاف أعماقه الروحية ، وما يمكن في نفسه من نوازع الخير ، وما يمكن أن يقدمه هو الآخر من مؤازرة تساعد الإنسان على كسر أطواق الفردية البغيضة ، وبعث الشعور في نفسه ، بأنه نعمة من نغمت اللحن العظيم ، وموجة من موجات الخضم الكبير .

والهدف الأخلاقي في عمل طاغور لا ينفصل عن العمل الفني الإبداعي ورسالته الأخلاقية بادية في شعره . ولا يحتاج طاغور إلى أحد يذكره بها وإن رأي البعض في هذه الرسالة مثالية منعزلة عن الواقع ، فاتهم بالانعزال عن الحياة . وأقل ما يمكن أن يقال في هذا الاتهام إنه كلام فارغ ، وضرب من ضروب التنغيص على العالقة الذين يعطون ولا يأخذون ويبدلون ولا يبدخرون .

شعره يدعو إلى كمال الإنسان،وعنده أن الشر لا يصدر إلا عن النقص ومتى توخى الإنسان كماله ، وسعي إليه اندمج في موكب الكمال الروحي الذي يعم البشر جميعا . ومع هذا الإعلاء من شأن الحياة الروحية لا يلغي دعوة الحياة وبهجتها ولا يعطل الاستمتاع الحي بها . فإذا قرأت بعض قصائده في المرأة أدركت أن هذه الروحية العميقة التي تميز بها ، لم تعطل في نفسه نوازع الطبيعة وشهوات الجسد . وله في الحب والغزل قصائد هي من كنوز الشعر

الإنساني الرفيع يجد القارئ الكثير منها في هذه المجاميع الثلاث ونشير بصفة خاصة إلى رائحته الفريدة (اورباشي) التي يعتبرها بعض النقاد الغربيين من عيون الشعر العالمي وقد حاولوا أن يصلوها بقصيدة الشاعر الإنجليزي المعروفة باسم (الجمال الذهني) . فاستمع إلى هذا الغزل الناعم وتذكر وأنت تقرأه أنك في حضرة شاعر متصوف لتدرك فعلا مانعنيه من إقبال هذا الشاعر على الحياة بكل حواسه .

أيتها المرأة
لست من خلق الله وحده
ولكنك أيضا من خلق الرجال
الذين يجعلونك بقلوبهم
جميلة
فالشعراء نسجوا لك شبكة
من خيوط الأخيصة الذهبية
والرسامون أعطوا دوما
لهيئتك خلودا جديدا
والبحر يقدم إليك لؤلؤه
والمناجم ذهبها
وبساتين الصيف تمنحك زهورها
لكي توشيك وتكسوك
وتجعلك على الدوام
ثمينة غالية
وشوق قلوب الرجال
بسط مجده

على شبابك
فصرت نصف امرأة
ونصف حلم

أو هذه الغزلية الناعمة الرقيقة :

ابتسامة مرتابة ترزف فوق عينيك
كلما جئت لتوديعك
لقد ودعتك عدة مرات
حتى صرت تفكرين في أنني سأعود إليك
في أقرب وقت
وإذا أردت الحق
فإني أنا أيضا أرتاب في هذا التوديع
ذلك لأن أيام الربيع
تعود كل عام
والبدر يودعنا ثم يعود لزيارتنا من جديد
والزهور تعود كل عام
لتنضج فوق الغصون
وربما كنت أنا الآخر
ابتعد عنك ، من أجل العودة إليك
إن الوهم يفيدني قليلا
فلا تتعجلي بطرده
فإذا جئتك أقول
إني أودعك إلى الأبد

فأقبل ذلك كما لو كان حقيقة

ودعي حجابا من الدمع

يعتم ، ولولحظة بسيطة ، تلك الدائرة

الظليلة التي تحيط بعينيك

ثم أضحكي ضحكة مأكرة

حين أعود إليك .

هذا شعر يذهل صاحبه من بساطة الأشياء التي تحيط به ، وتقع عليها
عينه ، وهو يملك القدرة على رسمها بالكلمات التي تطابقها بساطة ورقة
وعذوبة . وهذه الأشياء العادية المألوفة المألوفة المحببة تملأ قلبه بالشعر . وهو
يحاول أن يعود بالأشياء إلى أصولها البسيطة ، فهذه رسالة السماء التي عقدها
المحترفون للمتاجرة بها وتحقيق الوصاية على النفوس البشرية يجدها هو بسيطة
في جوهرها بساطة لا يتوفر عليها أولئك الذين نصبوا أنفسهم أوصياء عليها .

كلماتك بسيطة

أيها المعلم

بساطة لا يملكها

أولئك الذين يتحدثون عنك

إني أفهم صوت نجومك

وصمت أشجارك

وأعرف أن قلبي

سينفتح لك كالزهرة

وأن حياتي سيفعمها نبع خفي

وأغنياتك

مثل طيور قرية الثلج

تطير لتبني عشها في قلبي
ضد فتور شهر نيسان
وإني لسعيد
بانتظار الموسم الجميل .

فالظاهرة الكبرى في شعر طاغور هي البساطة . والدرس العظيم الذي يقدمه طاغور إلى الشعراء هو هذا النهج الذي سلكه في التعبير النقي الشفاف . وأدبه صورة صادقة لنفسه الواضحة البسيطة . ولكن شعره على وضوحه وقربه من الفهم ، ونفاذه إلى الوجدان . بسهولة ويسر ودون إستئذان ، وهو شعر عميق الغور لا تنفذ إلى أعماقه ومعانيه إلا إذا توفرت على شفافية ترقى إلى شفافية الشاعر وإلى صفاء مثل صفائه الروحي فهذه اللغة الغنائية السهلة الرقاقة . وهذه الصورة المشرقة ، الفياضة بالبهجة والطلاقة والمتجاوبة مع مظاهر الطبيعة في مختلف أحوالها . وهذه الطمأنينة الروحية التي تشيع في أوصالها وألفاظها ، وهذه الغنائية العالية التي تنشر الغبطة فيها ، هي ليست مظاهر لنفس عادية في بساطتها . ولكنها كالفقاع الهادئ الذي يكشفه لك سطح البحر في يوم رائق مشرق ، وتأخذ العين فتظنه قريباً حتى إذا غاص فيه السباح الماهر ، أدرك أن وراء هذا القاع قيعاناً أخرى لا تبلغها أنفاس الغواص الحبير .

وإذا كان الملك ميداس ، فيما ترويه الأساطير ، يتوفر على قدرة خارقة في تحويل كل ما يلمسه إلى ذهب . فإن طاغور يتوفر على قدرة عجيبة نادرة في تحويل كل شيء إلى شعر . فإذا قرأت شعره هذا كله ، فستكتشف بسهولة معنى هذه القدرة التي تخلص إلى الجوهر الشعري في أعظم الأشياء ، وأبسط الأشياء وراعتك هذه القدرة على التعبير عن هذه الأشياء في مستوياتها المختلفة ببساطة بالغة النفاذ إلى القلب .

إنه شاعر عظيم ، اكتشف عظمته في البساطة ، فلم يغلفها بالرموز الغامضة ولم يحطها بالطلاسم والألغاز . الشعر سجية ، الشعر ببساطة ، الشعر غناء . ذلك هو الدرس الذي حملة ، وما يزال يحمله شعر طاغور إلى العالم وإلى الشعراء . فليس هنا غموض ولا إبهام ، وليس هنا تلاعب باللغة وعبث بالصور ولكن شفافية رهيفة تصدر عن نفس صافية وروح قوية لا تترنن بالحلى والزخارف وإنما تمضي إلى القلب بلطف أخاذ ووداعة أنيسة في غير ما تكلف ولا إعنات . وكان يعجب لأولئك الشعراء الذين يعتنون قرائحهم فيتعثر الشعر على شفاههم . وهو في نظره أبسط من أن يسلك إليه هذا المسلك الوعر .

وكما نجح طاغور في التوفيق بين مختلف الاتجاهات باكتشاف جوهرها الشمولي الموحد ، نجح أيضا في أن يجعل شعره مجتذبا للقارئ العادي كما هو مجتذب للفئات الراقية المتذوقة . وذلك باعتماده البساطة الشفافة الرفيعة الغنائية وقد كان الإيصال غاية من غايات أدبه . فلم يحججه بغموض ، ولم يغطه بأستار ولم يجعل للإبهام سبيلا إلى هذا الشعر الذي يتعامل مع أعصى القضايا بعفوية نادرة ، وبساطة تملك القلب والعقل .

فانظر إليه كيف يلتقط العادي والمألوف ليرفعه إلى مراتب شعرية سامية يمتزج فيها اللطف الشعري بالدعابة الراقية .

كان ذلك في شهر مايو
والظهيرة الحانقة تبدو طويلة
لا نهاية لها
والأرض القاحلة
ظائمة تشقق في الحر الشديد
ومن ضفة النهر

سمعت صوتا يدعوني
(تعال يا كنزتي)
فطويت كتابي
وفتحت النافذة كي أرى
فرأيت جاموسا ضخما ، مغطى بالوحل
يقف قرب النهر
بعينين هادئتين مستسلمتين
وطفلا غاطسا في الماء حتى ركبتيه
يدعو الجاموس للاستحمام
فابتسمت طربا
وشعرت بمعنى من العذوبة
داخل قلبي

هذه موهبة تملك القدرة على اكتشاف الشعر في كل شيء ، وتحويل كل شيء إلى شعر . عين بصيرة واعية ذات نظرة شمولية واسعة رحيبة وفطنة نفاذة إلى جوهر الأشياء الكامنة خلف المشاهد والأحداث العادية ، وقلب يعانق الإنسانية في أفراحها وأتراحها . هذا هو طاغور . نموذج للبساطة التعبيرية التي لا تخل بالشعر . ولا تنزل به إلى المباشرة بل تفتح له سبيلا نافذا إلى القلوب ، يصح أن يقتدي به كثير من الشعراء الذين أحاطوا أنفسهم بأسوار النصوص وجعلوا من شعرهم معضلة يختلف الناس في تأويلها وتفسيرها فأغناهم التأويل والتفسير بما يجاوز قدرات النص . ومع ذلك ظلوا سجناء لهذا الإكليروس الشارح المفسر ، ولم يجدوا سبيلهم إلى القلوب شأن شعر طاغور العظيم ..

ولكن خلف هذه البساطة أستاذية متمرسة بأساليب الفن ، ممثلة بأجمل ألوان التعبير الفني في أدابه القومية والإنسانية .. ومع ذلك لم يعدم شعر طاغور من تسجيل المآخذ فقد أخذت عليه الرتبة كما أخذ عليه التكرار ، وهو شأن المكثرين الذين لا يقفون عند حد ، ويطول بهم العمر فلا يخرجون عن الدائرة التي تحققت لفورة ابداعهم في مرحلة واحدة من تاريخه الشامل .

وما من شك في أن القاعدة الأولى التي قام عليها تكوينه الأدبي والفني هي الآداب البنغالية . ثم الآداب الأوروبية والانجليزية خاصة . فقد قرأ طاغور بعض أعلام الشعر الإنجليزي ، وأحسن قراءتهم والإفادة منهم في تطوير أساليبه والبروز كشاعر مجدد في الأدب البنغالي . كما زوده الاطلاع على هذه الآداب بقدرة على معرفة طريقة مخاطبة الغرب والتأثير فيه ، والتحدث إليه بالصيغ التي يحسن فهمها . فكان له ذلك القبول الذي صادفه في الوجدان الغربي الحديث : كان تأثيره ضحخا على الحياة الأدبية في بلاده . كما كان تأثيره قويا على الآداب العالمية ، والشعراء والأدباء الذين قرأوه من الغربيين . وكثيرا ما نكتشف خيوط هذا التأثير لدى شعراء كبار ، ونحس بنفس طاغور تسرى في أعمالهم الشعرية .

لقد كان شعره فنة النصف الأول من القرن العشرين ، ثم خبا صيته نوعا ما إلا لدى الخاصة ممن يعنون بحركة الشعر العالمي . وذلك قدر يلزم عادة أولئك الأعلام الذين يظفرون في حياتهم بحظ واسع من الشهرة والانتشار ثم ينساهم الناس ليعودوا إليهم ، بعد حين بنظرة موضوعية خالية من الانهار تكتشف الأصيل والسليم والباقي من أعمالهم والخالد منها على مر الأيام .

وجمع طاغور إلى قدرته الشعرية ، قدرة على الابداع النثري ، فكان صاحب رئاستين كما نقول في تعابيرنا العربية القديمة للدلالة على هذه القدرة التي تجمع ملكة الشعر والنثر في آن واحد . وقد ألف الروايات وكتب القصص

القصيرة. ويحدث في حالة الكبار من أمثال طاغور أن لا يستوعب الشكل الأدبي الواحد طاقاتهم الإبداعية فيتجهون إلى تسريبها في جداول متعددة وأشكال مختلفة . فيؤدي بهم ذلك إلى تحطيم نظرية الفصل بين الأنواع الإبداعية ، فتتداخل أعمالهم النثرية مع الأعمال الشعرية لتكون كونا شاملا لرؤية الشاعر ورؤياه . وكل هذه الأعمال على تنوعها ، وتعددتها ، تفسره وتم على قدرة إبداعية خارقة متجاوزة لحدود المؤلف .

أحدث اللقاء بالحضارة الغربية في الهند ما أحدثه في كثير من البلدان الأخرى التي توفرت على تاريخ حضاري مجيد تليد .

فالهجمة الإستعمارية شكلت صدمة فكرية ووجدانية . وقسمت البيئة الفكرية فيها إلى تيارين واضحين متباينين : تيار الانسياق وراء الحضارة الوافدة ، والانبهار بقيمتها والتخلي عن روابط القديم ورواسبه . وتيار المحافظة والعودة إلى الأصالة والخصائص القومية العريقة .

واختار طاغور لنفسه ، ما يلائم تركيبه النفسي والفكري فوقف بين التيارين موقف التوفيق ، فقد كانت الحضارة الهندية عزيزة عليه لأنها شخصيته المتميزة التي يتباهى بها ، ويرجع إليها ، ولم يشأ أن يفرط في الحضارة الغربية لأنها مكتسب إنساني عظيم أسهمت في إقامة صرحه جميع الحضارات السابقة . لم يفرط طاغور في قديمه ، ولكنه أيضا لم يتخل عن عصره . وفي هذا التوفيق العسير تبرز ملامح شخصية طاغور وتتحدد وتلتقي مع كثير من الشخصيات العظيمة التي أبرزها العالم الثالث في العصر الحديث .

ومع كل هذه الثقافات الوافدة ، فإن الهند لم تنس تراثها القديم ولم تتنكر له . بل إن هذا الانفتاح على أوروبا قد زاد من تعميق شعور الأصالة لدى مثقفيها . وتقدم رموز الهند الحديثة من طاغور إلى غاندي إلى نهرو ، أمثلة

بارزة على هذه القدرة التوفيقية بين الانفتاح على الثقافة الغربية والاعتزاز بالشخصية الهندية بما أعطى لبلدان العالم درسا كانت تفتقر إليه .

والمسلك التوفيقى الذي تبناه طاغور يرتبط باختيارات متوارثة عن والده الذي انتقلت إليه زعامة الجماعة الروحية التي أسسها (رام موهان روى) والتي كانت تهدف إلى مثل هذا التوفيق بين موروث الهند ، ومتطلبات الحياة الحديثة .

وكاد طاغور ، في مطالع حياته أن يحيد عن التراث الهندي ، ويكسر الطوق كسرا كاملا ، وينفلت منه انفلات غيره من المنبرين بالثقافات الوافدة ، ولكنه سرعان ما أدرك أن سمة الهند الأولى التي دخلت بها الحضارات الإنسانية هي السمة الروحية ، وأن التخلي التام عن هذه الخصيصة هو تخلي عن الشخصية الحضارية الهندية .

كان يعظم فلسفة الهند في الخارج ويتباهى بها ، ويحاضر عنها ، ويؤلف عنها الكتب التي تنقب عن أصولها وجذورها ، ويفسر بها بظروفها وواقعها وكان يهاجم سلبيات هذه الفلسفة في الداخل ويدعو إلى التخلص منها ويدعو قومه بحماسة وإخلاص الانفتاح على العالم داعيا إياهم إلى عدم الخوف من الأمواج ، ولكن من الحروق في سفينتهم .

هو نمط فريد من هذه الإنسانية المتعالية على المذاهب والطوائف والاتجاهات الضيقة ، وهي تلتقي في تعاليها على الأطر المحدودة مع كل الاتجاهات الإنسانية الهادفة إلى خير الإنسان ورفقه وسعادته ، فإذا أردت أن تنسبه إلى الاشتراكية وجدت في شعره ما يسند هذه النسبة . وإذا أردت نسبته إلى الديمقراطية وجدت في شعره ما يؤكد كل المعاني التي تنكر الطغيان ، وإذا أردت نسبته إلى الشرق وجدت في شعره ما يمكن تصنيفه لدى الغربيين بالتعصب ، وإذا نسبته إلى الغرب وجدت لديه من المصالحة

والمهادنة والتفهم والإعجاب ما يسلكه ضمن المنحازين إلى الغرب . وهو في كل ذلك لا يصدر إلا عن اتجاهه الإنساني ويصدع عن مكونات شخصيته العملاقة وروحيته المتجاوزة للحدود الضيقة فهو إنساني بالمعنى الذي يطلق في الغرب على الأديب المشتغل بالعلوم الإنسانية والمنغمس فيها (أو مانست) . وكثيرا ما يتعمق هذا المعنى لدى الكبار ممن اتسم عقلهم بالشمول ، وقلوبهم بالرحابة فعملوا بهم على جميع المذاهب ويلتقي بهم مع جميع المذاهب في غاياتها الإنسانية العليا . هذا شأن أبناء الكلمة التي ارتقت بهم هذه المراقي العالية ، وهو شأن الذين يستقون من إنسانيتهم التي اشتركت في صياغتها حضارات الأمم وثقافتها .

وبهذا التمثل الواسع الرحب لختلف الاتجاهات والثقافات كان طاغور من بناء النهضة الهندية الحديثة ، ومن مؤسسي الوجدان الإنساني المعاصر المتعالي على الحدود والحواجز الجغرافية والفكرية والدينية والثقافية .

إنه من الشخصيات العظيمة التي تخلقها الأحقاب من حين إلى آخر ، لتبشر برسالة سامية أو تذكرها ، وتأتي في أوان الحاجة إليها . وقد كانت الهند وكان العالم في حاجة إلى هذا الصوت الرائع الهادي العميق .

حين ولد طاغور كانت الهند ترزح تحت وطأة الاستعمار . ومات الشاعر طاغور قبل استقلال الهند بسنوات قليلة ، وهو في الثمانين من عمره ، فلم يتح له أن ينعم بحصيلة الجهود التي أسهم فيها بنصيب كبير . وكان طاغور أحد رموز الهند الحديثة ويرى بعض الباحثين أنه قد مثل عمق الهند الروحي بأكثر مما مثله معاصره العظيم غاندي . وعلى كل حال فقد كان الرجلان من أعظم ما أنجبت الهند من رجال في تاريخها الحضاري .

وقد أتيج لهما من التأثير في عصرهما بمعناه الإنساني الواسع ما لم يتح لغيرهما من كبار رجالات العصر .

لقد أعاد طاغور إلى الهند قدرتها على الخلق والإبداع ، بعد أن خمدت لديها هذه القدرة سنوات طويلة.

ناضل من أجل الإنسان في بلاده .

وناضل من أجل الإنسان في كل مكان .

وتحقيق كرامة الإنسان مبدأ أساسي بارز في رسالته الأدبية . فكان يناد بالثأفية ويستنكر الظلم الاجتماعي ، ويدعو إلى شيوع التعليم ، ويناصر حقوق المرأة . ويحرض على التخلص من الطغيان في أي صورة تجلى . سواء في طغيان الشهوات أو طغيان الحكام وهو يشدد على التخلص من طغيان الشهوات التي تعمي الإنسان وتقصيه عن إنسانيته .

كما ندد طاغور بالاستعمار وأنكر عليه طغيانه واستعباده للشعوب واستغلاله لثرواتهم واستهائنه بحقوقهم . ولكنه لم يكن يميل إلى العنف في مقاومة هذا الاستعمار بل لعله رأى في بعض الحالات أن صداقة الهند للإنجليز مفيدة لها في تحقيق النهضة والتقدم . وكان يضيق بعض الضيق بأساليب المقاومة بما في ذلك الأسلوب الذي تبناه غاندي في اللاعنف والعصيان المدني . ولم يكن ذلك عن مهادنة للاستعمار بل عن خوف من التعصب وعزوف عن تلك الصيغة التي تميل إلى تأليه الوطن تأليها يعزله عن تيار الحياة العالمية . وكان يرى أن الشرق في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب ، كما أن الغرب في حاجة إلى أن يتعلم الكثير من الشرق . وقد كانت هذه الفكرة محور رسالته الفكرية والشعرية إلى العالم . فهذه الروحية الشرقية ، بما يصاحبها من عمق وسلام في النفس ، واطمئنان ورضى وخضوع ومعانقة لكل ما هو روحي شفاف يمكن أن تشكل عزاء للغرب المسلوب بحضارة الاستهلاك والعدو السريع في سبيل تأكيد الوجود المادي .

وعلى كل حال ، فإن أفكار طاغور السياسية ، وموقفه من الأنظمة العالمية تنسم كلها بكثير من البراءة الشعرية والسذاجة السياسية . فقد أثنى على النظام السياسي القائم في إيطاليا ، حين زارها إبان العهد الفاشي في سنتي 1925 - 1926 وأطلق بعض التصريحات التي تحمل إعجابه بما تحقّق فيها في ذلك العهد. وإنما وقع في مثل هذه العثرات بسبب التكرم التوظيفي الذي خص به فضلا عن أنه لم يكن شاعر أيدلوجية سياسية .

وثورية طاغور الحقيقية لا تظهر في المواقف الصارخة ، ولكن في مواجهة الهيمنة الثقافية الغربية . فهو في هذا الباب مناضل كبير وكثيرا ما ننسى ونحن نعدد المواقف هذا الضرب من النضال الثقافي الذي لا يظهر في زحمة التصنيف السياسي الصارخ ، ولا نتعرف على أهميته وأثره إلا بعد أن تخفت الأصوات العالية ، وحينئذ نفهم أن ما أداه بعض القوم بنضالهم الثقافي والفكري لا يقل تضحية وروعة عن أي صور النضال ، وفي هذا المجال تبدو ثورية طاغور أقوى وأبقى وأخلد من ثورية العناصر التي أخذت عليه عدم الانغماس في نشاطها الحزبي. وفي دوره الذي قام به في إحياء التراث الهندي ما يؤكد أنه أحسن اختبار ميدان عمله النضالي بما يؤكد أن الطريق السليم لديه في مواجهة الغزو الاستعماري هو التثبيت بالأصالة والخصائص التي تميز الحضارة الهندية التي تمثلها وتشرها ، وتحوّل بين مختلف بلدان العالم معتزا بها متمسكا بقيافة الزاهد الهندي . والعايد الهندي البسيط . وكان بذلك يمثل مواجهة واحدة ضد الإستعمار وأخرى ضد الفئات التي انهرت بأنظمتها ومستورداته المادية والفكرية .

ولا يعني هذا أن طاغور كان محجوبا عن الثقافات الغربية ، فقد كان شديد الصلة بها ، عميق الإتصال بإبداعاتها الفكرية والفنية ، فوي التمثل لعناصرها المحركة لها ، ولكنه كان يكره لنفسه ولقومه الذوبان والتفسخ

والانسلاخ . إنه نموذج رفيع لما يكون عليه الاعتزاز بالخصائص القومية والرفض لما سيناها في أيامنا هذه بالغزو الثقافي ولكن في غير تعصب ولا انغلاق ولا سد للأبواب والنوافذ .

لم يخض طاغور المناقشات الاستفزازية الحادة ، ولم يفاضل بين الحضارات ولم يعاد الثقافات لمجرد التعصب القومي ولكنه قدم النموذج العملي بإبداعه وأعماله وأفاد من الحضارة الوافدة مازاده أصالة وتشبها بخصائصه الحية . وحين قدم نفسه إلى العالم ، قدمها من خلال وجه هندي متميز بملامحه وقسماته الأمامية والجانبية . وجه متميز لا يمكن أن يدوب أو يتلاشى . وجه تقع عليه العين مرة واحدة فلا تنساه وتسمعه الأذن مرة واحدة فلا تخطئه بل لعلها تظن في أصوات الآخرين إلى الروافد والجداول التي تسربت إليها من هذا النهر الهاديء في سطحه ، الهادر في أعماقه . وجه طاغور لا ينسى لما فيه من إشرافه روحية ، ووهج شخصي ، وتألّق ذاتي وملامح متميزة . وهكذا كان شعره .

وقد تأثر طاغور بالأدب الغربية ، ويحاول الغربيون أن يلمسوا المشابه بين بعض أعماله وأعمال مبدعيهم ، ولكنك حين تتعمق هذه المقارنات تجد أنها تحاول أن تمسك بأوهى الخيوط لتصنع منها حبلا وأسلانا قوية في الوقت الذي لا يسعف النص بذلك . ولكن من المحقق أن أثر طاغور في الأدب العالمية الحديثة كان أقوى من تأثيره بها . وينهض على ذلك أكثر من دليل ، وتلمع أكثر من إشارة ولو كان المجال متسعاً للمقارنة لقدمنا الأمثلة والشواهد العديدة .

طاغور أعاد اكتشاف الهند في نفسه وساعد الهنود على إعادة اكتشافهم لأنفسهم بل ربما أمكن القول أنه ساعد الشرقيين جملة على اكتشاف أنفسهم . وإعادة الاكتشاف هذه هي البداية لكل نهضة وطنية تلتهمس

الطريق بخطوات واثقة . ولا نحسن فهم طاغور حق الفهم ما لم نكتشف .
الثورية فيما لم يعلنه كثورية كانت تعتمد الأصيل والباقي والحالد والمتألق
والزاهي والمتوهج والدافيء في حضارة ، ظن البعض أنه قد غطى عليها غبار
السنين .

كثيرة هي المبادئ التي عانقها طاغور وأعلى من شأنها في شعره ، وكثيرة
أيضا المعاني والمواقف التي يمكن أن نخرج بها من شعره . وهي تتمحور كلها
حول سعيه الدائب لتحقيق التناغم والانسجام بين الانسان والكون
المحيط به ، وإذابة الفردي في الكلي ، والاحترام العميق للأديان الكبرى
والحضارات الإنسانية ، والإيمان بالمبادئ الديمقراطية ، والعمل المتواصل من
تحقيق الحرية والنهضة الوطنية ، والإيمان بالوحدة الإنسانية والالتزام بقضايا
الإنسان ورفض كل أشكال التمييز العنصري والديني والمذهبي والطائفي .

وقد أسس جامعته على أساس من هذا الفهم الذي صاغ به شخصيته
الخاصة فكانما أراد أن يصير الكون بالطريقة المثلى في تكوين الإنسان وطرح
الأساليب التقليدية العتيقة التي لا تعتمد حرية التربية . لم يكتب طاغور كتاب
(إميل) كما فعل جان جاك روسو ، ولكنه أقام نموذجا على أرض الواقع
لأسلوب في التربية والتعليم والتكوين الإنساني الحر الذي لا يقيم اعتبارا للتمييز
العنصري أو الطبقي أو الجنسي أو الديني . ومن طرائف ما يذكر عن جامعته أنه
أقام بها معبدا يؤدي فيه جميع أتباع الديانات عباداتهم وطقوسهم الدينية .
ولا فرق بين أحد مادامت الغاية هي عبادة الله واستلها مبادئ الحب
والعدالة والمساواة .

وقد كان له من ظروفه الإجتماعية والسياسية ما ساعده على تحقيق هذا
المشروع الشخصي . ولم تحط أهدافه بالشكوك والريب ، ولم يحاصر مثل هذا
العمل الفردي بالتأويلات . إنها بيئات توفر للعظيم أن يمارس عظمته ويطبق

أفكاره وينشرها على الناس دون مخاوف سياسية أو اجتماعية أو دينية ، وفي مثل هذه البيئات أمكن لقامة مثل قامة طاغور أن تكبر وتعظم وتتعلق وأن ترسم النموذج والمثال وتبسط ظلها على الكون كله .

لقد حقق في هذه الجامعة مثله التي كان ينادي بها في شعره . فجاءت تطبيقاً حياً لكل الأحلام التي تغنى بها في حياته ، وفي طفولته الباكورة التي تميزت بالتمرد على أساليب الدراسة التقليدية . فالمعروف عن هذا الشاعر أنه لم ينتظم في سلك دراسة نظامية متتابعة متلاحقة تفضي به إلى الدرجات الجامعية .

فهذا الرجل العظيم الذي بلغ أعلى المستويات العلمية والفنية والأدبية وكرمه جامعة أكسفورد بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية في جامعته نفسها ، أي جاءته إلى عقر داره ، لم يكن يحمل درجات علمية عالية ، وإنما اعتمد على جهده الذاتي فجاء صيغة فريدة في تكوينه . وفي هذا التكوين عبر وعظمت على ما يمكن أن تفعل العزيمة الثابتة والإرادة القوية في صباغة الفرد .

زاوُل طاغور الغناء

وقام بالتمثيل

ومارس الرسم .

وعني يتنسيق حديقته بنفسه . واشترك في أداء الكثير من الأغاني ورقصات الفنون الشعبية .

وكان في كل ذلك يحقق امتداداً وعمقا لشخصيته في صميم تراثه القومي وشخصيته القومية التي عاشها تراثاً منقولاً في الكتب ، ومتواتراً على الشفاه ، ومحسداً في الموروث الباقي من أغان ورقصات . إنها عملية انغماس زادت في

توطيد صلته بأعماق الروح القومية وبالآثار القومي الذي لم يعيشه متفرجا عليه من الخارج ، ولكنه عاشه مندجاً فيه من الداخل . إنها عملية بحث واكتشاف دائم للعناصر المكونة للذات القومية . وفي خلال هذا الاكتشاف كان طاغور يعثر على نفسه ، ويكتشف كيانه ويقدم للعالم صورة غير مألوقة لديه تميزت بلونها الخاص ، ومذاقها الخاص . فالعالمية تحققت له من خلال الاستغراق في اللون المحلي ، بل المغرق في طابعه المحلي ولو لم ينقل طاغور إلى العالم طابع قومه وألوانهم وملامح أمته ، وجوهر خضارته لما وجد ما وجدته من إقبال واحتضان وإعجاب .

وكثيراً ما يقرون طاغور باسم الشاعر الألماني الكبير (جيته) في تعدد المواهب ، وتنوع الاهتمامات والانشغال بالكشوفات العلمية . فقد ألف طاغور كتاباً مبسطاً في الفيزياء النووية ، ويذكر أن صديقه العالم السير بوزي الذي كان عضواً في الجمعية الملكية الإنجليزية قال عنه (لقد ضاع فيك عالم كبير) ومع ذلك ، فإن طاغور يتميز على (جيته) بهذه الإنسانية الرحبة والعمق الروحي في العلاقات البشرية ، وهي صفات لم يعرف بها الشاعر الألماني الذي كان محصوراً في عالمه الذاتي الخاص فاتراً في علاقاته البشرية ، ضعيف الاهتمام بكل ما يصله بالإنسان ، أما طاغور فقد كان صاحب رسالة ، وقد عاش حياته مفتحة على مختلف التجارب والاتجاهات ، ووضعته مكانته الأدبية في موضع القيادة الفكرية الروحية فعني بكل ما يشغل مجتمعه الوطني والإنساني واتسع قلبه للكون فكان صوتاً من أعظم أصوات العصر الحديث .

وقد أحسن طاغور إقامة الجسور التي تصله بالعالم ، وتعرف بأدبه ورسالته وكانت له صداقات عالمية وعلاقات ودية مع كبار رجال العصر ساعدت على ذبوع صيته وانتشار شهرته وتأكيد مكانته .

وكان صوته الشعري وحده كافيا لتخليده واستغراق كل طاقاته ، ولكنه أبى إلا أن يكون عنصرا فعالا في المجتمع الانساني الكبير ، فجمع إلى الشعر والأدب اهتمامات أخرى تصله بالمعرفة والفن والنشاط الانساني ، كان آخرها الرسم الذي مارسه وهو في الستين من عمره . لقد كان طاغور حقا فنانا في فن الحياة .

في شعر طاغور حب للحياة ، ودعوة حارة للاندماج فيها . وحب للحياة حدد موقفه من الموت فهو لا يراه شيئا بغیضا كرها ، ولكنه يعتبره (آخر انجازات حياته) وفي قصائده التي يناجي بها الموت ويستعد لاستقباله نغمة فريدة لا نعث عليها عند غيره من الشعراء .

أيها الموت
يا موتي
آخر انجازات حياتي
تعال ، ونحدث إلي همسا
لقد انتظرتك يوما بعد يوم
وتحملت من أجلك
أفراح الحياة وأتراحها
وجميع ما يكونني
وكل ما أملك
وكل ما أرجو
تدفقت نحوك في سر عميق
نظرة أخيرة من عينيك
ستجعل حياتي كلها لك
لقد ضفرت الزهور

وهي أكليل العريس
وبعد الزفاف
ستترك العروس بيتها
وتذهب وحدها
لمقابلة سيدها
في وحدة الليل ...

وبعد فما أكثر الوقفات ، وما أكثر الجوانب وما أوفر الشواهد التي يمكن
أن تستخلص من حياة ، ومن شعر هذا الشاعر العظيم فقدمة واحدة لشعر
طاغور لا تكفي ، ووقوف عند ناحية معينة من شعره لا تكفي ، ولو طأوع المرء
هواه لانتهى به هذا الفصل إلى كتاب يوضح العناصر التي يقوم عليها هذا
الكون الرحيب الذي يقدم نفسه بنفسه ويشعر أبوابه دون ستار أو حجاب.

على أن سؤال الخاتمة ، يلاحق هذه المقدمة ... لماذا لم يكن لطاغور أثر
قوى فاعل في الشعر العربي الحديث ؟ ولماذا انفتحت الحركة الشعرية على
شعراء غربيين أقل منه وزنا وقيمة ؟ أهو الولع بتطعيم شعرهم وسيرتهم بأسماء
الشعراء الذين لم يقرأوا لهم سوى نتف متفرقة من إبداعهم ، حتى يرفعوا من
قيمتهم باستدعاء هذه الأسماء فيما يسوقون من تحيات شعرية ونداءات
وهتافات برعوا في صياغتها للإشعار بالزمالة ووحدة المصير ؟

أم هو الشرق لا ينجذب إلى الشرق ، والمألوف من العادات المتشابهة
المتقاربة لا يثير الاهتمام ..

هذا سؤال . نحتم به هذه المقدمة وتحية لهذا الشاعر العظيم جزاء ما علمنا
من دروس بشعره وفنه وسيرته وإرادته التي لا تعرف اليأس ولا القنوط ..

كنت أظن أن رحلتي
قد أوشكت على الختام
وأن قواي قد بلغت غاية الانهك
وأن الطريق أمامي مسدودة
وأن زادي قد انتهى
وأنه ربما حانت ساعة الانسحاب
إلى الصمت والظلام
ولكنني اكتشفت أن إرادتك لا تعرف نهاية لي
وعندما تموت الكلمات القديمة
تتدفق أنغام جديدة من القلب
وحين تضيق الطرق القديمة
يبدو في الأفق
بلد جديد رائع .

خليفة محمد النليسي



خليفة معة التليسي

جشنِ جالی

جيتنجالى

①

لقد خَلَقْتَنِي بِإِلَاحِدٍ
تِلْكَ هِيَ إِرَادَتُكَ .
وهذه الكَاسُ الرَّهِيْفَةُ
كُنْتَ تُفَرِّغُهَا أَبَدًا
ثُمَّ تُفَعِّمُهَا عَلَى الدَّوَامِ
بِحَيَاةٍ دَائِمَةٍ الْجِدَّةِ .
وَهَذَا النَّايُ الْقَصِيْبِيُّ الصَّغِيرُ
حَمَلْتَهُ إِلَى الْهَضَابِ وَالْوُدْيَانِ
وَنَفَحْتَ عَبْرَهُ
أَغَانِي دَائِمَةِ الْجِدَّةِ .
وَحِينَ تَلَمَسُنِي يَدَاكَ الْخَالِدَتَانِ

فَإِنَّ هَذَا الْقَلْبَ الصَّغِيرَ
يَضِيعُ فِي فَرْحَةٍ لَا حَدَّ لَهَا.
وَيُغْنِي أَغَانِي غَامِضَةِ الْمَعْنَى
وَفَوْقَ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ
تَهْبِطُ عَطَايَاكَ اللَّامِحْدُودَةَ.
وَيَمْضِي الْفَجْرُ
وَتَتَوَالَى الْأَيَّامُ
وَتَسْتَمِرُّ أَنْتِ فِي سَكْبِ عَطَايَاكَ
وَيَظَلُّ هُنَاكَ دَوَّامًا
مَكَانٌ يَنْتَظِرُ الْمَزِيدَ مِنَ الْإِمْتِلَاءِ

②

عِنْدَمَا تَأْمُرُنِي بِالْغِنَاءِ
يَبْدُو قَلْبِي وَكَأَنَّهُ يَفِيضُ بِالْفَخْرِ
وَأَحْلَقُ فِي مُحِيَّاكَ

وَتَغْرُورِقُ عَيْنَايَ بِالْذُّمُوعِ
 وَكُلُّ مَا فِي حَيَاتِي مِنْ مَرَارَةٍ قَاسِيَةٍ
 وَعَدَمِ انْسِجَامِ
 يَنْصَهَرُ فِي تَنَاعُمِ عَذْبِ لَطِيفِ
 وَتَنْشُرُ عِبَادَتِي أَجْنِحَتَهَا
 كَطَائِرٍ سَعِيدٍ بِطَيْرَانِهِ عَبْرَ الْبَحَارِ
 أَعْرِفُ أَنَّكَ تَسْتَمِيعُ بِإِنْشَادِي
 وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَى مُحَضَّرِكَ
 إِلَّا كَمُنْشِدٍ
 وَبِجَنَاحِ أُغْنِيَتِي الْمُتَبَسِّطِ
 أَلْمَسُ قَدَمَيْكَ اللَّتَيْنِ لَمْ أَفَكِّرُ
 فِي لَمْسِهِمَا أَبَدًا
 وَفِي نَشْوَتِي بِإِنْشَادِي
 أُنْسَى نَفْسِي
 وَأَسْمِيكَ صَدِيقًا

وَأَنْتَ سَيِّدِي

3

لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ تُغْنِي يَا إِلَهِي
 إِنِّي أَصْغِي إِلَيْكَ دَوِّماً فِي صَمْتٍ ذَاهِلٍ
 إِنْ نَوَّرَ مُوسِيقَاكَ يُضِيءُ الْكَوْنَ
 وَأَنْفَاسَ أَنْعَامِكَ تَجُوبُ السَّمَاوَاتِ
 إِنِّي أَصْغِي إِلَيْكَ دَوِّماً فِي صَمْتٍ ذَاهِلٍ
 وَالْمَوْجَةَ الْمُقَدَّسَةَ لِمُوسِيقَاكَ
 تَفْتَحُ الْعَوَائِقَ الصَّخْرِيَّةَ
 ثُمَّ تَهْدُرُ مَاضِيَةً كَاسِيحَةً
 إِنْ الْقَلْبَ لَيَتَطَلَّعُ إِلَى التَّوَحُّدِ بِمُوسِيقَاكَ
 وَلَكِنْ عَبَثًا أَبْحَثُ عَنْ صَوْتٍ
 أَرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ
 وَلَكِنْ كَلِمَاتِي لَا تَنْصَهَرُ فِي أَغْنِيَاتٍ

أَوْ صَرَخَاتٍ عَاجِزَةٍ
لَقَدْ أَسْرَتْ قَلْبِي
بِشَبَابِكَ مُوسِيقَاكَ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ

4

يَا حَيَاةَ حَيَاتِي
إِنِّي لِأَسْعَى عَلَى الدَّوَامِ
لَأَنْ أَحْفَظَ لِحَسْمِي طَهَارَتَهُ
لِمَعْرِفَتِي بِأَنْ مَلَأْتُكَ الْحَيَّةَ
تَلَمَسُ كُلُّ أَعْضَائِي
وَأَحَاوِلُ دَوْمًا أَنْ أُبْعِدَ كُلَّ زَيْفٍ
عَنْ أَفْكَارِي
لِمَعْرِفَتِي بِأَنَّكَ الْحَقُّ الَّذِي أَوْقَدَ
فِي عَقْلِي نُورَ التَّفَكِيرِ
وَأَحَاوِلُ دَوْمًا أَنْ أَطْرُدَ كُلَّ شَرٍّ

عن قلبي
وأجعله يزدهر بالحب
لمعرفتي بأنك تُقيم
بأعمق أغوار القلب .
وأحاول دوماً في كل أعمالي
أن أكتشفك
لمعرفتي بأن قوتك
هي التي تمنحني القدرة على التصرف

5

لتسمح لي بالجلوس إلى جوارك
لحظة قصيرة
إن الأعمال التي تشغل بالي
يُمكِنُ إنهاؤها فيما بعد .
فبعيداً عن رؤية مُحياكَ

لَا أَعْرِفُ هُدًى وَلَا رَاحَةً
وَيُصْبِحُ عَمَلِي مَشَقَّةً بِالْغَةِ
فِي بَحْرِ لَا حُدُودَ لَهُ مِنَ الْأَلَامِ .
لَقَدْ جَاءَ الصَّيْفُ
إِلَى نَافِذَتِي
بِهَمَسَاتِهِ وَتَنْهَدَاتِهِ
وَالنَّحْلُ أَخَذَ يَصْنَعُ أَقْرَاصَهُ
فِي سَاحَةِ غَابَةِ الزُّهُورِ .
لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ الْآنَ
لِكَيْ أَجْلِسَ إِلَيْكَ
وَجْهًا لِيُوجِّهَ
هَادِئِينَ .
وَأَغْنِي نَذْرَ حَيَاتِي لَكَ
فِي هَذَا الْهُدُوءِ الطَّافِحِ بِالسُّكُونِ

لِتَقُطِفْ هَذِهِ الزَّهْرَةَ الصَّغِيرَةَ
وَلِتُمْسِكْ بِهَا
دُونَ تَبَاطُؤٍ
إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَذُبُّلَ
وَتَسْقُطَ فِي التُّرَابِ
وَلَا أَدْرِي إِذَا كَانَتْ سَتَحْطِي
بِمَكَانٍ فِي إِكْلِيلِكَ
وَلَكِنْ لِتُكْرِمَهَا
بِلَمْسَةٍ رَجِيمَةٍ مِنْ يَدِكَ
وَلِتَقُطِفْنَهَا
أَخْشَى أَنْ يَنْتَهِيَ النَّهَارُ
قَبْلَ يَقْطِئِي
وَتَفُوتُ سَاعَةُ الْعَطَاءِ وَالْهَيَاتِ

رَغْمَ أَنْ لَوْنَ هَذِهِ الزُّهْرَةَ شَاجِبٌ
وَرَايَحَتَهَا ضَعِيفَةٌ وَاهِنَةٌ
فَلْتَسْتَفِدْ مِنْهَا
طَالَمَا كَانَ فِي الْوَقْتِ مُتَسَعٌ
وَلْتَقَطْهَا ..

7

لَقَدْ تَجَرَّدْتُ أُغْنِيَنِي مِنْ كُلِّ تَصْنُوعٍ
فَلَا تُزْهِمِي بِالثِّيَابِ الرَّائِعَةِ
أَوْ الزُّخَارِفِ الْفَاحِشَةِ
فَلَنْ تُفْلِحَ هَذِهِ الْحُلِيِّ إِلَّا فِي أَنْ تُعِيقَ ائْتِحَادَنَا
وَتُعْطِي عَلَيَّ هَمَسَاتِكَ إِلَيَّ
إِنْ زَهْوَى كَشَاعِرٍ
يَمُوتُ خَجَلًا عِنْدَ رُؤْيَاكَ
آه

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْأَعْظَمُ
إِنِّي أَجْلِسُ تَحْتَ قَدَمَيْكَ
وَأَجْعَلُ حَيَاتِي كُلَّهَا بَسِيطَةً نَاصِعَةً
مِثْلَ قِصَّةِ النَّاسِ
مَنْ أَجَلٍ أَنْ تَمْلَأَهَا بِمُوسِيقَاكَ

8

إِنَّ الطُّفْلَ الْمُحَلَّى بِأَزْيَاءِ الْإِمَارَةِ
وَأَطْوَاقِ الْجَوَاهِرِ النَّفْسِيَّةِ
يَفْقَدُ لَذَّتَهُ فِي اللَّعِبِ
فَأَثْوَابُهُ الْأَمِيرِيَّةُ تَعُوقُ خُطَاهُ.
وَخَوْفًا مِنْ أَنْ تَبْلَى أَثْوَابُهُ
وَيَعْلُوهُ الْعُبَارُ
يَنْتَبِذُ مَكَانًا قَصِيًّا وَيَنْعَزِلُ عَنِ الْعَالَمِ
وَيَخْشَى مُجَرَّدَ الْحَرَكَةِ

أَمَّا

مَا نَفَعُ كُلَّ هَذِهِ الْأَنَاقَةِ الْفَاحِشَةِ

إِذَا كَانَتْ سَتْبَعِدُنَا عَنْ تَحِيَّةِ

عُتْبَارِ هَذِهِ الْأَرْضِ

وَتَحْرِيمُنَا مِنْ حَقِّ الْأَنْدِمَاجِ فِي حَفْلِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ

9

أَيُّهَا الْمَعْتُوهُ الَّذِي يُحَاوِلُ أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ فَوْقَ كَتِفَيْهِ

أَيُّهَا الْمُتَسَوِّلُ الَّذِي يَقِفُ عَلَى بَابِ

بَيْتِهِ مُسْتَجِدِّيًّا.

لِيَتَضَعُ أَحْمَالَكَ فَوْقَ هَذِهِ الْأَيْدِي الْقَادِرَةِ

عَلَى حَمْلِ كُلِّ شَيْءٍ

وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْوَرَاءِ

لِتَنْظُرَ إِلَى الْمَاضِي بِأَسْفٍ عَمِيقٍ

إِنَّ الرَّغْبَةَ تُظْنِي فَوْرًا

لَهَيْبِ الْمِصْبَاحِ
 إِذَا لَأَمَسَتْهُ بَأَنفَاسُهَا
 إِنَّهَا لَمُدَّ نَسَهُ
 فَلَا تَقْبَلِ الْعَطَايَا مِنْ يَدَيْهَا الْمُكْوَنَتَيْنِ
 وَاقْبَلِ بِمَا يُقَدِّمُهُ إِلَيْكَ
 الْحُبُّ وَحْدَهُ . . .

10

هَـا هُنَا الْمُتَّكِّا الَّذِي تَسْتَرِيحُ عَلَيْهِ قَدَمَاكَ
 حَيْثُ يَعِيشُ
 أَشَدُّ النَّاسِ فَقْرًا وَأَكْثَرُهُمْ وَضَاعَةً وَضِيَاعًا
 وَحِينَ أُحَاوِلُ أَنْ أُنْحَنِي لَكَ
 فَإِنَّ احْتِرَامِي لَا يَتَأْتِي لَهُ أَنْ يَبْلُغَ
 أَدْنَى مَا يُمَكِّنُهُ حَيْثُ
 قَدَمَاكَ تَسْتَرِيحَانِ بَيْنَ أَشَدِّ النَّاسِ

وَأَكْثَرِهِمْ وَضَاعَةً وَضِياعاً
 إِنْ الْكِبْرِيَاءَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقْتَرِبَ
 حَيْثُ تَسِيرُ مُرْتَدِيّاً ثِيَابَ
 أَشَدَّ النَّاسِ فَقْراً وَأَشَدَّهُمْ وَضَاعَةً وَضِياعاً
 إِنْ قَلْبِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ
 سَبِيلَهُ لِكَيْ يَنْزِلَ هُنَاكَ
 حَيْثُ تُرَافِقُ أَنْتَ مَنْ لَا رِفَاقَ لَهُمْ
 بَيْنَ أَشَدَّ النَّاسِ فَقْراً وَأَكْثَرِهِمْ حَقَارَةً
 وَضِياعاً

11

لِتَكْفُ عَنْ إِنْشَادِ أَنَاشِيدِكَ
 وَتِلَاوَةِ تَرَاتِيلِكَ
 مَنْ الَّذِي تَعْبُدُهُ فِي هَذِهِ الزَّاوِيَةِ الْمُظْلِمَةِ
 الْمُتَفَرِّدَةِ ؟

فِي مَعْبَدِ أَبْوَابِهِ كُلُّهَا مُعْلَقَةٌ
لِتَفْتَحَ عَيْنَيْكَ
وَلِتَنْظُرُ
إِنْ إِلَهَكَ لَيْسَ هُنَا
إِنَّهُ هُنَاكَ
حَيْثُ الْحَرَاثُ يَحْرِثُ الْأَرْضَ الصُّلْدَةَ
وَحَيْثُ يَجْهَدُ عَامِلُ الطَّرِيقِ ، فِي كَسْرِ الْحِجَارَةِ
إِنَّهُ مَعَهُمْ
فِي الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ وَفِي الْأَمْطَارِ الْهَاطِلَةِ
يُبَايُهُ مُعَفَّرٌ بِالْعُبَارِ
فَلْتَنْزِعْ مِعْطَفَكَ الْقُدْسِيَّ
وَلِتَنْزِلْ مَعَهُ إِلَى الْعُبَارِ
الانِعْتَاقُ؟
أَيْنَ تَقْنُنُ وَجُودَ هَذَا الانِعْتَاقِ؟
إِنْ رَبُّكَ نَفْسُهُ

قَدْ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ فِي غِبْطَةٍ
 رَوَّابِطَ الْخَلْقِ ؟
 إِنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِنَا جَمِيعاً رِبَاطاً أَبَدِيّاً
 فَلِتَتْرُكْ تَأْمُلَاتِكَ
 وَلِتَتَخَلَّ عَنْ الْبُحُورِ وَالزُّهُورِ
 أَيُّ سُوءٍ سَيُصِيبُكَ إِذَا بَادَتْ
 ثِيَابُكَ أَوْ تَلَطَّخَتْ
 لِيَتَذَهَبَ نَحْوَهُ
 وَلِيَتَقَفَّ قَرِيباً مِنْهُ
 حَيْثُ الْعَمَلُ وَعَرَقُ الْجَبِينِ

12

سَتَدُومُ رِخْلَتِي كَثِيراً
 وَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي أَمَامِي لَطَوِيلَةٌ
 لَقَدْ خَرَجْتُ فَوْقَ عَرَبَتِي

عِنْدَ تَبَاشِيرِ الْفَجْرِ
وَتَابَعْتُ رِحْلَتِي
عَبْرَ صَحَارَى الْعَالَمِ
وَتَرَكْتُ أَثْرِي
عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ .
إِنَّ الطَّرِيقَ الْبَعِيدَةَ
هِيَ الَّتِي تَجْعَلُنِي قَرِيباً مِنْكَ
وَبِالْجَهْدِ الشَّاقِ
يَبْلُغُ الْمَرْءُ بَسَاطَةَ النُّعْمِ .
وَعَلَى الْعَابِرِ
أَنْ يَطْرُقَ كَثِيراً مِنَ الْأَبْوَابِ الْغَرِيبَةِ
حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَابِهِ
وَعَلَيْهِ أَنْ يَجُوبَ الْعَوَالِمَ الْخَارِجِيَّةَ كُلَّهَا
حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَى الْمَعَابِدِ
فِي أَعْمَاقِ الْقَلْبِ

إِنْ عَيْنِي تُجُولَانِ بَعِيداً
قَبْلَ أَنْ أُغْمِضَهُمَا وَأَقُولَ . .
هَآ أَأَنْتَ هُنَا
إِنْ هَذِهِ الصَّرْخَةُ
وَهَذَا السَّوَالُ
يَذُوبَانِ فِي دُمُوعِ آفَافِ الْأَنْهَارِ
وَتَعْمُرُ الْعَالَمَ بِالْيَقِينِ
(أَنَا مَوْجُودٌ).

13

إِنْ الشَّيْدَ الَّذِي جِئْتُ لِكَي أُغْنِيَهُ
لَمْ أُشِيدْهُ بَعْدَ
لَقَدْ انْفَقْتُ الْوَقْتَ كُلَّهُ
فِي ضَبْطِ أَوْتَارِ مِعْزَفِي
بِشَدِّهَا حِينَا

وَارْخَائِهَا أَحْيَانًا
فَلَمْ يَتَأْتْ لِي ضَبْطُ الزَّمَنِ الصَّحِيحِ
وَالكَلِمَاتُ لَمْ تُعَدَّ إِعْدَادًا سَلِيمًا
وَفِي قَلْبِي
يَتَمَاجُ عَذَابُ الْأُمْنِيَّاتِ الَّتِي لَمْ تَتَحَقَّقْ
لَمْ أَرَ وَجْهَهُ
وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَهُ
لَكِنِّي سَمِعْتُ فَقَطْ
صَدَى خُطَوَاتِهِ
أَمَامَ بَيْتِي
لَقَدْ أَمْضَيْتُ يَوْمًا كَامِلًا
بِعُمْرِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا
لِكَيْ أُطْرَحَ عَلَى الْأَرْضِ
الْبَسَاطَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَجْلِسَ فَوْقَهُ
وَلَكِنِ الْمَصْطَبَاحُ لَمْ يُوقَدْ بَعْدَ

وَلَا يُمَكِّنُنِي دَعْوَتُهُ لِلدُّخُولِ
إِنِّي أَعِيشُ عَلَى أَمَلٍ لِقِيَا
فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ
وَلَكِنِّي لَمْ أَلْتَقِ بِهِ حَتَّى الْآنَ

14

كَثِيرَةٌ هِيَ رَغَبَاتِي
وَإِنَّ بُكَائِي مِنْ أَجْلِهَا لَمَثِيرٌ لِلْإِشْفَاقِ
وَلَكِنَّكَ كُنْتَ تَنْقِذُنِي عَلَى الدَّوَامِ
بِرَفْضِكَ الْقَاسِي لَهَا .
وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ
جَعَلْتَنِي جَدِيرًا بِعَطَايَاكَ
الْعَظِيمَةِ الْبَسِيطَةِ
الَّتِي كُنْتَ تَمْنَحُهَا لِي
بَلَا طَلَبٍ مِنِّي

هذه السَّمَاءُ، وهذا الثُّورُ
هذا الجَسَدُ، وهذا الفِكْرُ
وهذه الحَيَاةُ
فَأَنْقِذْنِي مِنْ أَخْطَارِ
رَغْبَاتِي الْكَثِيرَةِ .
أَحْيَانًا اسْتَيْقِظُ وَأُهْرَعُ
فِي عَنَاءِ
لِبُلُوغِ الْهَدَفِ
وَلَكِنَّكَ تَحْجُبُ عَنِّي نَفْسَكَ بِقُوَّةٍ
وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ
تَجْعَلُنِي جَدِيرًا بِالْقُبُولِ لَدَيْكَ
بِرَفْضِكَ الدَّائِمِ الثَّابِتِ
فَتَنْقِذْنِي مِنْ أَخْطَارِ
الرَّغْبَةِ الضَّعِيفَةِ الْمَشْبُوهَةِ .

أَنَا هُنَا

لَأُرْتَلَّ عَلَيْكَ أَنَا شَيْدِي

وَفِي سَاحَتِكَ الْكَبِيرَةِ الْوَاسِعَةِ الْأَرْجَاءِ

أَحْتَفِظُ لِنَفْسِي بِإِحْدَى الزَّوَايَا.

وَفِي عَالَمِكَ

لَيْسَ لَدَيَّ عَمَلٌ أَعْمَلُهُ .

وَحَيَاتِي الْعَابِثَةُ بِمُكِنِّهَا فَقَطْ

أَنْ تَتَدَفَّقَ فِي أَنْعَامِ

بِلَا غَايَةٍ

وَعِنْدَمَا تَدُقُّ سَاعَةُ عِبَادَتِكَ الصَّامِتَةِ

فِي ظُلْمَةٍ هَيَّكَلِ اللَّيْلِ

فَلْتَاْمُرْنِي يَا إِلَهِي

بِأَنْ أَقِفَ أَمَامَكَ

وَأَعْنِي . .

وَعِنْدَمَا تُشَدُّ أَوْتَارُ الْقِيَارَةِ الذَّهَبِيَّةِ

عِنْدَ الصَّبَاحِ

فَلْتَمُنْحِنِي شَرَفَ الْأَمْرِ

بِأَنْ أَكُونَ حَاضِرًا

16

لَقَدْ تَلَقَّيْتُ دَعْوَتِي

لِحُضُورِ احْتِفَالِ هَذَا الْعَالَمِ

لَقَدْ كَانَتْ حَيَاتِي مُبَارَكَةً مَيْمُونَةً

وَلَقَدْ شَبِعَتْ عَيْنَايَ مِنَ النَّظَرِ

وَأُذُنَايَ مِنَ الْإِصْغَاءِ

وَفِي هَذَا الْعِيدِ

يَتَّبِعِي أَنْ أَكْتَفِي بِعَرَفِ آلَتِي

وَلَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أُوَدِّيَ الدُّورَ الْمُكَلَّفَ بِهِ

عَلَى أَحْسَنَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُؤَدَّى
وَالآنَ أَسْأَلُ

هَلْ حَانَ أَخِيرًا أَوْانُ الدُّخُولِ إِلَى حَرَمِكَ
وَرُؤْيَا مُحَيَّاكَ
وَتَقْدِيمِ تَحِيَّاتِي الصَّامِتَةِ؟

17

لَا أَنْتَظِرُ سِوَى حَبِيبِي
لِكَيْ أُلْقِيَ نَفْسِي
بَيْنَ يَدَيْهِ
لَقَدْ تَأَخَّرَ الْوَقْتُ
وَلَمَنِي لَمَلَوْتُ
بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَطَايَا وَالتَّقْصِيرِ
إِنَّهُمْ يَا تُون
بَشَرَاتِهِمْ وَقَوَانِينِهِمْ

لِكَيْ يُقَيِّدُونِي
وَلِكَيْ أَفْلِتُ مِنْهُمْ دَوْمًا
لَأَنْتِي لَا أُنْتَظَرُ سِوَى حَبِيبِي
لِكَيْ أُلْقِي نَفْسِي
بَيْنَ يَدَيْهِ

إِنَّهُمْ يَحْرُمُونِي
وَيُسَمِّنُونِي طَائِشًا مُتَهَوِّرًا
وَلَا رَيْبَ عِنْدِي فِي أَنَّ التُّهْمَةَ صَحِيحَةٌ
لَقَدْ انْقَضَى يَوْمَ السُّوقِ
وَانْتَهَتْ الْأَعْمَالُ
وَالَّذِينَ جَاؤُوا لِدَعْوَتِي عَبَثًا
قَدْ عَادُوا خَائِبِينَ
لَأَنْتِي لَا أُنْتَظَرُ سِوَى حَبِيبِي
لِكَيْ أُلْقِي نَفْسِي بَيْنَ يَدَيْهِ .

غُيُومٌ فَوْقَ غُيُومٍ
تَتَلَبَّدُ

وَالظُّلْمَةُ أَخَذَتْ تَسْرِي فِي الْكَوْنِ
فَلِمَ تَتْرُكُنِي وَحْدِي يَا حَبِيبِي
أَنْتَظِرُكَ أَمَامَ الْبَابِ؟

إِنِّي أَنْغَمِسُ فِي جُمُوعِ النَّاسِ
وَسَطَ النَّهَارِ حِينَ يَنْشَطُ الْعَمَلُ وَيَبْلُغُ عُنْفُوَانُهُ
وَلَكِنْ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُوحِشِ الْقَائِمِ
أَنْتَ أَمَلِي الْوَحِيدُ

فَإِذَا لَمْ تَكْشِفْ لِي عَنْ مُحْيَاكَ
وَإِذَا أَقْصَيْتَنِي مِنْ قُرْبِكَ
فَكَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أُطِيقَ كُلَّ هَذِهِ السَّاعَاتِ
الطَّوِيلَةِ الْمُمَطَّرَةِ

إِن الْبَصَرَ يَتِيهِ فِي ظُلْمَةِ السَّمَاءِ
وَقَلْبِي يَجُوبُ الْآفَاقُ خَافِقًا مُرْتَجِفًا
مَعَ الرِّيحِ الَّتِي تَهْبُ بِلَا انْقِطَاعٍ

19

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتَحَدَّثْ إِلَيَّ
فَسَأْفَعِمُ قَلْبِي بِصَمْتِكَ
وَأَصْبِرُ عَلَيْهِ .
وَبِرَأْسٍ خَافِضٍ خَاشِعٍ
أُظِلُّ عَلَى صَمْتِي
وَأَنْتَظِرُكَ كَمَا يَنْتَظِرُ اللَّيْلُ الْمَوْرِقُ
يَقْظِيهِ الْمُرْصَعَةُ بِالنُّجُومِ .
يَقِينًا
إِن الصُّبْحَ سَوْفَ يُقْبِلُ
وَسَتَبْدُدُ الظُّلُمُ

وَسَوْفَ يَسْكُبُ صَوْتُكَ
عَبْرَ السَّمَاءِ
أَشْعَةً ذَهَبِيَّةً
وَحِينًا تَتَّخِذُ كَلِمَاتِكَ
أَجْنَحَةً مِنَ الْأَغْنِيَاتِ
تَتَّبَعْتُ مِنْ جَمِيعِ أَوْتَارِ طُيُورِي
وَتَزْهَرُ أَنْعَامُكَ
فِي جَمِيعِ أَدْغَالِي

20

فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَفْتَحَتْ فِيهِ
أَزْهَارُ اللُّوتُسِ
كَانَ ذِهْنِي يَجُوبُ الْآفَاقَ
شَارِدًا غَافِلًا عَنْهَا
وِظَلَّتْ سَلَّتِي فَارِغَةً

وَالزَّهْرُ مُهْمَلًا مَنْسِيًّا
كُنْتُ وَحِيدًا
وَبَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى
كَانَ الْحُزْنُ يَنْزِلُ فِي أَعْمَاقِي
وَاسْتَيْقَظْتُ فُجَاءَةً مِنَ النَّوْمِ
وَشَعَرْتُ بِأَثَرِ عَذَابٍ
لِيعْطَرِ غَرِيبٍ
يُصَاحِبُ رِيحَ الْجَنُوبِ
تِلْكَ الْعَذُوبَةُ الْغَايِضَةُ
عَذَّبْتَنِي
وَبَدَتْ لِي أَنَّهَا نَفْسُ الصَّيْفِ الْحَارِ
يَبْحَثُ عَنْ كَمَالِهِ
وَلَمْ أَفْهَمْ حِينَئِذٍ
أَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنِّي
وَأَنَّهُ كَانَ لِي وَحْدِي

وَأَنَّ هَذِهِ الْعُدُوبَةُ الْكَامِلَةُ
إِنَّمَا تَفْتَحَتْ
فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي

(21)

أَوَاهِ
عَلَيَّ أَنْ أَدْفَعَ بِقَارِبِي إِلَى الْعُبَابِ
وَفَوْقَ الشَّاطِئِ تَمْضِي السَّاعَاتُ
خَامِلَةً وَاهِنَةً
لَقَدْ فَتَحَ الرَّبِيعُ زُهورَهُ
وَاسْتَأْذَنَ فِي الرَّحِيلِ
وَأَنَا أَنْتَظِرُ عَلَى الشَّاطِئِ
بِحُمُولَتِي التَّافِهَةِ مِنَ الزُّهورِ الدَّابِلَةِ
إِنَّ الْأَمْوَاجَ لَتَصْطَخِبُ وَتَتَعَالَى
وَفِي الطَّرِيقِ الظِّلِيلَةِ تَرْتَجِفُ الْأوراقُ الصُّفْرَاءُ ، وَتَتَنَائَرُ

فِي أَيِّ فَرَاغٍ تُحَلِّقُ الْبَصَرَ؟
أَلَا تُحِسُّ بِرَجْفَةٍ تَسْرِي فِي الْفَضَاءِ
حَامِلَةً
إِيقَاعَاتٍ أُعْنِيَّةَ بَعِيدَةٍ
تَنْبَعِثُ مِنَ الشَّاطِطِيِّ الْآخِرِ

22

فِي الظِّلِّ الْكَثِيفِ لِشَهْرِ تَمُوزِ الْمُمَطِّرِ
تَمْتَلِي بِخُطُورَاتٍ خَفِيفَةٍ
صَامِتَةً كَاللَّيْلِ
هَارِبَةً مِنْ كُلِّ رِعَايَةٍ
لَقَدْ أَغْمَضَ النَّهَارُ عْيُونَهُ ،
مُسْتَحِفًّا
بِالدَّعَوَاتِ الْمُلِحَّةِ مِنْ رِيحِ الشَّرْقِ
وَانْبَسَطَ حِجَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى زُرْقَةِ السَّمَاءِ السَّاهِرَةِ

لَقَدْ عَطَلْتُ الْغَابَاتُ غِنَاءَهَا
وَكُلُّ الْأَبْوَابِ مُوصَدَّةٌ
وَأَنْتَ الْعَابِرُ الْوَحِيدُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الْمَهْجُورَةِ
يَا صَدِيقِي الْوَحِيدُ
يَا خَيْرَ أَصْدِقَائِي
إِنَّ بَابَ بَيْتِي لَمَفْتُوحٌ
فَلَا تَمُرَّ بِهِ مُرُورَ الطَّيْفِ

(23)

لَقَدْ خَرَجْتَ يَا صَدِيقِي
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْعَاصِفَةِ
مَنْ أَجَلَ رِحْلَتِكَ الْغَرَامِيَّةِ؟
إِنَّ السَّمَاءَ لَتَرْتَجِفُ يَأْسًا
وَإِنَّ لَيْلِي لَمُورِقٌ
وَمِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ

أَفْتَحُ الْبَابَ
وَأَحْدَقُ فِي الظَّلَامِ
يَا صَدِيقِي
لَا أَبْصِرُ شَيْئاً أَمَامِي
وَإِنِّي لَأَسْأَلُ أَيْنَ تَوْجَدُ طَرِيقُكَ
وَعَبْرَ أَيِّ صُفَّةٍ قَاتِمَةٌ
مِنَ النَّهْرِ الْأَسْوَدِ
أَوْ مِنْ أَيِّ حُدُودٍ قَصِيَّةٍ
لِلْغَايَةِ الْمُظْلِمَةِ
وَحِلَالِ أَيِّ مَتَاهَةٍ دُكْنَاءِ
تَمْشِي
لِكِي تَأْتِي إِلَيَّ
يَا صَدِيقِي

(24)

إِذَا انْقَضَى النَّهَارُ

وَاِنْقَطَعَتْ الْعَصَافِيرُ عَنِ الشُّدُورِ
 وَاسْتَرَحَّتْ الرِّيحُ إِعْيَاءً
 فَاسْدُلْ حِجَابَ الظُّلْمَةِ فَوْقِي
 كَمَا تُسْرِبِلُ الْأَرْضُ بِاسْتَارِ النَّوْمِ
 كَمَا أَعْمَضْتُ بِلُطْفٍ أَفْوَافَ زَهْرَةِ اللُّوتِسِ
 الَّتِي تَتَعَذَّبُ فِي غَسَقِ الظُّلَامِ
 وَعَنِ الْعَايِدِ الَّذِي فَرَّغَ زَادَهُ
 قَبْلَ إِتِمَامِ الرُّحْلَةِ
 وَتَهَلَّهْتَ أَثْوَابَهُ
 وَتَعَفَّرْتَ بِالْغُبَارِ
 وَتَخَاذَلْتَ قُوَاهُ
 لِتُبْعِدَ الْخِزْيَ وَالْبُؤْسَ .
 وَلِتُجَدِّدَ حَيَاتَهُ مِثْلَ الزَّهْرَةِ
 الَّتِي تَلْقُهَا أَسْتَارُ لَيْلِكَ اللَّطِيفِ . .

25

فِي لَيَالِي الْإِعْيَاءِ
 دَعْنِي أَسْتَسْلِمَ لِلنَّوْمِ بِلا صِرَاعٍ
 وَاضِعاً ثِقَتِي فِيكَ وَحَدَكَ
 لَا تَدْعُنِي أَرْغِمِ رُوحِي الْمُتَعَبَةَ الْكَادِرَةَ
 عَلَى الْاسْتِعْدَادِ لِعِبَادَتِكَ
 بِلا جَدَارَةٍ .
 أَنْتَ الَّذِي تَبْسِطُ رِداءَ اللَّيْلِ
 عَلَى عُيُونِ النَّهَارِ الْمُتَعَبَةِ
 لِكَيْ تُنْعِشَ النَّظَرَ
 بِبَهْجَةِ الْيَقْظَةِ الطَّرِيَّةِ . .

26

جَاءَ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي

وَلَكِنَّهُ لَمْ يُوقِظْنِي
يَا لِي مِنْ لَعِينٍ تَعِيسٍ!
جَاءَ فِي صَمْتِ اللَّيْلِ
يَحْمِلُ فِي يَدِهِ قِيثَارَهُ
وَكَاثَتْ أَحْلَامِي تَتَرَدَّدُ فِي أَنْغَامِهِ
أَوَاهُ
لِمَاذَا تَكُونُ لَيَالِي ضَائِعَةً
هَكَذَا عَلَى الدَّوَامِ
وَلِمَاذَا أَضِيعُ دَوْمًا رُؤْيَا
ذَلِكَ الَّذِي أَنْغَامُهُ
تَلْمَسُ أَحْلَامِي ..

(27)

النُّورُ .. آه .. أَتَيْنَ النُّورَ
فَلْتُوَقِدِ النُّورَ

بِنَارِ الرُّعْبَةِ الْمُشْتَعِلَةِ .
إِنِ الْمِصْبَاحُ لَجَاهِزٌ
وَلَكِنْ أَيْنَ الشَّرَارَةُ ؟
هَلْ هَذَا هُوَ قَدْرِي أَيُّهَا الْقَلْبُ
إِنِ الْمَوْتَ لَخَيْرٌ لَّكَ
إِنِ التَّعَاسَةُ تَطْرُقُ بِأَيِّ
وَتَقُولُ : إِنِ سَيِّدِكَ مَوْرُقٌ سَهْرَانُ
وَهُوَ يَدْعُوكَ إِلَى سَمْرِ الْحُبِّ
فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ .
السَّمَاءُ مَكْسُوءَةٌ بِالسُّحُبِ
وَالْمَطَرُ يَتَسَاقَطُ بِلَا هَوَادَةٍ
وَلَا أَدْرِي مَاذَا يَتَحَرَّكُ فِي أَعْمَاقِي .
وَلَسْتُ أَدْرِكُ مَعْنَاهُ
إِنِ الْبَرِيقَ الْمُفَاجِئَ لِلْبَرْقِ .
يُسْقِطُ ظِلَامًا حَادًا

وَقَلْبِي وَهُوَ يَتَرَنِّحُ يَبْحَثُ
 عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى حَيْثُ يَدْعُونِي
 انْسِجَامُ اللَّيْلِ وَتَنَاعُمُهُ
 النُّورُ . . أَيْنَ النُّورُ؟
 فَلْتُوَقِدِ النُّورَ بِنَارِ الرَّغْبَةِ الْمُشْتَعِلَةِ .
 الْعَاصِفَةُ تُدَوِّي
 وَالرَّيْحُ تَهَبُ ، مُصَفِّرَةٌ فِي الْفَرَاغِ .
 وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ سَوْدَاءُ
 فَلَا تَدْعِ السَّاعَاتِ تَمْضِي فِي الظَّلَامِ .
 وَلْتُوَقِدِ بِحَيَاتِكَ
 مُصْبِحَ الْحُبِّ

28

ثَقِيلَةٌ جِدًّا هِيَ الْقِيُودُ
 وَلَكِنْ قَلْبِي يَتَأَلَّمُ

حِينَ أَحَاوِلُ فَكَّهَا
إِنَّ الْحُرِّيَّةَ لَهِيَ رَغْبَتِي الْوَحِيدَةُ
وَلَكِنِ الْأَمَلَ فِي تَحْقِيقِهَا
يُشِيرُ حَجَلِي .
إِنِّي لَعَلِّي يَقِينٍ بِأَنْ ثَرَوَاتٍ طَائِلَةٌ
لَا تُقَدَّرُ كَامِنَةٌ فِيكَ أَيُّهَا الْحُرِّيَّةُ .
وَلِإِنْ أَعْظَمَ أَصْدِقَائِي هِيَ أَنْتِ .
وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ الشُّجَاعَةَ
لِكَيْ أَلْقِيَ بِكُلِّ بَهَارِجِي الزَّائِفَةِ الْخَدَاعَةِ
الَّتِي تَمْتَلِئُ بِهَا عُرْفَتِي
إِنِّي كَالْمَلْفُوفِ فِي سِتْرِ
مِنَ الْغُبَارِ وَالْمَوْتِ . إِنِّي أَكْرَهُهُ
وَلَكِنِّي فِي الْوَقْتِ نَفْسِي أَعَانِقُهُ بِحُبٍّ
إِنْ دُونِي لَعَلِيدَةٌ
وَدُّنُوْبِي لَخَطِيرَةٌ

وَتَبَجَّحِ الْخَفِيَّ لثَقِيلُ

وَلَكِنْ

عِنْدَمَا أَلْتَمِسُ الْخَيْرَ الَّذِي أَرْجُوهُ

أَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوْفِ لِمُجَرَّدِ التَّفَكُّيرِ

بِأَنَّ دَعْوَتِي سَتَكُونُ مُسْتَجَابَةً . .

29

هَذَا الَّذِي أَحْبَبْتُهُ دَاخِلَ اسْمِي

أَرَاهُ يَبْكِي فِي هَذَا السَّعْجَنِ

لَقَدْ كُنْتُ مُهْتَمًّا دَوْمًا

بِبِنَاءِ هَذَا السُّورِ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ

وَشَيْئًا فَهَيْئًا

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَكُلَّمَا ارْتَدَّادَ ارْتِفَاعُ هَذَا السُّورِ بِجَوِّ السَّمَاءِ

وَجَدْتَنِي أَفْقِدُ رُؤْيَا حَقِيقَتِي

فِي ظِلَالِهِ الْقَائِمَةِ
 إِنِّي أَبَاهِي بِهَذَا السُّورِ الْعَظِيمِ
 وَأَرِيْمُهُ بِالْعُبَارِ وَالتُّرَابِ
 خَوْفًا مِنْ أَنْ تَظَلَّ ثَغْرَةُ أَخِيرَةٍ
 فِي هَذَا الْاسْمِ
 وَمَعَ كُلِّ الْعِنَايَةِ الَّتِي أَبْذُلُهَا
 فَإِنِّي أَفْقِدُ رُؤْيَا حَقِيقَتِي الدَّائِيَّةِ . .

(30)

لَقَدْ خَرَجْتُ وَحْدِي لِلْقَائِكَ
 وَلَكِنْ ، مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّبِعُ خُطَايَ
 فِي الظُّلْمَةِ السَّاكِنَةِ؟
 حَدَّثَ عَنْهُ
 حَتَّى أَتَجَبَّ صُحْبَتَهُ
 وَلَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ الْإِفْلَاتَ مِنْهُ

فَبِمَشِيَّتِهِ الْبَاسِلَةِ الْوَائِقَةِ
كَانَ يُثِيرُ الْغُبَارَ
وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ أَنْطَقَهَا
كَانَ يُضِيفُ صَوْتَهُ الصَّاحِبَ
إِنَّهُ (أَتَايَ) الصَّغِيرَةُ
بِلَا خَوْفٍ وَلَا حَيَاءٍ
وَلَكِنِّي أَخْجَلُ أَنْ أَحْضُرَ إِلَى بَابِكَ
بِهَذِهِ الرُّفْقَةِ . .

31

أَيُّهَا الْأَسِيرُ
قُلْ لِي
مَنْ كَبَّلَكَ بِهِذِهِ الْأَغْلَالُ؟
أَجَابَ الْأَسِيرُ
إِنَّهُ مَوْلَايَ ! لَقَدْ زَيْنَ لِي الْوَهْمُ

بِأَنِّي سَأَفُوقُ جَمِيعَ الْعَامِلِينَ ثَرَوَةً وَسُلْطَانًا
 وَهَكَذَا أَخَذْتُ أَجْمَعَ فِي خَزَائِنِي
 أَمْوَالَ مَوْلَايَ
 وَحِينَ غَلَبَنِي النُّعَاسُ
 اضْطَجَعْتُ عَلَى السَّرِيرِ الْمُخَصَّصِ لِمَوْلَايَ
 وَحِينَ اسْتَيْقَظْتُ وَجَدْتَنِي أَسِيرَ كَنْزِي
 أَيُّهَا الْأَسِيرُ
 قُلْ لِي مَنْ الَّذِي صَنَعَ هَذِهِ الْأَغْلَالَ؟
 أَجَابَ
 أَنَا نَفْسِي صَنَعْتُ هَذِهِ الْأَغْلَالَ
 وَلَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى كَسْرِهَا
 ظَنَنْتُ أَنَّ قُوَّتِي الَّتِي لَا تُقْهَرُ
 سَوْفَ تَأْمُرُ الْعَالَمُ كُلَّهُ
 وَأَبْقَى وَحْدِي الْحَرَّ الطَّلِيقَ
 فَعَكَنْتُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى

صُنِعَ هَذِهِ الْأَغْلَالِ
 بِالنَّارِ الْمُوقَدَةِ وَالطَّرَقَاتِ الْعَنِيفَةِ
 وَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنَ الْعَمَلِ
 وَتَلَا حَمَتُ آخِرَ حُلُقَةٍ فِي
 هَذِهِ السُّلْسِلَةِ
 أَدْرَكْتُ أَنَّهَا تُضَيِّقُ عَلَيَّ
 الْخِنَاقَ بِقُبُضَتِهَا الْعَاتِيَةِ . .

(32)

الَّذِينَ يَحْبُونَنِي فِي هَذَا الْعَالَمِ
 يَبْحَثُونَ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ
 لِكَيْ يَشْدُونِي إِلَيْهِمْ .
 وَحُبُّكَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ
 وَلَكِنَّةً لَا يُصَادِرُ حُرِّيَّتِي .
 وَخَوْفًا مِنْ أَنْ أَنْسَاهُمْ

لَا يَجْرُؤُونَ عَلَى تَرْكِي وَحْدِي
وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ تَتَوَالَى وَتَتَعَاقَبُ
وَأَنْتَ لَا تَبْدُو الْبَتَّةَ
لَسْتُ أَدْعُوكَ فِي صَلَوَاتِي
وَلَا أَحْفَظُكَ فِي قَلْبِي
وَلَكِنْ حُبُّكَ لِي
مَا يَزَالُ يَنْتَظِرُ حُبِّي . .

33

عِنْدَ النَّهَارِ
جَاؤَا إِلَى دَارِي
وَقَالُوا:
سَنَشْغَلُ فَقَطْ أَصْغَرَ الْعُرْفِ
وَقَالُوا:
سُنُعِينُكَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ

وَنَقَبَلُ بِخُشُوعٍ ذَلِكَ النَّصِيبَ الزَّهِيدَ
 مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي نَسْتَحِقُّهَا .
 وَلَبِثُوا خَاشِعِينَ هَادِثِينَ .
 وَلَكِنِّي اكْتَشَفْتُهُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ .
 يَنْقَضُونَ بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ
 عَلَى مَعْبَدِي
 وَيَنْتَرِعُونَ فِي جَشَعٍ لَعِينٍ .
 عَطَايَا هَيْكَلِ الرَّبِّ . .

(34)

دَعْ لِي فَقَطْ
 ذَلِكَ الْقَلِيلَ الَّذِي أَدْعُوكَ بِهِ :
 أَنْتَ كُلِّي
 دَعْ لِي ذَلِكَ الْقَلِيلَ
 الَّذِي يُمَكِّنُنِي مِنَ الشُّعُورِ بِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ

وَأَنْ أُقْبَلَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ شَأْنٍ
وَأَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ حُبِّي فِي كُلِّ وَقْتٍ
دَعُ لِي ذَلِكَ الْقَلِيلَ
الَّذِي لَا يَسْمَحُ لِي بِالْاِخْتِفَاءِ
وَأَتْرُكُ لِي فَقَطْ تِلْكَ السُّلْسِلَةَ
الَّتِي تَرْبِطُنِي إِلَى إِرَادَتِكَ
وَدَعُ غَايَتَكَ تَتَحَقَّقْ فِي حَيَاتِي
الَّتِي هِيَ رِبَاطُ حُبِّكَ . .

35

حَيْثُ الْفِكْرُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ
وَحَيْثُ الرَّأْسُ يَرْتَفِعُ شَامِخًا عَالِيًا
وَحَيْثُ الْمَعْرِفَةُ حُرَّةٌ
وَالْعَالَمُ غَيْرُ مُمَزَّقٍ
دَاخِلَ الْجُدُرَانِ الْمَأْلُوفَةِ الضَّيِّقَةِ

وَحَيْثُ تَنْتَبِهُ الْكَلِمَاتُ مِنْ أَعْمَاقِ الْحَقِيقَةِ
 وَحَيْثُ الْجَهْدُ الْمُتَوَاصِلُ يَمُدُّ ذِرَاعَيْهِ نَحْوَ الْكَمَالِ
 وَحَيْثُ نَهْرُ الْبَلَدِ الصَّافِي
 لَا يَضِلُّ طَرِيقَهُ فِي رِمَالِ صَحْرَاءِ
 الْعَادَاتِ الْبَالِيَةِ
 وَحَيْثُ تَقُودُ الْعَقْلَ إِلَى الْأَمَامِ
 نَحْوَ أَفْكَارٍ وَأَعْمَالٍ تَزْدَادُ رَحَابَةً عَلَى الدَّوَامِ
 فِي ذَلِكَ الْجَوْ مِنْ الْحُرِّيَةِ
 اجْعَلْ بَلَدِي يَنْهَضُ
 يَا رَبِّ . . .

36

مِنْ أَجْلِ هَذَا
 أَلْتَمِسُ مِنْكَ يَا رَبَّاهُ
 أَنْ تَجْعَلَ الثَّعَاسَةَ الْمُتَغْرِسَةَ فِي قَلْبِي مِنْ جُذُورِهَا

وَأَنْ تُعْطِيَنِي الْقُوَّةَ لِكَي أُطِيقُ الْأَفْرَاحَ وَالْآلَامَ
وَأَمْنَحِيَنِي الْقُوَّةَ لِكَي أَجْعَلَ حَيِّي صَالِحاً
وَنَافِعاً فِي خِدْمَتِكَ
وَهَبْنِي الْقُوَّةَ عَلَى عَدَمِ انْكَارِ الْفَقْرِ
وَرَفْضِ الرُّكُوعِ أَمَامَ وَقَاحَةِ الطُّغَاةِ
وَهَبْنِي الْقُوَّةَ عَلَى أَنْ أَرْفَعَ الْفِكْرَ
فَوْقَ تَفَاهَةِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ
وَاعْطِنِي الْقُدْرَةَ عَلَى تَسْلِيمِ قُدْرَتِي
لِإِرَادَتِكَ

(37)

كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ رِحْلَتِي
قَدْ أَوْشَكَتَ عَلَى الْخِتَامِ
وَأَنْ قَوَايَ قَدْ بَلَغَتْ غَايَةَ الْإِنْهَاكِ
وَأَنْ الطَّرِيقَ أَمَامِي مَسْدُودَةٌ

وَأَنْ زَادِي قَدْ انْتَهَى
وَأَنَّهُ رُبَّمَا حَانَتْ سَاعَةُ الانْسِحَابِ
إِلَى الصَّمْتِ وَالظَّلَامِ
وَلَكِنِّي اكْتَشَفْتُ أَنْ إِرَادَتَكَ لَا تَعْرِفَ نِهَآيَةَ لِي
وَعِنْدَمَا تَمُوتُ الْكَلِمَاتُ الْقَدِيمَةُ
تَتَدَفَّقُ أَنْعَامٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الْقَلْبِ
وَحِينَ تَضِيعُ الطُّرُقُ الْقَدِيمَةُ
يَبْدُو فِي الْأُفُقِ
بَلَدٌ جَدِيدٌ رَائِعٌ

38

أُرِيدُكَ أَنْتَ ، أَنْتَ وَحَدَّكَ
هَذَا مَا يُرَدِّدُهُ قَلْبِي بِلَا نِهَآيَةَ .
زَائِفَةٌ فَارِغَةٌ
تِلْكَ الرَّغَبَاتُ الَّتِي تُحَاوِلُ عَلَى الدَّوَامِ

إِبْعَادِي عَنْكَ
وَمِثْلَمَا يُخْفِي اللَّيْلُ فِي ظِلَامِهِ الْحَالِكِ
رَغَبَاتِ النُّورِ
هَكَذَا يَتَرَدَّدُ فِي أَعْمَاقِ ضَمِيرِي صَدَى :
أُرِيدُكَ أَنْتَ ، أَنْتَ وَحْدَكَ
وَمِثْلَمَا تَبْحَثُ الْعَاصِفَةُ عَنْ نِهَآيَةٍ لَهَا فِي الْهُدُوءِ
حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ تُقَاوِمُ هَذَا الْهُدُوءَ بِكُلِّ
عُنْفٍ وَضَرَاوَةٍ
هَكَذَا تَمُرُّدِي
يُصَارِعُ حُبُّكَ
وَمَعَ ذَلِكَ يَصْرُخُ هَائِفًا :
أُرِيدُكَ أَنْتَ ، أَنْتَ وَحْدَكَ

(39)

عِنْدَمَا يَقْسُو الْقَلْبُ وَيَجِفُ

فَلْتُنْزِلْ عَلَيْهِ شَايِبَ الرَّحْمَةِ
وَعِنْدَمَا تُفْقِدُ النُّعْمَةَ فِي الْحَيَاةِ
فَلْتَأْتِ مِثْلَ هَدِيرِ الْأَغَانِي الْمُفَاجِئِ
وَعِنْدَمَا يَرْفَعُ الْعَمَلُ الصَّاحِبُ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
دَوِيَّةُ الْعَنِيفِ
وَيُقْصِيْنِي عَمَّا وَرَاءَ الْحَيَاةِ
فَلْتُنْزِلْ يَا سَيِّدَ الصَّمْتِ
بَلْسَمَكَ وَرَاحَتَكَ
وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ قَلْبِي الْبَائِسُ
مُنْزَوِيًّا مِثْلَ الْمُتَسَوِّلِ
فَلْتَفْتَحْ يَا مَلِيكِي بَابَكَ
وَلْتَدْخُلْ دُخُولَكَ الْمُظْفَرِ
وَعِنْدَمَا تُعْمِي الْأَغْرَاضُ الْعَقْلَ
بُغْبَارِهَا وَأَوْهَامِهَا

فَلْتَأْتِ أَيُّهَا الْقُدُّسُ الْوَاعِي
بِبَرِّكَ
وَرَعْدِكَ

(40)

يَا إِلَهِي
أَيَّامًا وَأَيَّامًا
لَمْ يَهْبِطِ الْمَطَرُ فَوْقَ قَلْبِي الْجَافِ
وَالْأَفْقُ عَارٍ وَقَاسٍ
لَا تَغْشَاهُ أَرْقُ السُّحُبِ
وَلَا تَتَرَدَّدُ فِيهِ آيَةٌ إِشَارَةٌ مُبْهِمَةٌ
بِمَطَرٍ نَدِيٍّ بَعِيدٍ
فَلْتُرْسِلْ
إِعْصَارَكَ الْغَاضِبِ
الْمُنْفَعِمَ بِالْمَوْتِ الْأَسْوَدِ

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ إِرَادَتَكَ
وَيَسَوِّطِ الْبَرْقِ
فَلْتُنْزِعْ كَافَّةً أَرْجَاءِ السَّمَاءِ
وَلَكِنْ يَا إِلَهِي
لِيَتَدَعُ هَذَا الْحَرَّ الصَّامِتَ
الَّذِي يَجْتَاحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَيَكْنَفُتِهِ وَسُكُونِهِ وَقَسْوَتِهِ
يَحْرِقُ قَلْبِي بِبِئْسَ أَسْوَدٍ
دَعِ سَحْبَ الرَّحْمَةِ
تَنْحَنِي مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ
بِنَظَرَةٍ مِثْلَ النَّظَرَةِ الْحَزِينَةِ الَّتِي تُلْقِيهَا الْأُمُّ
يَوْمَ الْغَضَبِ الْأَبْوِي

41

يَا حَبِيبِي

أَيْنَ تَحْتَفِي فِي الظِّلِّ، خَلْفَ الْجَمِيعِ
 وَفِي الطَّرِيقِ الْمُتَرَبَّةِ
 يَذْفَعُونَكَ
 وَيَتَجَاوَزُونَكَ
 وَيَعْتَبِرُونَكَ شَيْئًا لَا أَهَمِّيَّةَ لَهُ
 إِنِّي أَنْظِرُهُنَا سَاعَاتٍ طَوِيلَةً مُجَلَّةً
 أَنْتَرُكَ قَرَابِيْنِي
 بَيْنَمَا يَأْتِي الْعَابِرُونَ
 لِيَأْخُذُوا زُهُورِي
 وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى -
 حَتَّى أَوْشَكَتَ سَلْتِي أَنْ تَفْرَغَ
 لَقَدْ وَلَّى الصَّبَاحُ
 وَانْقَضَتِ الظُّهَيْرَةُ
 وَقَدْ أَثْقَلَ النَّوْمُ أَجْفَانِي
 وَالرِّجَالُ يَعُودُونَ إِلَى بُيُوتِهِمْ

وَيُحَدِّثُونَ فِي هَازِلِينَ
وَإِنِّي لِأَشْعُرُ بِخَجَلٍ قَاتِلٍ
جَالِسَةً مِثْلَ الْمُتَسَوِّلَةِ
رَافِعَةً أَطْرَافَ ثَوْبِي فَوْقَ وَجْهِهِ
وَحِينَ يَسْأَلُونَنِي مَاذَا أُبْغِي؟
فَإِنِّي أَخْفِضُ بَصَرِي ، وَلَا أُجِيبُ
كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَقُولَ لَهُمْ
إِنَّكَ وَحَدَّكَ الَّذِي أَنْتَظِرُ
وَإِنَّكَ وَعَدْتَنِي بِالْحُضُورِ
كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَقُولَ دُونَ خَجَلٍ
إِنِّي أَحْمِلُ فَقْرِي مَهْرًا لَكَ
إِنِّي أَطْوِي زَهْوِي بِكَ
فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
وَأَجْلِسُ فَوْقَ الْعُشْبِ أَرْقُبُ السَّمَاءَ
وَأَحْلُمُ بِرَوْعَةِ قُدُومِكَ الْمُفَاجِئِ

تَمَوَّجُ فَوْقَ عَرَبَتِكَ الْمَسَاعِلُ الْمُضِيئَةُ
 وَالْأَجْنِحَةُ الْمُدْهَبَةُ
 وَعَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ
 يَقِفُ هَوْلًا فِي ذُحُولٍ وَبِأَفْوَاهٍ فَاعِرَةٍ
 عِنْدَ رُؤُوسِكَ تَهْبِطُ مِنْ عَرَبَتِكَ
 لِتَرْفَعَنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُثْرَبَةِ
 وَتَضَعَ إِلَى جَانِبِكَ هَذِهِ الْمُتَسَوِّلَةَ
 ذَاتِ الثِّيَابِ الرَّثِيَّةِ
 الَّتِي تَرْتَجِفُ حَيَاءً وَفَخْرًا
 كَمَا تَرْتَجِفُ الشَّجَرَةُ الْعَلِيَّةُ
 حِينَ تُجَادِبُهَا أَنْسَامُ الصَّيْفِ
 وَلَكِنَّ الْوَقْتَ يَمْضِي
 وَلَا أَصْنَعِي لِضَجِيجِ عَجَلَاتِ عَرَبَتِكَ
 وَتَمُرُّ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوَاقِبِ
 يَصْحَبُهَا الضَّجِيجُ وَالصَّرَاخُ ، وَهَتَافُ الْمَجْدِ

وَوَحْدَكَ تَظَلُّ صَامِتًا
خَلْفَ الْجَمِيعِ
وَفِي الظِّلِّ .
أَيَكُونُ عَلَيَّ وَحْدِي أَنْ أَتَنْظِرَ
وَأُبْكِي
وَأُثْلِفَ قَلْبِي
فِي هَذَا الْإِنْتَظَارِ الْعَقِيمِ ؟

42

عند انبلاج النهار
تَرَدَّدَ الْهَمْسُ
بِأَنَّا سُبُّجِرُ وَحَدَّنَا
أَنَا وَأَنْتِ
فَوْقَ زُورْقٍ
مَنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ

برحلتنا هذه
نحو لا مكان ولا هدف
في ذلك المُحِيط الذي لا ضفاف له
وعند ابْتِسَامَتِكَ الوَاعِيَةِ الصَّامِتَةِ
تَتَعَالَى أَنَا شَيْدِي
في أَنْغَامِ طَلِيقَةٍ مِثْلِ الْأَمْوَاجِ
منعتقة من عبودية الكلمات
أَلَمْ يَأْتِ ذَلِكَ الْوَقْتُ بَعْدُ؟
أَلَا تَزَالُ هُنَاكَ أَعْمَالٌ يَنْبَغِي إِتْمَامُهَا؟
أُنْظُرُ
إن المساء يهبطُ على الضِفَّةِ
وفي النورِ الذي يَنْحُو نَحْوَ الزَّوَالِ التَّدْرِيجِي
تُحَلِّقُ الطَّيُورُ الْبَحْرِيَّةُ
عَائِدَةً إِلَى أَعْشَاشِهَا
مَنْ يَدْرِي

مَتَى تُفَكُّ الْمَرَّاسِي
وَيَغِيبُ الزُّورِقُ فِي اللَّيْلِ
كَمَا يَغِيبُ آخِرُ شُعَاعٍ
مِنْ أَشِيعَةِ الْغُرُوبِ

43

كَانَ النَّهَارُ
وَلَمْ أَكُنْ قَدْ هَيَّأتُ نَفْسِي لِاسْتِقْبَالِكَ
وَلَكِنَّكَ دَخَلْتَ قَلْبِي
بِلا دَعْوَةٍ، وَلَا سَابِقِ مَعْرِفَةٍ
وَوَسَمْتَ بِطَابَعِ الْخُلُودِ
الكَثِيرَ مِنَ اللَّحْظَاتِ الْعَابِرَةِ مِنْ حَيَاتِي
وَالْيَوْمَ حِينَ أَلْقِي عَلَيْهَا الْأَضْوَاءَ
صِدْقَةً
وَأَرَى طَابَعَكَ

أَفْطَنُ إِلَىٰ إِنِّهَا قَدْ اخْتَلَطَتْ مَعَ الذِّكْرِيَّاتِ
 الْأَفْرَاحِ وَالْأَفْرَاحِ
 فِي أَيَّامِي التَّائِفَةِ الْمَنْسِيَّةِ
 إِنَّكَ لَمْ تَبْتَعِدْ عَنِّي أَبَدًا
 مُسْتَهْزِئًا بِلُغَبَتِي الصَّبِيَّانَةِ
 وَصَدَى الْخُطُوبَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَتَرَدَّدُ
 فِي عُرْفَةِ الْعَابِي
 هُوَ الصَّدَى نَفْسُهُ الَّذِي يَتَرَدَّدُ
 الْآنَ مُتَنَقِّلًا مِنْ نَجْمٍ إِلَىٰ آخَرٍ.

٤٤

بَلْكَ هِيَ فَرْحَتِي
 أَنْ أُتَنَظَّرَ
 وَأَحْلَقَ فِي حَافَةِ الطَّرِيقِ
 حَيْثُ الظَّلَالُ تُلَاحِظُ الْأَضْوَاءَ
 وَالْمَطَرُ يَهْطِلُ فِي مَطْلَعِ الصَّيْفِ

وَيَحْيِيَنِي رُسُلُ
يَحْمِلُونَ أَخْبَاراً مِنْ سَمَاوَاتٍ بَعِيدَةٍ مَجْهُولَةٍ
إِنْ قَلْبِي لَعَامِرٌ بِالْغُبْطَةِ
وَعَذْبَةٌ هِيَ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ الْعَابِرِ
وَمِنْ الْفَجْرِ حَتَّى الْغُرُوبِ
أَجْلِسُ أَمَامَ بَابِي
وَإِنِّي لَعَلِي يَقِينُ
بَأَنَّهُ سَتُفَاجِئُنِي اللَّحْظَةُ الَّتِي أَرَاكَ فِيهَا
وَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْتَسِمُ
وَأُعْنِي وَحْدِي
وَعِنْدَ ذَلِكَ يَمْتَلِئُ الْجَوُّ
بِعَطْرِ الْوَعْدِ

45

أَلَمْ تَسْمَعْ خُطُوَاتِهِ الصَّامِتَةِ؟

إِنَّهُ يَتَقَدَّمُ ، يَتَقَدَّمُ ، دَائِمًا يَتَقَدَّمُ

فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

فِي كُلِّ عُمُرٍ

فِي كُلِّ يَوْمٍ

فِي كُلِّ لَيْلَةٍ

إِنَّهُ يَتَقَدَّمُ ، يَتَقَدَّمُ ، دَائِمًا يَتَقَدَّمُ

لَقَدْ غَنَيْتُ أَغْنِيَاتٍ كَثِيرَةً

مُخْتَلِفَةً النَّبَرَاتِ

وَالْأَفْكَارِ

وَلَكِنْ أَبْيَاتِي كَانَتْ تُغْلِنُ دَوْمًا

أَنَّهُ يَتَقَدَّمُ ، يَتَقَدَّمُ دَائِمًا يَتَقَدَّمُ

فِي الْأَيَّامِ الْمُمَطَّرَةِ

مَنْ نَيْسَانَ الْمُسْمِسِ

وَعَبَرَ الدُّرُوبِ الْخَضِرَاءِ بِالْغَايَةِ

يَتَقَدَّمُ ، يَتَقَدَّمُ دَائِمًا يَتَقَدَّمُ

وفي الظُّلْمَةِ الحَالِكَةِ مِنْ لَيَالِي يُولِيُو
وعَلَى عَرَبَةِ الغُيُومِ القَاصِفَةِ
إِنَّهُ يَتَقَدَّمُ ، يَتَقَدَّمُ دَائِمًا يَتَقَدَّمُ
فِي كُلِّ آلَامِي
وَفِي كُلِّ أَوْجَاعِي
كَانَتْ خُطُوَاتُهُ تَضَعُ عَلَى قَلْبِي
وَاللَّمَسَاتُ الذَّهِيَّةُ لِقَدَمَيْهِ
تَجْعَلُ كُلُّ أَفْرَاحِي مُتَأَلِّقَةً

46

لَا أَدْرِي فِي أَيِّ زَمَنٍ
مِنَ الْأَزْمَانِ البَعِيدَةِ
أَخَذْتَ فِي الاقْتِرَابِ مِنِّي
إِنَّ الشَّمْسَ وَالنُّجُومَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحْجُبَكَ عَنِّي
إِلَى الْأَبَدِ

ما أَكْثَرَ المَرَّاتِ
 صَبَاحاً وَمَسَاءً
 الَّتِي سَمِعْتَ فِيهَا وَقَعَ خُطُواتِكَ
 ودَخَلَ فِيهَا رَسولُكَ قَلْبِي
 ودَعَا فِي الخُفَاءِ
 لَأَ أَذْري لِمَاذَا حَيَاتِي اليَوْمَ
 كُلُّهَا جَيَّاشَةٌ مُسْتَوْفِزَةٌ
 وشيءٌ مِنَ الفَرَحَةِ الوَاجِفَةِ
 يَتَخَلَّلُ قَلْبِي
 لَكَأَنَّ الوَقْتَ قَدْ حَانَ
 لِانْهَاءِ عَمَلِي
 إِنَّ رَائِحَةَ خَفِيفَةٍ فِي الجَوِّ
 تَنُمُّ عَلَى عِطْرِ حُضُورِكَ العَذْبِ

47

لقد انْقَضَى اللَّيْلُ كُلُّهُ تَقْرِيْباً

وانتظاره صار عبثاً
وأخشى أن يفاجئني عند الصُّباحِ
بوقوفه عند بابي
حين يكون الإعياء قد أخذ مِنِّي كُلَّ مَا خِذِ
وانتهى بي إلى النُّومِ
أيها الأصدقاء
دَعُوهُ يَدْخُلُ
ولا تَقْفِلُوا طَرِيقَهُ
فإذا كَانَ وَقَعُ خُطُواتِهِ لَا يُوقِظُنِي
فَلَا تُحَاوِلُوا إيقاظِي
هذا رجائي إليكم
فلا أَرغب في أن أَوْقِظَ بِضَجِيجِ رَفْزَةِ العَصافِيرِ
ولا بِجَلْبَةِ الرِّيحِ
في عيد النُّورِ عند الصُّباحِ
ألا دَعُونِي، أَنامُ بِلا قَلْقٍ أو إِزعاجٍ

حَتَّى وَلَوْ جَاءَ مَوْلَايَ
 فُجَاءَةً لِلوُكُوفِ عِنْدَ بَابِي
 آه يَا لَنُومِي ، نَوْمِي الْغَالِي
 الَّذِي يَنْتَظِرُ فَقَطْ لَمَسَةَ رَقِيقَةٍ
 مِنْ يَدِهِ لِكَيْ يَتَلَاشَى
 آه يَا لَعَيْنِي الْمُغْمَضَتَيْنِ
 اللَّتَيْنِ تَرْغَبَانِ فِي أَنْ تَفْتَحَ أَهْدَابَهُمَا
 فَقَطْ عَلَى نُورِ ابْتِسَامَتِهِ
 حِينَ يَنْتَصِبُ أَمَامِي
 مِثْلَ الْحُلْمِ الَّذِي يَهْبُ مِنْ ظُلُمَاتِ النَّوْمِ
 دَعْوُهُ يَظْهَرُ لِعَيْنِي
 كَالْبَوَاكِيرِ الْأُولَى لِكُلِّ الْأَضْوَاءِ
 وَكُلِّ الْأَشْكَالِ
 وَدَعُّوا رَجْفَةَ الْفَرَحِ الْأَوَّلِ
 تَبْلُغُ النَّفْسَ الَّتِي اسْتَيْقَظَتْ عَلَى نَظَرَاتِهِ

وَدَعُوا عَوْدَتِي إِلَى نَفْسِي
تَكُونُ عَوْدَتِي الْفَوْرِيَّةُ إِلَيْهِ . .

48

بَحْرُ الصَّمْتِ الصَّبَاحِي
يَتَمَوَّجُ فِي غَمْغَمَاتٍ
مِنْ غِنَاءِ الْعَصَافِيرِ .
وَعَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ
تَبْدُو الزُّهُورُ كُلُّهَا سَعِيدَةً
وَتُرْوَةُ السَّمَاءِ الذَّهَبِيَّةِ
تَشْنَأُ عِبْرَ الْغُيُومِ الْمُتَشَقِّعَةِ
بَيْنَمَا كُنَّا نَعْبُرُ طَرِيقَنَا
مَشْغُولِينَ بِأَنْفُسِنَا
وَدُونَ أَنْ نُعِيرَهَا أَيَّاهِتمامٍ
فَلَمْ نُغْنِ أَغْنِيَاتِ بَهِيجَةٍ

وَلَمْ نَعْرِفْ
وَلَمْ نَذْهَبْ إِلَى الْقَرْيَةِ لِشِرَاءِ الْحَاجَاتِ
وَلَمْ نَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
وَلَمْ نَبْتَسِمْ
وَكُنَّا دَوْمًا تُسْرِعُ الْخُطَى
بَيْنَمَا الْوَقْتُ يَمْضِي مُسْرِعًا
الشَّمْسُ كَانَتْ عَالِيَةً فِي كِبِدِ السَّمَاءِ
وَالْيَمَامُ يَهْدِرُ فِي الظِّلِّ
وَالْأوراقُ الْجَافَّةُ تَدُورُ رَاقِصَةً
فِي هَوَاءِ الْهَجِيرِ اللَّافِحِ
وَفِي ظِلِّ شَجَرَةِ الْمَوْزِ
يَرْقُدُ رَاعٍ صَغِيرٌ حَالِمًا
فَارْتَمَيْتُ إِلَى جَانِبِهِ قُرْبَ جَدُولِ
وَأَلْقَيْتُ أَعْضَائِي الْمَنْهُوكةَ فَوْقَ الْعُشْبِ
رِفَاقِي ضَحِكُوا مِنِّي هَازِلِينَ

ثُمَّ أَسْرَعُوا السَّيْرَ بِرُؤُوسٍ شَامِخَةٍ
 وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى الْوَرَاءِ لِلتَّأَمُّلِ
 وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا لِلرَّاحَةِ
 وَتَلَّشُوا بَعِيدًا
 فِي زُرْقَةِ الضَّبَابِ
 مُجْتَازِينَ حُقُولًا وَهَضَابًا
 مَارِينَ بِلُدَانٍ بَعِيدَةٍ غَرِيبَةٍ
 لَكَ الْمَجْدُ
 يَا كَتِيبَةَ الْأَبْطَالِ الزَّاحِفَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا
 وَقَدْ اسْتَفْزَنِي اللَّوْمُ وَالسُّخْرِيَّةُ
 فَأَرَدْتُ النَّهْوضَ
 وَلَكِنْ عَبَثًا
 فَقَدْ ضِيعَتْ فِي هَاوِيَةٍ مِنَ التَّدَلُّلِ الْمُرِيحِ
 فِي ظِلَالِ بَهْجَةٍ غَامِضَةٍ
 أَنْ هُدُوءِ الظَّلَالِ الْخَضِرَاءِ

التي طَرَزَتْهَا الشَّمْسُ
 أَخَذَ يَنْتَشِرُ فِي قَلْبِي
 نَسِيتُ هَدَفَ رِحْلَتِي
 وَاسْتَسَلَمْتُ دُونَ مُقَاوَمَةٍ
 لَتَدَاخِلَ الْأَعْيَانِي بِالظُّلَالِ
 وَحِينَ نَهَضْتُ أَخِيرًا مِنْ سُبَاتِي
 وَفَتَحْتُ عَيْنِي
 رَأَيْتُكَ قَائِمًا أَمَامِي
 تَغْمُرُ أَحْلَامِي بِابْتِسَامَتِكَ . .
 مَا أَكْثَرَ مَا أَشْفَقْتُ مِنْ وُغُورَةِ الطَّرِيقِ
 وَطُولِهَا
 وَمَا أَكْثَرَ مَا شَعَرْتُ بِقُوَّةِ الصَّرَاعِ
 مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَيْكَ . .

وَوَقَفْتَ عِنْدَ بَابِ كُوخِي الصَّغِيرِ

كُنْتُ أُغْنِي وَحَلِي

فِي إِحْدَى الزَّوَايَا

فَتَنَاهَتْ أَنْعَامِي إِلَى سَمْعِكَ

فَنَزَلْتُ مِنْ عَرْشِكَ

وَوَقَفْتَ عِنْدَ بَابِ كُوخِي الصَّغِيرِ

إِنَّ الْمُغْنِينَ الْكِبَارَ فِي قَصْرِكَ كَثِيرُونَ

وَالْأَنْعَامُ تَتَرَدَّدُ فِي أَرْجَائِهِ كُلِّ الْوَقْتِ

وَلَكِنِ الْأَنْعَامَ الْبَسِيطَةَ

لِهَذَا الرَّاهِبِ الصَّغِيرِ

قَدْ اسْتَهْوَتْكَ وَأَثَرْتَ فِي نَفْسِكَ

نَعَمْ صَغِيرُ حَزِينٌ

يَمْتَزِجُ بِمُوسِيقَى الْكَوْنِ

نَزَلْتُ لَهُ مِنْ عَرْشِكَ

حَامِلًا زَهْرَةً نَدِيَّةً

هَدِيَّةٌ

وَوَقَفْتُ عِنْدَ بَابِ كُوْخِي الصَّغِيرِ .

(50)

لَقَدْ ذَهَبْتُ أَسْتَجِدِّي

مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ .

عَلَى طُولِ طَرِيقِ الْقَرْيَةِ .

حِينَ بَدَتْ لِي مِنْ بَعِيدٍ

مَرْكَبَتُكَ الْمَذْهَبَةَ

كَأَنَّهَا الْحُلْمُ الرَّائِعُ .

فَتَسَاءَلْتُ

مَنْ يَكُونُ مَلِكُ الْمُلُوكِ هَذَا؟

وَنَزَّائِدَتِ أَمْأَلِي

وَفَكَّرْتُ فِي أَنَّ الْأَيَّامَ الْبَائِسَةَ

قَدْ وُلَّتْ

وَلَبِثْتُ فِي انْتِظَارِ الْعَطَايَا الْعَفْوِيَّةِ
 وَالْخَيْرَاتِ الْمَشُورَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 وَوَقَفْتُ مَرْكَبَتَكَ بِالْقُرْبِ مِنِّي
 وَحَدِّقْتُ فِيَّ ثُمَّ نَزَلْتَ عَنْهَا بِاسِمَاءٍ
 وَأَحْسَسْتُ أَنَّ حَظَّ الْحَيَاةِ
 قَدْ أَدْرَكَنِي فِي النِّهَايَةِ
 ثُمَّ ، فَجْأَةً
 بَسَطْتَ يَدَكَ
 سَائِلًا
 مَاذَا لَدَيْكَ لِتُعْطِيَنِي ؟
 يَا لَهَا مِنْ بَادِرَةٍ رَفِيعَةٍ
 أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتَسْتَجْلِيَنِي
 مُتَسَوِّلًا وَمِثْلِي . .
 وَلَبِثْتُ مُضْطَرِبًا مُرْتَابًا
 ثُمَّ أَخْرَجْتُ مِنْ مِزْوَدِي

أَصْغَرَ حَبَّةَ قَمْحٍ
 وَقَدَّمْتُهَا إِلَيْكَ ..
 وَمَا أَعْظَمَ الْمُفَاجَأَةَ !
 حِينَ انْتَهَى النَّهَارُ
 وَجِئْتُ لِإِفْرَاقِ مِزْوَدِي
 وَنَفَضِهِ عَلَى الْأَرْضِ
 فَوَجَدْتُ حَبَّةَ مِنَ الذَّهَبِ
 فِي حَصِيلَتِي الْبَائِسَةِ
 بَكَيْتُ بِمَرَّارَةٍ
 وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي وَجَدْتُ الشَّجَاعَةَ
 لِأَنَّ أَهْبَكَ مَا كُنْتُ أَمْلِكُ ..

خَيْمَ اللَّيْلِ
 وَانْتَهتْ أَعْمَالُنَا الْيَوْمِيَّةُ

وَظَنَّا أَنْ آخِرَ الصُّيُوفِ
 قَدْ وَصَلَ ، لِقَضَاءِ اللَّيْلِ مَعَنَا
 وَأُغْلِقْتُ جَمِيعُ أَبْوَابِ الْقَرْيَةِ
 وَوَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ الَّذِي قَالَ
 إِنْ الْمَلِكُ سَوْفَ يَصِلُ
 فَأَجَبْنَاهُ ضَاحِكِينَ
 كَلَّا .. لَا .. لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ
 وَبَدَأَ لَنَا أَنَّهُمْ يَطْرُقُونَ الْبَابَ
 فَقُلْنَا فِي نَفُوسِنَا
 لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ سِوَى الرِّيحِ
 وَأُطْفَأْنَا الْمَصَابِيحَ
 وَخَلَدْنَا إِلَى النَّوْمِ
 وَوَاحِدٌ فَقَطْ قَالَ :
 إِنَّهُ الرَّسُولُ .
 فَأَجَبْنَاهُ ضَاحِكِينَ
 كَلَّا .. إِنَّهَا الرِّيحُ

كَانَتْ هُنَاكَ جَبَّةٌ فِي قَلْبِ اللَّيْلِ
 وَفَكَّرْنَا ، . نَاعِسِينَ أَنَّهُ هَزِمَ الرَّعْدُ الْبَعِيدُ
 وَارْتَجَفَتِ الْأَرْضُ
 وَاهْتَزَّتِ الْجُدْرَانُ
 فَأَقْلَقَ هَذَا نَوْمَنَا
 وَاحِدٌ فَقَطْ قَالَ :
 إِنَّهُ ضَجِيجُ الْعَجَلَاتِ
 فَنَمَعْنَا نَاعِسِينَ
 كَلَّا .. إِنَّهُ هَزِمَ الرَّعْدُ
 كَانَ اللَّيْلُ مَا يَزَالُ حَالِكًا
 حِينَ دَقَّ الطُّبْلُ
 وَسَمِعْنَا صَوْتًا يَهْتِفُ
 اسْتَيْقِظُوا
 عَجِّلُوا بِالْهُبُوبِ
 وَارْتَجَفْنَا مِنَ الْخَوْفِ
 وَوَضَعْنَا أَيْدِيَنَا عَلَى قُلُوبِنَا

وَاحِدٌ مِنَّا فَقَطْ قَالَ :
 انظُرُوا ، إِنَّهُ عَلَّمَ الْمَلِكُ
 فَتَهَضَّنَا صَارِحِينَ
 لِنُسْرِعَ ، لَيْسَ ثَمَّةَ وَقْتُ نُضِيعُهُ
 لَقَدْ جَاءَ الْمَلِكُ
 فَأَيْنَ أَكَالِيلُ الزُّهُودِ
 وَأَيْنَ الْعَرْشُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ ؟
 آه يَا لِلْعَارِ ، يَا لِلْفَضِيحَةِ الْكُبْرَى !
 أَيْنَ الْقَاعَةُ ، وَأَيْنَ الزُّيْنَاتُ ؟
 وَاحِدٌ فَقَطْ قَالَ :
 عَبَّأُ صُرَاخَكُمْ
 فَاسْتَقْبَلُوهُ بِأَيْدٍ فَارِغَةٍ
 وَقُودُوهُ إِلَى الْقَاعَاتِ الْعَارِيَةِ
 فَلْتَفْتَحُوا الْأَبْوَابَ
 وَلْتَنْفَخُوا الْأَبْوَاقَ
 لَقَدْ جَاءَ الْمَلِكُ

فِي قَلْبِ اللَّيْلِ
 إِلَى بَيْتِنَا الْمُظْلِمِ الْكَثِيبِ
 هَزِيمُ الرَّعْدِ يُزْمَجِرُ فِي السَّمَاءِ
 وَالظُّلْمَةُ يُرْجِفُهَا لَمَعَانُ الْبَرْقِ
 فَاحْمِلِ حَصِيرَكَ الْبَالِي
 وَاطْرَحْهُ فِي بَاحَةِ الْبَيْتِ
 فَقَدْ جَاءَ مَلِكُنَا فَجَاءَهُ مَعَ الْعَاصِفَةِ
 فِي أَعْمَاقِ اللَّيْلِ الرَّهِيبِ .

52

فَكَّرْتُ فِي أَنَّ أَسْتَهْدِيكَ عِقْدَ الْوَرْدِ
 الَّذِي تُطَوِّقُ بِهِ عُنُقَكَ

وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدِ الْجُرَّةَ
 وَهَكَذَا انتَظَرْتُ سَاعَةَ رَحِيلِكَ فِي الصَّبَاحِ
 لِكِي أُفْتَشَ عَنْ أَثَرٍ مِنْهُ فِي سَرِيرِكَ
 وَكُنْتُ كَالْمُسَوَّلَةِ الَّتِي تَبْحَثُ عِنْدَ الْفَجْرِ
 عَنْ بَقَايَا زَهْرَةٍ ذَابِلَةٍ
 أَوَاهُ .. مَا هَذَا الَّذِي وَجَدْتُ ؟
 أَيَّ عَهْدٍ تَرَكْتُهُ لِي ذِكْرِي حُبُّكَ ؟
 لَيْسَ زَهْرًا وَلَا قَارُورَةً عِطْرُ
 وَلَا أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الطِّيبِ
 وَلَكِنَّهُ سَيْفُكَ الْبَتَّارِ
 يَبْرِقُ كَاللَّهْيَبِ
 رَهِيْبٌ كَالصَّاعِقَةِ
 إِنْ ضَوْءَ النَّهَارِ
 يَتَسَلَّلُ عَبْرَ النَّافِذَةِ
 وَيَتَشَتِّرُ فَوْقَ السَّرِيرِ
 وَعَصْفُورُ الصَّبَاحِ يَغْرُدُ وَيَسْأَلُ

أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ مَاذَا وَجَدَتْ ؟
 لَيْسَ مَا وَجَدْتُهُ زَهْرًا
 وَلَا قَارُورَةً طِيبٍ وَلَا عِطْرًا
 إِنَّهُ سَيْفُكَ الْبَتَّارُ
 وَجَلَسْتُ مُضْطَرِبَةً أَفْكَرُ
 آيَةُ هَدِيَّةٍ هَذِهِ ؟
 لَا أَدْرِي أَيْنَ أَخْبَيْتَهَا
 وَإِنِّي لَأَخْجَلُ مِنْ حَمَلِهَا
 فَنِي رَهَافَتِي هَذِهِ أَخْشَى
 أَنْ تَجْرَحَنِي حِينَ أَضْمُهَا إِلَى صَدْرِي
 سَأَحْمِلُ فِي قَلْبِي هَذِهِ الْهَدِيَّةَ
 كَأَنَّهَا الْحِمْلُ الْمُؤَلَّمُ الثَّقِيلُ
 مِنْ الْآنَ فَصَاعِدًا
 لَنْ يُخِيفَنِي أَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ
 وَسَأَكُونُ ظَافِرَةً فِي كُلِّ الْمَعَارِكِ
 لَقَدْ تَرَكْتُ الْمَوْتَ لِي رَفِيقًا

وَسَأَتَوَجَّهَ بِحَيَاتِي
 وَسَيْفُكَ مَعِي
 لِكَيْ أَقْطَعَ بِهِ كُلَّ الْقَيْدِ
 وَمِنْذُ الْآنَ ، سَأَعْرِفُ
 عَنِ الزُّيُنَاتِ الْبَاطِلَةِ
 يَا سَيِّدَ قَلْبِي
 لَنْ تَكُونَ بَعْدَ الْيَوْمِ
 سَاعَاتٌ لِلانْتِظَارِ وَالْبُكَاءِ
 فِي الزَّوَايَا
 وَلَا الْوَجَلَ فِي سُلُوكِي
 وَلَا زِينَاتِ الدُّمَيَّةِ
 سَتَكُونُ لِي بَعْدَ الْيَوْمِ ..

جَمِيلٌ هُوَ سَوَارِكُ الْمَزِينِ بِالنُّجُومِ
 سَوَارِكُ الَّذِي عَمِلَتْ الْأَيْدِي الْمَاهِرَةُ
 عَلَى تَرْصِيعِهِ بِالْجَوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ
 وَأَجْمَلُ مِنْهُ سَيْفُكَ
 بِحَدِّهِ الْمَعْقُوفِ الْبَرَّاقِ
 كَأَنَّهُ طَائِرُ الْإِلَهِ فَيَشْنُو الْمُقَدَّسَ
 وَقَدْ بَسَطَ جَنَاحَيْهِ
 وَأَخَذَ يُحَلِّقُ بِبَرَاةٍ
 فِي أَضْوَاءِ الْغُرُوبِ الْوَرْدِيَّةِ
 إِنَّهُ يَخْفِقُ

كَآخِرِ نَبْضَاتِ الْحَيَاةِ
 فِي ذُهُولِهَا الْمُؤَلَّمِ
 حِينَ تَتَوَالَى عَلَيْهَا ضَرْبَاتُ الْمَوْتِ الْقُصْوَى
 إِنَّهُ يَلْمَعُ

مِثْلَ اللَّهَبِ الصَّافِي الَّذِي يَلْتَهُمْ بِسَعِيرِهِ الْمُتَقَدِّ
 أَحَاسِيسَنَا الْأَرْضِيَّةَ .
 جَمِيلٌ هُوَ سَوَارُكُ الْمَرْصَعِ بِالْجَوَاهِرِ النَّجْمِيَّةِ الشَّكْلِ
 وَلَكِنَّ سَيْفَكَ
 يَا سَيِّدَ الرَّعْدِ
 قَدْ صَيَّغَ مِنْ جَمَالِ سَامٍ
 يُرْهِبُ الْفِكْرَ وَالنَّظَرَ ..

54

لَمْ أَطْلُبْ مِنْكَ شَيْئاً
 وَلَمْ أَهْمِسْ بِاسْمِي فِي أُذُنِكَ
 وَحِينَ أَسْتَأْذِنُكَ فِي الرَّحِيلِ
 لَبِثْتُ سَاكِنَةً
 كُنْتُ وَحِيدَةً قُرْبَ الْبُئْرِ

حَيْثُ ظِلَالُ الْأَشْجَارِ تَتَسَاقَطُ مَائِلَةً
 وَقَدْ عَادَتِ النِّسَاءُ إِلَى بُيُوتِهَا
 بَعْدَ أَنْ مَلَأْنَ جَرَارَهُنَّ حَتَّى الْحَاقَّةِ
 وَقَدْ هَتَفْنَ بِي وَنَادَيْنِي
 تَعَالِي ، لَقَدْ انْتَهَى الصَّبَاحُ
 وَحَانَتِ الظُّهَيْرَةُ
 وَلَكِنِّي كُنْتُ أَنْبَاطًا فِي فُتُورِ
 ضَائِعَةٍ فِي خَيَالَاتٍ غَامِضَةٍ
 وَحِينَ جِئْتُ لَمْ أَسْمَعْ وَقَعَ خُطَوَاتِكَ
 كَانَتْ عَيْنَاكَ حَزِينَتَيْنِ .
 حِينَ وَقَعْتَ عَلَيَّ
 وَكَانَ صَوْتُكَ مُتَعَبًا مُرْهَقًا
 حِينَ هَمَسْتَ إِلَيَّ قَائِلًا :
 إِنِّي عَابِرُ ظَامِيءٍ .
 وَانْتَبَهْتُ مِنْ أَحْلَامٍ يَقْطِئِي
 وَسَكَبْتُ مِنْ جَرْنِي

مَاءٌ عَلَى رَاحَتَيْكَ
 وَكَانَتْ الْأَوْرَاقُ فَوْقَنَا تَرْتَعِشُ
 وَطَائِرُ الْكُوكُؤُلُو يُغْنِي
 وَمَنْ مُنْعَطَفِ الطَّرِيقِ
 كَانَ يَهْبُ عَلَيْنَا شَذَى زُهُورِ الْبَابِلَا
 وَحِينَ سَأَلْتَنِي عَنْ اسْمِي
 لَبِثْتُ صَامِتَةً خَجَلِي
 مَا الَّذِي فَعَلْتُهُ
 حَتَّى أَسْتَحِقُّ تَذَكُّرَكَ لِي
 وَلَكِنْ فِكْرَةَ أَنْبِي قَدَمْتُ إِلَيْكَ مَاءً
 لِأُطْفِئَ ظَمَأَكَ
 سَتَّظَلُّ فِي قَلْبِي وَتَمْلَأُهُ عُذُوبَةٌ
 لَقَدْ وَلَّى الصَّبَاحُ
 وَفَوْقَ رَأْسِي
 تَرْتَعِشُ أَوْرَاقُ النَّسِيمِ
 وَأَنَا أَجْلِسُ تَحْتَهَا

أَفَكَّرْتُ ثُمَّ أَفَكَّرْتُ ..

55

قَلْبِكَ عَامِرٌ بِالْغُصَصِ
وَعَيْنَاكَ يُجَادِبُهَا النُّعَاسُ
أَلَمْ يَبْلُغْكَ نَبَأُ الزَّهْرَةِ
الَّتِي تَزْهَى بِرَوْعَةِ حُكْمِهَا بَيْنَ الْأَشْوَكَ؟
اسْتَيْقِظْ ، اسْتَيْقِظْ
وَلَا تَدَعْ الْوَقْتَ يَمْضِي عَبَثًا
وَفِي نَهَايَةِ الطَّرِيقِ الصَّخْرِي
فِي بَلَدِ الْوَحْدَةِ الْعَذْرَاءِ
يَجْلِسُ صَدِيقِي وَحْدَهُ
فَلَا تُخَيِّبْ أَمَلَهُ

وَاسْتَيْقِظْ ، اسْتَيْقِظْ
 مَا أَهَمِّيَّةٌ أَنْ يَرْتَحِفَ الْفَضَاءُ أَوْ يَرْتَعِشَ
 فِي رَمَضَاءِ الظُّهَيْرَةِ ؟
 مَا أَهَمِّيَّةٌ أَنْ الرُّمَالُ الْمُتَقَدَّةُ
 تَبْسُطُ سِرْبَالَ الظُّمَأِ ؟
 أَلَا تُوجَدُ بِهِجَةً فِي أَعْمَاقِ قَلْبِكَ
 أَلَا تَعْرِفُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ خُطُوتِكَ
 قِيَارَةَ الطَّرِيقِ
 مُوسِيقَى الْأَلَمِ الْعَذْبَةِ ..

(56)

مِنْ أَجَلٍ هَذَا بَلَغْتَ بِهِجَتِكَ
 قِمَّتَهَا فِي نَفْسِي
 وَمِنْ أَجَلٍ هَذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِي

يَا إِلَهَ السَّمَاوَاتِ
 أَأَيْنَ يَكُونُ حُبُّكَ
 إِذَا لَمْ أَكُنْ أَنَا مَوْجُودَةً؟
 لَقَدْ قَسَمْتُ مَعِيَ كُلَّ هَذِهِ الثَّرْوَةِ
 وَفِي قَلْبِي تَجْرِي اللَّعْبَةُ الْمَلَانِيَّةُ
 لِيُغْطِيتِكَ
 وَفِي حَيَاتِي تَتَجَدَّدُ
 إِرَادَتُكَ عَلَى الدَّوَامِ
 وَمِنْ أَجْلِ هَذَا، يَا مَلِكَ الْمُلُوكِ
 تَزِينَتْ بِالْجَمَالِ
 لِإِغْرَاءِ قَلْبِي
 وَمِنْ أَجْلِ هَذَا يَضِيعُ حُبُّكَ
 فِي حُبِّ عَشِيقَتِكَ
 وَهَنَّاكَ تَبْدُو
 فِي التَّوْحِيدِ النَّامِ بَيْنَ مَخْلُوقَيْنِ ..

أَيُّهَا النُّورُ ، يَا نُورِي
 أَيُّهَا النُّورُ الَّذِي يَمْلَأُ الْكَوْنَ
 أَيُّهَا النُّورُ الَّذِي يَقْبَلُ الْعُيُونُ
 أَيُّهَا النُّورُ الَّذِي يَلطِّفُ الْقُلُوبَ
 إِنَّ النُّورَ يَا حَبِيبِي يَرْقُصُ
 فِي مَرَكِزِ حَيَاتِي
 وَالنُّورُ يَعْرِفُ يَا حَبِيبِي فَوْقَ أَوْتَارِ حَيِّ
 وَتَنْفَتِحُ السَّمَاوَاتُ
 وَتَهْبُ الرِّيحُ بَوَحْشِيَّةٍ .
 وَضَحْكَةُ مَدْوِيَّةٍ تَعْبُرُ الْأَرْضَ
 إِنَّ الْفَرَاشَاتِ تَنْشُرُ أَشْرِعَتَهَا
 عَلَى بَحْرِ النُّورِ
 وَأَزْهَارُ الْقُلُوبِ وَالْيَاسَمِينُ تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا
 عَلَى تَمُوجَاتِ النُّورِ

وَالنُّورُ يَنْكَسِرُ فِي أَشِعَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ
فَوْقَ كُلِّ غَيْمَةٍ .

يَا حَبِيبِي
وَيَنْثُرُ الْجَوَاهِرَ الْمُعْطَرَّةَ .
وَمِنْ وَرَقَةٍ إِلَى أُخْرَى

يَا حَبِيبِي
تَنْسَابُ بِهَجَّةٍ وَسَعَادَةٍ لَا حَدَّ لَهَا
إِنَّ نَهْرَ السَّمَاءِ فَاضٍ
وَعَمَرَ الْكَوْنَ بِالْبَهْجَةِ ..

(58)

كُلُّ آيَاتِي الْمُعْبَرَةِ عَنِ الْبَهْجَةِ
تَمْتَرُجُ بِأَخْرِ أُغْنِيَاتِي .
تِلْكَ الْبَهْجَةُ الَّتِي تَجْعَلُ الْأَرْضَ تَفِيضُ

فِي نَضَارَةِ الْعُشْبِ الْعَارِمَةِ .
 تِلْكَ الْبَهْجَةُ الَّتِي تَجْعَلُ التَّوَّامِينَ
 الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ
 يَرْقُصَانِ عِبرَ الْعَالَمِ .
 الْبَهْجَةُ الَّتِي تَنْثِقُ كَالْإِعْصَارِ
 تَهْزُ وَتُوقِظُ بِابْتِسَامَتِهَا
 كُلَّ الْحَيَاةِ
 الْبَهْجَةُ الَّتِي تَجْلِسُ صَامِتَةً بِاِكِيَّةٍ
 عَلَى زَهْرَةِ اللُّوتُسِ
 الْبَهْجَةُ الَّتِي تُلْقِي إِلَى التُّرَابِ
 كُلِّ مَا تَمْلِكُ
 وَلَا تَعْرِفُ الْكَلِمَاتِ ..

أَنَّهُ لَيْسَ سِوَى حَبِّكَ
 ذَلِكَ النُّورُ الذَّهَبِيُّ الَّذِي يَتَرَقَّصُ فَوْقَ الْوَرَقِ
 وَتِلْكَ السُّحُبُ الْكَسَلَى الَّتِي تُبْحِرُ فِي السَّمَاءِ
 وَهَذَا النَّسِيمُ الَّذِي يَخْطُرُ
 فَيَتْرَكُ طَرَاوَتَهُ عَلَى جَبِينِي
 إِنَّ نُورَ الصَّبَاحِ قَدْ غَمَرَ عَيْنِي
 وَتِلْكَ هِيَ رِسَالَتُكَ إِلَى قَلْبِي
 وَإِنِّي لِأَخْفِضُ وَجْهِي
 فَأَرَى عَيْنِكَ تُحَدِّقَانِ فِي عَيْنِي
 وَقَلْبِي قَدْ لَمَسَ قَدَمَيْكَ ...

60

الْأَطْفَالُ يَلْتَقُونَ
 عَلَى شَاطِئِ الدُّنْيَا غَيْرِ الْمُنْتَهِيَةِ
 السَّمَاءُ اللَّائِنُهَايَةِ

وَالْمِيَاهُ تَتَمَاجُ.
 وَفِي رَقْصٍ وَهْتَفٍ
 يَلْتَقِي الْأَطْفَالُ عَلَى شَاطِئِ الدُّنْيِ غَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ
 يُشِيدُونَ قُصُورًا مِنَ الرَّمَالِ
 وَيَعْبَثُونَ بِالْأَصْدَافِ الْبَحْرِيَّةِ الْفَارِغَةِ
 وَيَصْنَعُونَ قَوَارِبَ مِنَ الْوَرَقِ الْجَافِ
 وَيَضْحَكُونَ حِينَ يَعْمُومُنَهَا عَبْرَ الْإِمْتِدَادِ غَيْرِ الْمُنْتَاهِيِ
 لِلْبَحْرِ.
 إِنَّهُمْ يَمْرَحُونَ عَلَى شَاطِئِ الدُّنْيِ غَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ
 لَا يَعْرِفُونَ السَّبَاحَةَ
 وَلَا يُتَقَنُونَ إِلْقَاءَ الشَّبَالِ.
 وَيَغْوِسُ الصَّيَادُونَ فِي الْبَحْرِ
 يَسْتَخْرِجُونَ اللَّأْلَى مِنَ الْأَعْمَاقِ
 وَفَوْقَ السُّفُنِ يَرَحَلُ التَّجَارُ
 بَيْنَمَا الْأَطْفَالُ يَجْمَعُونَ الْحَصَى ثُمَّ يُلْقُونَهُ
 لَا يَبْحَثُونَ عَنْ كُنُوزِ دَفِينَةٍ

وَلَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ تُلْقَى الشُّبَّاءُ .
 وَيَتَمَوَّجُ الْبَحْرُ بِالْإِتِّسَامِ
 وَيَتَرَدَّدُ بِعُدُوبَةٍ عَلَى الشَّاطِئِ
 صَدَى الْأَمْوَاجِ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَوْتَ
 وَتَغْنِي لِلْأَطْفَالِ تَرَائِمَ لَا مَعْنَى لَهَا
 كَمَا تَفْعَلُ الْأُمُّ حِينَ تُهْدِدُ طِفْلَهَا
 وَالْبَحْرُ يَلْهُو مَعَ الْأَطْفَالِ
 وَيُرَدِّدُ الْبَحْرُ الصَّدَى ..
 وَيَلْتَقِي الْأَطْفَالُ عَلَى شَاطِئِ الدُّنْيَا غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ
 وَتَجُوبُ الْعَاصِفَةُ دُرُوبَ السَّمَاوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ
 وَتَغْرُقُ السُّفُنُ فِي دُرُوبِ الْمِيَاهِ الْمُتَنَوِّعَةِ
 وَيَطُوفُ الْمَوْتُ ، وَيَلْهُو الْأَطْفَالُ .
 هُنَاكَ حَشْدٌ غَفِيرٌ مِنَ الْأَطْفَالِ
 عَلَى شَاطِئِ الدُّنْيَا غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ

لَا أَحَدٌ يَدْرِي مِنْ أَيْنَ قَدْ وَافَى
هَذَا النُّعَاسُ الَّذِي يُرْفَفُ عَلَى عُيُونِ الْأَطْفَالِ
أَجَلٌ، يَقُولُونَ إِنَّهُ يَسْكُنُ هُنَاكَ
فِي الْقَرْيَةِ السَّحْرِيَّةِ
حَيْثُ تَتَدَلَّى بَيْنَ ظِلَالِ الْغَابَةِ الْكَثِيفَةِ
الَّتِي تُضِيئُهَا الْحَبَاحِبُ إِضَاءَةً خَافِتَةً
زَهْرَتَانِ حَيَّتَانِ .
مِنْ هُنَاكَ كَانَ يَقْبَلُ النُّعَاسُ الَّذِي يُقْبَلُ
حُلْمَ الْأَطْفَالِ
لَا أَحَدٌ يَدْرِي أَيْنَ تُولَدُ الْإِثْسَامَةُ
الَّتِي تَتَرَقَّقُ عَلَى شَفَاهِ الْأَطْفَالِ النَّائِمِينَ ؟
أَجَلٌ ، يُقَالُ إِنَّ شُعَاعًا فَتِيًّا شَاحِبًا مِنَ الْهَلَالِ
قَدْ مَسَّ أَطْرَافَ سَحَابَةٍ خَرِيفِيَّةٍ رَقِيقَةٍ
وَهَكَذَا، فِي أَحَدِ أَحْلَامِ الصَّبَاحِ النَّدِيِّ

وُلِدَتْ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى الْإِنْسَامَةَ الَّتِي تَتَمَوَّجُ
عَلَى شِفَاهِ الْأَطْفَالِ النَّائِمِينَ .
لَا أَحَدٌ يَدْرِي أَيْنَ كَانَتْ تَحْتَبِي
مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ تِلْكَ الطَّرَاوَةُ الْعَذْبَةُ اللَّطِيفَةُ
الَّتِي تَزْدْهِرُ فَوْقَ أَطْرَافِ الْأَطْفَالِ ؟
أَجَلٌ ، حِينَ كَانَتْ الْأُمُّ مَا تَزَالُ شَابَّةً صَغِيرَةً
كَانَتْ تَحْمِلُهَا فِي قَلْبِهَا الْعَامِرِ
بِأَسْرَارِ الْحُبِّ الرَّقِيقَةِ الصَّامِتَةِ
هُنَاكَ تَفْتَحَتْ تِلْكَ الطَّرَاوَةُ الْعَذْبَةُ اللَّطِيفَةُ
الَّتِي تُزْهِرُ فَوْقَ أَطْرَافِ الْأَطْفَالِ ..

(62)

حِينَ أَحْمِلُ إِلَيْكَ دُمِّي مُتَعَدِّدَةً الْأَلْوَانِ
يَا طِفْلِي الْحَبِيبِ

أَفْهَمُ لِمَاذَا تَعَدَّدَتْ أَلْوَانُ الْغُيُومِ وَالْمِيَاهِ.
ولماذا وُشِّيتِ الْأَزْهَارُ بِأَلْوَانِ زَاهِيَةٍ
حِينَ أَهْدِي إِلَيْكَ دُمِّي مُتَعَدِّدَةِ الْأَلْوَانِ
وَحِينَ أُغْنِي لِأَرْقُصَكَ
يَا طِفْلِي

أَفْهَمُ لِمَاذَا كَانَتْ مُوسِيقَى الْأَوْرَاقِ
وَلِإِذَا تُرْسِلُ الْأَمْوَاجُ أَصْوَاتَهَا الْمُوتِلِفَةَ.
إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ الَّتِي تُصْغِي
حِينَ أُغْنِي لِأَرْقُصَكَ.
وَحِينَ أَقْدِمُ الْحَلَوَى إِلَى يَدَيْكَ
يَا طِفْلِي

أَفْهَمُ لِمَاذَا يُوجَدُ الْعَسَلُ فِي كَأْسِ الزَّهْرِ
وَلِمَاذَا تَمْتَلِئُ كُلُّ الْفَوَاحِي سِرًّا
بِعَصِيرِهَا الْمُحَبَّبِ
حِينَ أَمْلَأُ يَدَيْكَ بِالْحَلَوَى
وَحِينَ أَقْبِلُكَ لِكَيْ تَبْتَسِمَ

يَا حَبِيبِي
 أَفْهَمَ سِرَّ الْبَهْجَةِ الَّتِي تَنْشِيرُ مِنَ السَّمَاءِ
 عِنْدَ أَضْوَاءِ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ
 وَأَفْهَمَ مَعْنَى مِلَاطَفَةِ رِيَّاحِ الصَّيْفِ
 لِحَسَنِي
 حِينَ أَقْبَلُكَ لِكَيْ تَرْقُصَ ..

63

لَقَدْ عَرَفْتَنِي بِأَصْدِقَاءِ
 لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُمْ
 وَأَجْلَسْتَنِي فِي مَنَازِلِ
 لَيْسَتْ مَنَازِلِي
 وَقَرَّبْتَ لِي الْبَعِيدَ
 وَجَعَلْتَ مِنَ الْغَرِيبِ

أَحَا لِي .
 وَفِي أَعْمَاقِ قَلْبِي أَشْعُرُ بِالضِّيقِ
 حِينَ أَتَخَلَّى عَنْ مَلَازِي الْمَأْلُوفِ
 وَأَنْسَى أَنْ الْمَأْوَى الْقَدِيمَ هُوَ فِي الْجَدِيدِ
 حَيْثُ تُقِيمُ أَنْتَ نَفْسُكَ
 عَبْرَ الْمِيلَادِ وَالْمَوْتِ
 فِي هَذَا الْعَالَمِ أَوْ غَيْرِهِ
 وَفِي أَيِّ مَكَانٍ تَقُودُنِي إِلَيْهِ
 فَإِنَّكَ وَحْدَكَ رَفِيقُ حَيَاتِي الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا
 تُوَحِّدُ بِرَوَابِطِ الْبَهْجَةِ
 بَيْنَ قَلْبِي
 وَبَيْنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الْمَأْلُوفَةِ .
 حِينَ يَعْرِفُكَ الْمَرْءُ
 فَلَا أَحَدَ يَبْدُو لَهُ غَرِيباً
 وَلَا بَابَ يُغْلَقُ فِي وَجْهِهِ
 آه

اَسْتَجِبْ دُعَائِي
فِي اَنْ لَا اَفْقِدَ مِلَاطَفَةَ (الوَاحِد) فِي لُغَةِ الْجَمِيعِ

64

عَلَى صَفَةِ النَّهْرِ الْكَيْبِ
وَبَيْنِ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ
سَأَلْتُهَا
إِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ أَيُّهَا الصَّبِيَّةُ
وَقَدْ وَقِيتَ شُعْلَةٌ مِصْبَاحِكَ
بِرِدَائِكَ
إِنَّ بَيْتِي لَمُظْلِمٌ وَحِيدٌ
هَلَّا أَعْرَيْتَنِي نُورَكَ؟
فَرَفَعَتْ عَيْنَهَا الْعَسَلِيَّتَيْنِ
وَحَدَّقَتْ فِي وَجْهِهِ

عَلَى أَضْوَاءِ الْغُرُوبِ الْحَائِرَةِ

وَقَالَتْ

لَقَدْ جِئْتُ إِلَى النَّهْرِ

لِكَيْ أُعَوِّمَ مُصْبَاحِي فَوْقَ التِّيَّارِ

حِينَ كَانَتْ أَضْوَاءُ الْغُرُوبِ

تَتَلَاشَى عِنْدَ الْأَفُقِ الْغُرْبِيِّ

فَلَبِثْتُ وَحْدِي بَيْنَ الْأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ

أَرْقُبُ لَهَبَ مُصْبَاحِهَا الْخَجُولِ

الَّذِي كَانَ يَعمُومُ بِمَشَقَّةٍ فَوْقَ التِّيَّارِ

وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ

سَأَلْتُهَا

أَيُّهَا الصَّبِيَّةُ ، إِنَّ أَنْوَارَكَ كُلَّهَا مُضِيئَةٌ

فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ بِمُصْبَاحِكَ

إِنْ بَيْتِي لَمْظِلٌّ وَحِيدٌ

هَلَا أَعَرْتَنِي نُورَكَ

رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا الْعَسَلِيَّتَيْنِ

فِي وَجْهِهِ وَتَطَلَّعَتْ إِلَيَّ
 وَظَلَّتْ بُرْهَةً مُرْتَابَةً
 ثُمَّ قَالَتْ :
 لَقَدْ جِئْتُ لِكَيْ أُقَدِّمَ مُصْبَاحِي
 لِلسَّمَاءِ
 وَلَبِثْتُ أَنْظُرُ ضَوْءَهَا
 يَتَبَدَّدُ عَبَثًا فِي الْفَرَاغِ
 وَفِي مُتَصَفِّ اللَّيْلِ
 فِي الظُّلْمَةِ الَّتِي غَابَ عَنْهَا الْقَمَرُ
 سَأَلْتُهَا
 أَيُّهَا الصَّبِيَّةُ عَمَّ
 تَبْحَثِينَ وَأَنْتِ تَضْمِينَ
 مُصْبَاحَكَ إِلَى قَلْبِكَ ؟
 إِنَّ بَيْتِي لَمُظْلِمٌ مُقْفِرٌ
 هَلَّا أَعَرْتَنِي مُصْبَاحَكَ
 وَتَوَقَّعْتُ لَحْظَةً

تُفَكِّرُ
وَتُحَدِّقُ فِي وَجْهِهِ فِي الظَّلَامِ
وَأَجَابَتْ
لَقَدْ حَمَلْتُ مُصْبَاحِي
لِكَيْ أَنْضَمَّ بِهِ إِلَى عِيدِ الْمَصَابِيحِ
وَلَبِثْتُ أَتَأَمَّلُ مُصْبَاحَهَا
الصَّغِيرَ
يَضِيعُ عَبَثًا بَيْنَ الْأَضْوَاءِ

65

أَيُّ شَرَّابٍ مُقَدَّسٍ
أَرَدْتُهُ يَا إِلَهِي
مِنْ هَذِهِ الْكَأْسِ الطَّافِحَةِ

كأسِ حَيَاتِي .
يَا شَاعِرِي
أَمِنْ أَمَجَادِكَ وَجَلَالِكَ
أَنْ تَنْظُرَ إِبْدَاعِكَ بِعَيْنِيَّ
وَأَنْ تُصْغِي إِلَى أَنْسِجَامِكَ الْحَالِدِ
بِأُذُنِي ؟
إِنْ عَالَمَكَ يَنْسُجُ كَلِمَاتٍ فِي فِكْرِي
وَبَهْجَتِكَ تُسْبِغُ عَلَيْهَا الْأَنْغَامَ
لَقَدْ وَهَبْتَ نَفْسَكَ لِي
بِحُبٍّ كَامِلٍ
وَأِنَّكَ لَتُنْحَسُ فِي ذَاتِي بِكُلِّ عُدُوْبَتِكَ ..

هِيَ الَّتِي ظَلَّتْ عَلَى الدَّوَامِ
فِي أَعْمَاقِ وَجُودِي

فِي فَجْرِ الْأَضْوَاءِ وَالرُّؤَى
 هِيَ الَّتِي لَمْ تَفْتَحْ أَبَدًا أَجْنَحَتَهَا
 لِأَضْوَاءِ الصَّبَاحِ
 سَتَكُونِ آخِرَ هَدِيَّةٍ أُقَدِّمُهَا إِلَيْكَ
 يَا إِلَهِي
 مَتَشِحَةً بِنَشِيدِي الْآخِرِ
 لَقَدْ غَاظَلْتَهَا الْكَلِمَاتُ
 وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ تَسْتَحْذُ عَلَيْهَا
 وَعَبَثًا حَاوَلَ الْإِغْرَاءُ
 أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ الْمُشْتَهِيَةَ.
 لَقَدْ طُفْتُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخِرِ
 مُحْتَفِظًا بِهَا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
 وَحَوْلَهَا
 نَهَضْتُ وَسَقَطْتُ أَحْدَاثُ حَيَاتِي.
 فِي أَفْكَارِي ، وَفِي أَعْمَالِي
 وَفِي نَوْمِي وَأَحْلَامِي

كَانَتْ تَهْمِينُ
 أَوْ كَانَتْ تُقِيمُ مُتَبَذَّةً وَحِيدَةً
 لَقَدْ طَرَقَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ بَابِي
 لِيَطْلُبُوا يَدَهَا
 وَعَادُوا يَائِسِينَ.
 وَلَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَبَدًا
 وَجْهًا لَوَجْهِهِ
 وَظَلَّتْ عَلَى وَحْدَتِهَا
 فِي انْتِظَارِ اعْتِرَافِكَ..

أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ
 أَنْتِ السَّمَاءُ
 وَأَنْتِ الْمَهْدُ

وَفِي ذَلِكَ الْمَهْدَ يَكْمُنُ حَبْكُ الَّذِي يَأْسِرُ النَّفْسَ
 بِأَلْوَانِهِ وَأَنْغَامِهِ وَرَوَائِحِهِ
 هَا هُوَ الصَّبَاحُ يُقْبِلُ
 مَاسِكًا بِيَدِهِ سِلَّتَهُ الذَّهَبِيَّةَ
 حَامِلًا تَاجَ الْجَمَالِ
 يَتَوَجَّ بِهِ الْأَرْضَ فِي صَمْتٍ
 وَهَآ هُوَ الْمَسَاءُ يُقْبِلُ
 فَوْقَ الْمَرْجِ الْمُنْفَرِدَةِ
 بَعْدَمَا هَجَرَتْهَا الْقُطْعَانُ
 عَبْرَ دُرُوبٍ غَيْرِ مَطْرُوقَةٍ
 يَحْمِلُ جُرْعَاتٍ مُنْعِشَةً مِنَ السَّلَامِ
 فِي جَرَّتِهِ الذَّهَبِيَّةِ
 اغْتَرَفَهَا مِنْ خِصْمِ الرَّاحَةِ الْغَرِيْبِ
 وَلَكِنْ هُنَاكَ
 حَيْثُ تَنْفَسِحُ السَّمَاءُ بِأَلَا حُدُودٍ
 لِتُحَلِّقَ فِيهَا الرُّوحُ

تَهَيَّمِنُ الرُّوعَةُ الْبَيْضَاءُ الطَّاهِرَةَ
هُنَاكَ
لَيْسَ ثَمَّةَ نَهَارٍ وَلَا لَيْلٍ
وَلَا شَكْلٍ وَلَا لَوْنٍ
وَلَا كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ

(68)

يَنْزِلُ شُعَاعُكَ عَلَى أَرْضِي
بِأَذْرَعٍ مَفْتُوحَةٍ
وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِي
طَوَالَ النَّهَارِ
لِيَحْمِلَ إِلَى قَدَمَيْكَ
غُيُومًا صَبِغْتَ مِنَ الدُّمُوعِ
وَالْتَنَهَدَاتِ وَالْأَغْنِي .
وَبَهْجَةٍ مُتَقَدَّةٍ

تَبْسُطُ عَلَى صَدْرِكَ الْمَرْصِعَ بِالنُّجُومِ
 هَذَا الرَّدَاءَ مِنَ الْغُيُومِ الْمَطِيرَةِ
 فَتَنْشُرُهُ وَتَطْوِيهِ
 فِي أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ
 وَتَلَوْنَهُ عَلَى الدَّوَامِ بِاللَّوْنِ مُتَغَيِّرَةٍ
 إِنَّهُ لَخَفِيفٌ وَوَاهٍ
 وَرَفِيقٌ وَحَزِينٌ وَقَاتِمٌ
 وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تُحِبُّهُ
 أَيُّهَا الطَّاهِرُ الْهَادِي
 وَلِهَذَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَحْجُبَ نُورَكَ
 السَّاطِعَ الرَّهِيبَ
 بِظِلَالِهِ الْحَزِينَةِ ...

(69)

إِنَّ تَيَّارَ الْحَيَاةِ الَّذِي يَجْرِي فِي عُرُوقِي

لَيْلاً وَنَهَاراً
 وَيَرْقُصُ عَلَى إيقاعٍ مُوزُونٍ
 هُوَ الْحَيَاةُ نَفْسُهَا
 الَّتِي تُنَبِّتُ فَرَحَهَا
 فَوْقَ أَدِيمِ الْأَرْضِ
 وَتَنْسَابُ خِلَالَ عِيدَانِ الْأَعْشَابِ الْعَدِيدَةِ
 وَتَنْفَجِرُ أَمْوَاجاً صَاحِبَةً
 مِنَ الْأَوْرَاقِ وَالزُّهُورِ
 وَهُوَ الْحَيَاةُ نَفْسُهَا
 يَهْدِيهَا الْمَدُّ وَالْجَزْرُ
 فِي مَهْدِ الْخُضَمِّ الزَّاخِرِ
 بِالْمِيلَادِ وَالْمَوْتِ
 لَقَدْ تَمَجَّدَتْ أَعْضَائِي
 بِرَوْعَةِ مُلَامَسَةِ هَذَا الْكَوْنِ الْعَامِرِ بِالْحَيَاةِ
 وَإِنْ فَخْرِي لِيَتَوَلَّدَ مِنْ شُعُورِ الْخُلُودِ
 الَّذِي يَرْقُصُ فِي دَمِي ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ..

أَلَيْسَ فِي وَسْعِكَ
 أَنْ تَكُونَ سَعِيداً
 بِسَعَادَةِ هَذَا الْإِيْقَاعِ
 بَأَنْ تَقْذِفَ نَفْسَكَ
 وَتَضِيعَ وَتَشْتَتَ
 فِي هَاوِيَةِ هَذِهِ الْبَهْجَةِ الرَّهِيْبَةِ؟
 كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَتَقَدَّمُ فِي انْدِفَاعِ هَادِرٍ
 لَا تَتَوَقَّفُ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى الْوَرَاءِ
 وَلَا قُوَّةَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمْسِكَ بِهَا
 إِنَّهَا تَجْرِي إِلَى الْأَمَامِ فِي انْدِفَاعٍ هَادِرٍ
 مُتَبِعَةٍ
 هَذَا الْإِيْقَاعِ السَّرِيعِ

لِهَذِهِ الْمَوْسِيقَى الَّتِي لَا تَعْرِفُ التَّوَقُّفَ.
 الْفُصُولُ تُقْبِلُ رَاقِصَةً
 ثُمَّ تَذْهَبُ
 وَالْأَلْوَانُ وَالْأَنْعَامُ وَالْأَرِيحُ
 تَدْفُقُ كُلُّهَا فِي سَلَالَتٍ لَا حَدَّ لَهَا
 لِتَصُبَّ فِي مَصَبِّ الْفَرَحَةِ الطَّافِحَةِ
 الَّتِي تَنْتَشِرُ وَتَنْقَطِعُ وَتَمُوتُ كُلُّ لَحْظَةٍ

أَنْ أَمْشِي مَخْتَلًا
 مَزْهًا بِنَفْسِي
 مُسْتَعْرِضًا كُلَّ الْجِهَاتِ
 مُلْقِيًا عَلَى سَنَّاكَ الْبَاهِرِ
 ظِلَالًا مُلَوَّنَةً

فِتْلِكَ هِيَ (مَايَاكَ) .
 إِنَّكَ لَتَشِيدُ حَاجِزًا فِي كِيَانِكَ نَفْسِهِ
 ثُمَّ تُنَادِي
 بِآلَافِ الْأَنْغَامِ
 (الْأَنَا) الَّتِي أَنْفَصَلْتَ عَنْكَ
 وَتَجَسَّدْتَ فِي كِيَانِي
 وَيَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ
 صَدَى أُغْنِيَةِ حَزِينَةٍ
 تَنْسَكِبُ بِدُمُوعٍ مُتَعَدِّدَةِ الْأَلْوَانِ
 مُعْبِرَةً عَنِ الْإِيْتِسَامَاتِ وَالْمَخَافِ وَالْآمَالِ
 وَتَعْلُو الْأَمْوَاجُ ثُمَّ تَهْبِطُ
 وَتَتَأَلَّفُ الْأَحْلَامُ ثُمَّ تَتَبَدَّدُ
 وَفِي نَفْسِي تَتَحَقَّقُ هَزِيمَةُ كِيَانِكَ الَّتِي فِي كِيَانِي
 إِنَّ السِّتَارَ الَّذِي أَقَمْتَهُ
 قَدْ زَيَّنْتَهُ رِيْشَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 بِالصُّوْرِ الْعَدِيدَةِ

وَحَلَفَهُ عَرْشَكَ الَّذِي صَبِغَ بِعَدِيدٍ مِنَ الْمُلْتَوِيَّاتِ الرَّائِعَةِ
 طَارِحاً عَنْهُ كُلَّ خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ
 إِنَّ مَهْرَجَانَنَا الْعَظِيمَ
 قَدْ عَمَّ أَرْجَاءُ السَّمَاءِ
 وَالْفَضَاءِ كُلَّهُ يَهْتَزُّ لِأَنْعَامِنَا
 وَتَمْضِي الْأَحْقَابُ كُلُّهَا
 وَنَحْنُ نَلْعَبُ لُعْبَةَ الظُّهُورِ وَالِاسْتِخْفَاءِ

72

إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُوقِظُ وَجُودِي
 بِمَلَأَ طَفَاتِهِ الْخَفِيَّةَ
 وَهُوَ الَّذِي يَبْهَرُ بَصْرِي
 وَيَعْرِفُ بِغِطَّةِ
 عَلَى أَوْتَارِ قَلْبِي

إِيْقَاعَاتٍ مُّتَنَوِّعَةٍ
 مِنْ الْأَفْرَاحِ وَالْأَنْزَاحِ
 إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْسُجُ
 شَبَكَةَ (مَايَا) بِاللَّوَانِ زَاهِيَةٍ
 فَضِيَّةٍ، ذَهَبِيَّةٍ
 خَضِرَاءَ، زُرْقَاءَ
 وَيَسْمَحُ لِي بِأَنْ أَرَى عِبْرَ الْأَوْجَاعِ
 قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ أَنْسَى فِي مُلَاطَفَتَيْهِمَا نَفْسِي
 تَأْتِي الْأَيَّامُ
 وَتَمُضِي الْعُصُورُ
 وَهُوَ دَوَّمَا الَّذِي يُثِيرُ قَلْبِي
 وَرَاءَ أَاسْمَاءٍ مُّخْتَلِفَةٍ
 وَتَحْتَ أَنْمَاطٍ مُّخْتَلِفَةٍ
 وَفِي عَدِيدٍ مِنْ مَظَاهِيرِ الْإِنْجَذَابِ
 وَرَاءَ مَشَاعِيرِ الْبَهْجَةِ وَالْأَلَمِ ...

إِنَّ عِتْقِي
 لَنْ يَكُونَ فِي التَّخَلِّي
 وَإِنِّي لِأَحْسُ بِعِنَاقِ الْحُرِّيَّةِ
 فِي أَلْفِ رِبَاطٍ مِنَ الْفُرْحَةِ
 فَلْتَسْكُتْ لِي عَلَى الدَّوَامِ
 جُرْعَاتِ نَدِيَّةِ
 مِنْ نَبِيذِكَ الْمُعْطَرِ
 الْمُتَعَدِّدِ الْأَلْوَانِ
 مَا لَنَا الْكَأْسَ حَتَّى الْحَاقَةِ
 إِنَّ عَالَمِي
 سَيُوقَدُ لِلْهِيبِكِ
 مِثَاتَ الْمَصَابِيحِ الْمُنَوَّعَةِ
 وَسَيُقَدِّمُهَا إِلَى هَيْكَلِ مَعْبَدِكَ

كَلَّا
لَنْ أُغْلِقَ أَبْوَابَ حَوَاسِي
فَمَبَاهِجِ السَّمْعِ وَالنَّظَرِ
تَحْمِيلُ إِلَيَّ فَرَحَتِكَ
أَجَلُ إِن جَمِيعَ أَوْهَامِي
سَتَحْتَرِقُ فِي وَمُضَةٍ فَرَحٍ
وَجَمِيعَ رَغَبَاتِي
سَتَحْوِلُ إِلَى فَوَاحِي حُبِّ

74

النَّهَارُ قَدْ وُلَّى
وَالظَّلَالُ تَهْبِطُ عَلَى الْأَرْضِ
لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ
لَأَن أَذْهَبَ
وَأَمْلَأَ جُرْتِي مِنَ الْجَدُولِ
وَفِي جَوِّ الْمَسَاءِ
تَرَدَّدُ حَزِينَةٌ
مُوسِيقَى الْمَيَاهِ
وَتَدْعُونِي لِلخُرُوجِ فِي الظَّلَامِ
وَفِي الطَّرِيقِ الْمَهْجُورَةِ
لَا يَعْبُرُ أَحَدٌ
وَتَتَصَاعَدُ الرِّيحُ
وَتَهِيجُ مَيَاهُ النَّهْرِ

لَا أَدْرِي إِذَا كُنْتُ سَأْعُودُ إِلَى بَيْتِي
وَلَا أَعْرِفُ مَنْ سَوْفَ أَلَاقِي فِي الطَّرِيقِ
وَفَوْقَ زَوْرَقٍ قَرِيبٍ
وَقُرْبِ الْمِيَاهِ الضَّحْلَةِ
يَعْرِفُ مَجْهُولُ نَايَةٍ

75

إِنَّ الْعَطَايَا الَّتِي تَمْنَحُهَا لَنَا
نَحْنُ الْفَانِينَ
تَسُدُّ كُلَّ حَاجَاتِنَا
وَمَعَ ذَلِكَ ، تَعُودُ إِلَيْكَ
دُونَ أَنْ يَعْتَرِبَهَا النُّقْصَانُ.
لِلنَّهْرِ عَمَلُهُ الْيَوْمِي
وَهُوَ يَتَدَفَّقُ نَحْوَ الْحُقُولِ وَالْقُرَى
وَمَعَ ذَلِكَ ، فَإِنْ تَيَّارَهُ الْهَادِرَ

بَجْرِي لَكِي يَغْسِلَ قَدَمَيْكَ
 وَالزَّهْرُ يُعْطَرُ الْجَوَّ بِأَرِيحِهِ
 وَمَعَ ذَلِكَ ، فَإِنْ آخَرَ مَهَامَهُ
 أَنْ يَهْبُ نَفْسَهُ إِلَيْكَ
 إِنْ عَبَادَتِكَ لَا تُفْقِرُ الْعَالَمُ
 وَمِنْ كَلِمَاتِ الشَّاعِرِ
 يَسْتَخْرِجُ الْمَرْءُ الْمَعْنَى الَّتِي يَرُوقُ لَهُ
 وَمَعَ ذَلِكَ
 فَإِنْ أَسْمَى هَذِهِ الْمَعَانِي
 مُوجَّهٌ إِلَيْكَ . .

76

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ
 يَا سَيِّدَ حَيَاتِي
 سَأَقِفُ أَمَامَكَ

وَجْهًا لَوَجْهِ
وَقَدْ ضَمَمْتُ ذِرَاعِي فِي خُشُوعٍ
يَا سَيِّدَ جَمِيعِ الْأَكْوَانِ
سَأَقِفُ أَمَامَكَ
وَجْهًا لَوَجْهِ
تَحْتَ السَّمَاءِ
الْعَظِيمَةِ
وَفِي وَحْدَةٍ وَصَمْتُ
وَبِقَلْبٍ خَاشِعٍ
سَأَقِفُ أَمَامَكَ
وَجْهًا لَوَجْهِ
فِي كَوْنِكَ هَذَا الْحَافِلِ بِالنُّشَاطِ
وَفِي صَحْبِ الْعَمَلِ وَالصَّرَاعِ
وَبَيْنَ الْجُمُوعِ الْمُتَدَفِّعَةِ الْمُسْرِعَةِ
سَأَقِفُ أَمَامَكَ

وَجْهًا لِيُوجِّهَ
وَحِينَ يَنْتَهِي عَمَلِي فِي هَذَا الْعَالَمِ
يَا مَلِكَ الْمُلُوكِ
وَحَدِيثِي ، صَامِتًا
سَأَقِفُ أَمَامَكَ
وَجْهًا لِيُوجِّهَ . .

77

أَعْرِفُكَ رَبًّا لِي
فَأَبْتَغِدُ
وَحِينَ لَا أَعْرِفُ أَنَّكَ لِي
أَقْتَرِبُ مِنْكَ
أَعْرِفُكَ أَبَا
فَأَجُثُّ عِنْدَ قَدَمَيْكَ
وَلَا أَشْدُّ عَلَى يَدِكَ

كَمَا أَشَدُّ عَلَى رَاحَةِ صَدِيقٍ .
لَسْتُ أَتَهَيَّأُ لِأَضْمُكَ
إِلَى صَدْرِي .
حِينَ تَطَأُ أَرْضَنَا
تَهْبِئِي نَفْسَكَ
أَنْتَ الْأَخَ بَيْنَ إِخْوَتِي
وَلَكِنِّي لَا أَنْشَغِلُ بِهِمْ
وَلَا أَقْسِمُ مَعَهُمْ أَرْبَاحِي
وَأَقَاسِمُكَ وَحَدَّكَ
كُلَّ مَالِي .
فِي سَاعَةِ اللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ .
لَا أَقِفُ إِلَى جَانِبِ الْبَشَرِ
وَلَكِنِّي أَقِفُ إِلَى جِوَارِكَ
أَهْرَبُ مِنَ الزُّهْدِ فِي حَيَاتِي

فَأَنْجُو مِنَ الْغَوْصِ
فِي خِضَمِّ الْحَيَاةِ الرَّحْبِ . .

78

حِينَ كَانَ خَلْقُ الْكَوْنِ جَدِيداً
وَكَانَتْ النُّجُومُ تَتَأَلَّقُ
بُرُؤَائِهَا الْبِكْرِ
عَقَدَ الْآلِهَةُ اجْتِمَاعاً فِي السَّمَاءِ
وَأُشْدُوا:
يَا لَمَنْظَرِ الْكَمَالِ
وَيَا لِلْبَهْجَةِ الْفَرِيدَةِ
لَكِنَّ أَحَدَهُمْ صَاحَ فِجَاءٍ
يَبْدُو أَنْ سِلْسَلَةَ النُّورِ
قَدْ انْقَطَعَتْ فِي مَكَانٍ مَا
إِلْحَدَى النُّجُومِ.

قَدْ ضَلَّتْ طَرِيقَهَا
 فَاِنْقَطَعَتْ أَوْتَارَ مِعْزِفِهِمُ الذَّهَبِيَّةِ
 وَهَتَفُوا مُتَضَاعِفِينَ :
 لَقَدْ كَانَتْ النُّجْمَةُ الضَّائِعَةُ
 هِيَ أَجْمَلُ النُّجُومِ
 وَكَانَتْ فَخْرَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا
 وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ
 يَبْحَثُونَ عَنْهَا
 وَيُكْرَرُونَ هَاتِفِينَ :
 إِنَّ الْعَالَمَ فَقَدْ يَفْقِدُهَا
 فَرَحَتَهُ الْوَحِيدَةَ .
 وَلَكِنْ فِي صَمْتِ اللَّيْلِ الْعَمِيقِ
 كَانَتْ النُّجُومُ تَتَهَامَسُ
 وَتَبْتَئِسُ وَتَقُولُ :
 عَبَثًا هَذَا الْبَحْثُ عَنْهَا

إِنَّ الْكَمَالَ الطَّاهِرَ
يُعَاقِبُ الْكَوْنَ كُلَّهُ . . .

79

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ نَصِيبِي
أَنْ أَلْتَقِيَ بِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
فَاجْعَلْنِي أَتَذَكَّرُ عَلَى الدَّوَامِ
أَنْتَنِي لَمْ أَظْفَرْ بِرُؤْيَاكَ
وَأَنْ لَا أُنْسَاكَ لَحْظَةً وَاحِدَةً
وَأَنْ أَحْمِلَ قَبْضَةً هَذَا الْأَلَمِ
فِي أَحْلَامِي
وَسَاعَاتِ أَرْقِي
وَحِينَ تَمُرُّ أَيَّامِي
فِي سُوقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُرْدَحِمَةِ
وَتَمْتَلِئَ يَدَايَ بِالْأَرْبَاحِ الْيَوْمِيَّةِ

فاجعلني أَتَذَكَّرُ عَلَى الدَّوَامِ

أَنْتِي لَمْ أَرْبِحْ شَيْئاً

وَأَنْ لَا أَنْسَاكَ لَحْظَةً وَاحِدَةً

وَأَنْ أَحْمِلَ قَبْضَةً هَذَا الْأَلَمِ

فِي أَحْلَامِي

وَفِي سَاعَاتِ يَقْظَتِي

وَحِينَ أَجْلِسُ عِنْدَ حَافَةِ الطَّرِيقِ

مُتَعَباً حَزِيناً

وَحِينَ أَسْوِي مَضْجَعِي التَّرَابِيَّ

فاجعلني أَتَذَكَّرُ عَلَى الدَّوَامِ

أَنْ رِحْلَةً طَوِيلَةً فِي انْتِظَارِي

وَأَنْ لَا أَنْسَاكَ لَحْظَةً وَاحِدَةً

وَأَنْ أَحْمِلَ قَبْضَةً هَذَا الْأَلَمِ

فِي أَحْلَامِي وَسَاعَاتِ يَقْظَتِي

وَحِينَ تَرُدُّانُ غُرْفِي

وَتَعْرِفُ النَّيَّاتُ أَنْعَامَهَا
وَتَتَعَالَى أَصْدَاءُ الصَّحَكَاتِ الْعَالِيَةِ
فَاجْعَلْنِي أَتَذَكَّرُ عَلَى الدَّوَامِ
أَنْنِي لَمْ أَدْعُكَ إِلَى بَيْتِي
وَأَنْ لَا أَنْسَاكَ لَحْظَةً وَاحِدَةً
وَأَنْ أَحْمِلَ قَبْضَةً هَذَا الْأَلَمِ
فِي أَحْلَامِي
وَسَاعَاتِ يَقْظَتِي . .

80

إِنَّنِي كَذْ خَيْرَةٍ إِحْدَى السُّحُبِ الْخَرِيفِيَّةِ
الَّتِي تَعْجُوبُ السَّمَاءَ عَبَثًا
يَا شَمْسِي الْمُمَجَّدَةَ عَلَى الدَّوَامِ
إِنْ مُلَاطَفَتَكَ لَمْ تَفُكْ بَعْدُ ضَبَّابِي
لِتَجْعَلْنِي شَيْئًا وَاحِدًا مَعَ نُورِكَ

وَهَكَذَا أَعَدُّ الشُّهُورَ وَالْأَعْوَامَ
بَعِيداً عَنْكَ .

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ إِرَادَتُكَ
وَإِذَا كَانَ هَذَا يُسْرِي عَنْكَ
فَخُذْ هَذِهِ الْغَيْمَةَ الْجَوَابَةَ الْفَارِغَةَ
وَلَوْنُهَا بِأَلْوَانِكَ
وَزِينُهَا بِذَهَبِكَ
وَلْتَقْلُهَا مَعَ الرِّيحِ الشَّارِدَةِ
وَلْتَبَدِّدْهَا فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْعَجَائِبِ
وَحِينَ يَلِدُ لَكَ أَنْ تُنْهِيَ هَذِهِ اللَّعْبَةَ
فَسَوْفَ أَذُوبُ وَأَتَبَدَّدُ عِنْدَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْحَالِكَةِ
أَوْ نَسَمَةِ الصَّبَاحِ السَّاطِعِ
فِي نَقَاوَةِ نَدِيَّةٍ شَفَافَةٍ . .

فِي كَثِيرٍ مِنْ أَيَّامِ الْكَسَلِ .

كُنْتُ أَبْكِي عَلَى الزَّمَنِ الضَّائِعِ
وَلَكِنَّهُ فِي الْحَقِّ - يَا سَيِّدِي -
لَمْ يَكُنْ ضَائِعاً
لَقَدْ قَبَضْتَ عَلَى كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِي
فِي يَدَيْكَ
وَكُنْتُ مُتَوَارِياً فِي قَلْبِ الْأَشْيَاءِ
تُغَذِّي الْبُدُورَ حَتَّى تَنْبُتَ
وَالْبَرَاعِمَ حَتَّى تُزْهِرَ
وَالزُّهُورَ حَتَّى تَصِيرَ فَاكِهَةً نَاضِجَةً
كُنْتُ مُسْتَرْخِياً فِي كَسَلِ
عَلَى فِرَاشِي
وَقَدْ صَوَّرَ لِي نَعْبِي
أَنْ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ تَوَقَّفَ
وَحِينَ تَهَضُّتُ فِي الصَّبَاحِ
أُبْصَرْتُ حَدِيقَتِي

قَدْ امْتَلَأْتُ بِالزُّهُورِ الْعَجِيبَةِ . . .

82

إِن الزَّمَنَ فِي يَدَيْكَ

يَا مَوْلَايَ

لَا حَدَّ لَهُ

وَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى حَصْرِ سَاعَاتِكَ

وَتَمْضِي الْأَيَّامُ

وَتَزْدَهَرُ الْفُصُولُ ثُمَّ تَذْبُلُ مِثْلَ الزُّهُورِ

وَأَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي يُحْسِنُ الْإِنْتَظَارَ

وَتَتَابَعُ أَحْقَابَكَ وَعُهُودَكَ

لِتَهَبَ الْكَمَالَ

لِزَهْرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي أَحَدِ الْحُقُولِ

وَنَحْنُ لَيْسَ لَدَيْنَا وَقْتُ نُضِيعُهُ

وَعَلَيْنَا أَنْ نَشْفَى

لأنَّه لَيْسَ لَدَيْنَا وَقْتُ نُضِيعُهُ
 حَتَّى لَا نَفْقِدَ فُرْصَتَنَا الْمُتَّاحَةَ
 نَحْنُ أَفْقَرُ مِنْ أَنْ يَتَّاحَ لَنَا الشَّخْلُفُ.
 وَهَكَذَا يَمْضِي الْوَقْتُ
 بَيْنَمَا أَهْبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُتَذَمِّرٍ
 مَا يَرْعَبُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ
 لِأَنَّهُ يَكَلِّكَ فَارِغٌ مِنَ الْمُتَعَبِّينَ
 وَفِي نِهَايَةِ النَّهَارِ
 أُسْرِعُ الْخَطْوَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُقْفَلَ بَابُكَ
 فَاجِدْ أَنَّهُ مَا يَزَالُ هُنَاكَ
 مُتَّسِعٌ مِنَ الْوَقْتِ . .

83

أُمّاه
 بِقَطْرَاتِ دُمُوعِي

سَأَصْنَعُ لَكَ عِقْدًا مِنَ اللُّؤْلُؤِ

وَلَقَدْ صَهَرْتُ النُّجُومَ

خَلَاحِيلَ مِنَ الثُّورِ

لِكَيْ تُزَيِّنَ قَدَمَيْكَ

وَلَكِنْ عِقْدِي سَيَكُونُ فَوْقَ صَدْرِكَ

لَقَدْ جَاءَتْنِي الشُّهْرَةُ وَالْغِنَى مِنْكَ

وَيَتَوَقَّفُ عَلَيْكَ مَنْحُهَا أَوْ رَفْضُهَا

وَلَكِنْ هَذَا الْأَلَمُ

لِي وَحْدِي

وَحِينَ أَحْمِلُهُ إِلَيْكَ

عَطِيَّةً مِنِّي

فَسَتُكَاثِفِيْنِي بِعَفْوِكَ . .

يَنْبَسِطُ عَلَى كُلِّ أَرْجَاءِ الْكَوْنِ
وَيُولِّدُ فِي السَّمَاءِ الرَّحِيْبَةِ
أَشْكَالاً عَدِيْدَةً
إِنْ حُزْنَ الْفِرَاقِ
يُحَلِّقُ فِي صَمْتٍ
طَوَالَ اللَّيْلِ
وَيَنْتَقِلُ بِبَصِيرِهِ مِنْ نَجْمَةٍ إِلَى أُخْرَى
ثُمَّ يُصْبِحُ أَغْنِيَةً بَيْنَ حَفِيفِ الْأُورَاقِ
فِي حُلُكَةٍ تَمُوزُ الْمُمَطَّرَةَ
هَذَا الشُّقَاءُ الَّذِي يَغْزُو كُلَّ شَيْءٍ
يَنْصَهَرُ فِي مَشَاعِرِ حُبٍّ
وَرَغَبَاتٍ
وَأَفْرَاحٍ وَأَتْرَاحٍ
فِي مَسَاكِينِ الْبَشَرِ
وَهِيَ الْمَشَاعِرُ نَفْسَهَا الَّتِي تَنْصَهَرُ وَتَتَدَفَّقُ

في قلبي
قلب الشاعر

85

حينَ بادَرَ المُحَارِبُونَ إلى الخُرُوجِ
مِنَ بَيْتِ سَيِّدِهِم
أَيْنَ أَوْدَعُوا قُوَّتَهُم وَسُلْطَانَهُم؟
وَأَيْنَ تَرَكُوا دُرُوعَهُم وَسُيُوفَهُم؟
كَانُوا يَبْدُونَ فَقَرَاءً ، غُرْلًا مِنَ السَّلَاحِ
وَفَوْقَهُم تَسَاقَطُ السَّهَامُ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجُوا فِيهِ
مِنَ بَيْتِ سَيِّدِهِم
وَحِينَ عَادَ الْمُحَارِبُونَ زَاكِفِينَ
نَحْوَ بَيْتِ سَيِّدِهِم
أَيْنَ أَوْدَعُوا سَطَوَتَهُم وَسُلْطَانَهُم؟

لَقَدْ نَزَعُوا السُّيُوفَ
وَالْأَقْوَاسَ وَالسَّهَامَ
وَبَدَأَ السَّلْمُ عَلَى جِبَاهِهِمْ
وَتَرَكُوا خُلْفَهُمْ
ثِمَارَ الْحَيَاةِ
فِي الْيَوْمِ الَّذِي عَادُوا فِيهِ زَاكِفِينَ
إِلَى بَيْتِ سَيِّدِهِمْ . .

86

الْمَوْتُ، خَادِمُكَ الْمُطِيعُ
يَقِفُ عِنْدَ بَابِي
بَعْدَمَا عَبَّرَ بَحْرًا مَجْهُولًا
وَحَمَلَ إِلَيَّ نِدَاءَكَ
إِنَّ اللَّيْلَةَ لَمُظْلِمَةٌ
وَقَلْبِي غَائِرٌ بِالْخَوْفِ

وَمَعَ ذَلِكَ سَاحِلٌ مُصْبِحِي
وَأَفْتَحُ الْبَابَ
وَأُنْحِي لَهُ ، مُرَجَبًا بِقُدُومِهِ
إِنَّهُ رَسُولُكَ يَقِفُ عِنْدَ أَبِي
سَوْفَ أَمَجِّدُهُ فِي خُشُوعٍ وَدُمُوعٍ
وَسَوْفَ أَعْظُمُهُ بِأَنْ أَضَعَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ
ذَخِيرَةَ قَلْبِي
فَإِذَا أُنْجَزَ مُهِمَّتُهُ
سَافِرًا ، تَارِكًا ظِلًّا قَاتِمًا
عَلَى صَبَاحِي
وَفِي بَيْتِي الْخَالِي
يَظَلُّ جَسَدِي الْمَتْرُوكِ
آخِرَ مَا أَقْدَمُهُ إِلَيْكَ مِنْ هِبَاتٍ . .

أُبَحِّثُ عَنْهَا
 فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ بَيْتِي
 وَلَكِنَّنِي لَا أَعُثِّرُ عَلَيْهَا
 بَيْتِي صَغِيرٌ
 فَإِذَا ذَهَبَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً
 فَلَا يُمَكِّنُ الْإِمْسَاكُ بِهَا
 وَلَكِنْ قَصْرَكَ يَا إِلَهِي كَبِيرٌ لَا حَدَّ لَهُ
 وَحِينَ بَحِثْتُ عَنْهَا
 سُرْعَانَ مَا وَصَلْتُ إِلَى بَابِكَ
 فَأَنَا تَحْتَ الْقُبَّةِ الذَّهَبِيَّةِ لِسَمَائِكَ الْمَسَائِيَّةِ
 وَأَرْفَعُ عَيْنِي فِي قَلْقٍ
 لِأُطَالِعَ مُحَيَّاكَ
 لَقَدْ بَلَغْتُ حَافَةَ الْأَبْدِيَّةِ
 حَيْثُ لَا يُمَحَى شَيْءٌ
 لَا الْأَمَلُ، وَلَا السُّعَادَةُ

وَلَا رَوْيَةً وَجْهٌ نُبْصِرُهُ
 بَيْنَ رَقَرَقَةِ الدُّمُوعِ
 آه ، لَتَغْطِسُ حَيَاتِي الْفَارِغَةُ فِي ذَلِكَ الْخِضْمِ
 وَلَتَنْدَفِعَ بِهَا إِلَى أَبْعَدِ أَعْوَارِهِ
 وَلَتَدْعِنِي أُحْسَ مَرَّةً وَاحِدَةً عَلَى الْأَقْلِّ
 تِلْكَ الْمَلَاظِفَةُ الْعَذْبَةُ الشَّائِعَةُ
 فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ . .

(88)

يَا إِلَهَةَ الْمَعْبُدِ الْمُتَدَاعِي
 إِنْ إِيوَاتَرَ (فِينَا) الْمَقْطُوعَةَ
 لَنْ تَتَغَنَّى بَعْدَ الْيَوْمِ بِمَدْحِكَ
 وَلَا نَوَاقِيسُ الْمَسَاءِ
 يُمَكِّنُهَا أَنْ تُعْلِنَ عَنْ سَاعَةِ الْعِبَادَةِ .
 وَحَوْلِكَ

كُلُّ شَيْءٍ سَاكِنٌ وَصَامِتٌ
 وَفِي بَيْتِكَ الْخَالِي
 يَتَسَلَّلُ شَارِداً
 نَسِيمُ الرَّيِّعِ
 فَيَحْمِلُ أَخْبَارَ الزُّهُورِ
 تِلْكَ الزُّهُورُ الَّتِي لَنْ تُرْجَى أَبَداً لِعِبَادَتِكَ
 إِنْ عَابَدَكَ الْقَدِيمِ
 يَهِيمُ دَوْماً فِي انْتِظَارِ النِّعْمَةِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَيْهِ
 وَفِي الْمَسَاءِ
 حِينَ تَخْتَلِطُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَالُ
 فِي ظُلْمَةِ الْعُبَارِ
 يَعُودُ مُتَعَباً
 إِلَى الْمَعْبَدِ الْمُتَدَاعِي
 وَفِي قَلْبِهِ تَوَقُّ.
 مَا أَكْثَرَ الْأَعْيَادَ الَّتِي مَرَّتْ بِكَ صَامِتَةً

يا إِلَهَةَ المَعْبَدِ المُنْدَاعِي
وما أَكْثَرَ لِيَالِي العِبَادَةِ التي مَرَّتْ مُطْفَأَةً الأَضْوَاءِ
وما أَكْثَرَ الصُّورِ التي صَنَعَهَا أَسَايِدَةُ الفَنِّ
وَحُمِلَتْ إِلَى نَهْرِ النِّسْيَانِ المُقَدَّسِ
حِينَ أَذْرَكَهَا الحَيْنُ
وَالْهَةَ المَعْبَدِ المُنْدَاعِي
وَحَدَّهَا، وَإِلَى الأَبَدِ
تَظَلُّ مُهْمَلَةٌ وَغَيْرَ مَعْبُودَةٍ مِنْ أَحَدٍ .

(89)

لَا كَلِمَاتٌ صَاحِبَةٌ، بَعْدَ الْيَوْمِ
هَذِهِ إِرَادَةُ مَوْلَايَ
فَسَا تَكَلَّمُ مِنْذُ الْآنَ، هَمْسًا
وَسَا تَابِعْ حَدِيثَ قَلْبِي
فِي غَمْغَمَاتِ الأَغَانِي

إِنَّ الرِّجَالَ يُهْرَعُونَ إِلَى سُوقِ الْمَلِكِ
 وَجَمِيعُ الْبَائِعِينَ وَالشَّارِينَ
 مَوْجُودُونَ هُنَاكَ
 أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَسْتَأْذِنُ قَبْلَ الْأَوَانِ
 فِي مُنْتَصِفِ النَّهَارِ
 وَفِي عُشْوَانِ الْعَمَلِ
 دَعُوا الزُّهُورَ
 تَتَفَتَّحْ فِي حَدِيقَتِي
 حَتَّى فِي غَيْرِ أَوَانِهَا
 دَعُوا النَّحْلَ يَكْفُ عَنْ طِينِهِ الْكَسُولِ
 فِي الْهَجِيرَةِ.
 سَاعَاتُ طَوِيلَةٍ
 أَمْضِيَّتُهَا فِي الصَّرَاحِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
 أَمَا الْآنَ فَإِنَّ رَفِيقَ أَلْعَابِي
 فِي أَيَّامِي الْبَاطِلَةِ

يَرْعَبُ فِي أَنْ يَجْذِبَ قَلْبِي إِلَيْهِ
وَلَا أَفْهَمُ
أَيَّ نِهَآيَةٍ عَاتِيَةٍ
يَحْمِلُهَا هَذَا النَّدَاءُ الْمُفَاجِئُ

90

فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَطْرُقُ فِيهِ الْمَوْتُ بَابَكَ
مَاذَا سَتَقْدَمُ إِلَيْهِ؟
سَأَقْدَمُ إِلَى ضَيْفِي كَأَسَ حَيَاتِي الْمُفْعَمَةِ
وَلَنْ أَتْرُكَهُ يَمْضِي بِأَيْدٍ خَاوِيَةٍ
سَأَقْدَمُ إِلَيْهِ
كُلَّ مَحَاصِيلِي الْحُلُوةِ
مِنْ أَيَّامِ الْخَرِيفِ
وَكُلَّ لَيَالِي الصَّيْفِ
وَكُلَّ مَا حَصَدْتُهُ فِي حَيَاتِي الْجَادَّةِ

سَأَقْدَمُ كُلَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ
 فِي آخِرِ أَيَّامِي
 عِنْدَمَا يَطْرُقُ الْمَوْتُ
 بِأَبِي . .

91

أَيُّهَا الْمَوْتُ
 يَا مَوْتِي
 آخِرَ إِنجَازَاتِ حَيَاتِي
 نَعَالَ، وَتَحَدَّثْ إِلَيَّ هَمْسًا
 لَقَدْ اِنْتَظَرْتُكَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ
 وَتَحَمَّلْتُ مِنْ أَجْلِكَ
 أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ وَأُتْرَاحَهَا .
 وَجَمِيعُ مَا يُكَوِّنُنِي
 وَكُلُّ مَا أَمْلِكُ

وَكُلُّ مَا أَرْجُو
تَدَفَّقَتْ نَحْوَكَ فِي سِرٍّ عَمِيقٍ .
نَظْرَةً أَخِيرَةً مِنْ عَيْنَيْكَ
سَتَجْعَلُ حَيَاتِي كُلَّهَا لَكَ
لَقَدْ ضُفِرْتُ الزُّهُورُ
وَهَمَّيْءُ إِكْلِيلِ الْعَرِيسِ .
وَبَعْدَ الزَّفَافِ
سَتَشْرُكُ الْعُرُوسُ بَيْتَهَا
وَتَذْهَبُ وَحْدَهَا
لِمَقَابَلَةِ سَيِّدِهَا
فِي وَحْدَةِ اللَّيْلِ . .

أَعْلَمُ أَنَّ سَوْفَ يَأْتِي الْيَوْمُ الَّذِي أَفْقَدُ فِيهِ
رُؤْيَايَ لِهَذَا الْعَالَمِ

وَفِي صَمْتٍ تُودَعُ رُوحِي كُلُّ شَيْءٍ
 مُسْدِلَةً فَوْقَ بَصَرِي حِجَابَهَا الْأَخِيرَ
 وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ النُّجُومَ سَتْسَهَرُ بِاللَّيْلِ
 وَالصَّبَاحَ يَنْهَضُ كُلُّ يَوْمٍ
 كَشَأْنِهِ عَلَى الدَّوَامِ
 وَالسَّاعَاتُ سَتَتَفَتَحُ كَأَمْوَاجِ الْبَحْرِ
 وَهِيَ تُعِدُّ الْأَفْرَاحَ وَالْأَفْرَاحَ
 حِينَ أَفْكُرُ فِي نِهَآيَةِ أَيَّامِي
 فَإِنَّ حَاجِزَ الزَّمَنِ يَنْكَسِرُ
 وَأَرَى فِي نُورِ الْمَوْتِ
 عَالَمَكَ بِكُلِّ كُنُوزِهِ .
 ثَمِينٌ حَتَّى أَحْقَرَ الْأَمَاكِنِ .
 وَحَتَّى الْحَيَاةُ الْمُتَوَاضِعَةُ ثَمِينَةٌ .
 الْأَشْيَاءُ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَيْهَا
 لِنَدْعَهَا الْآنَ

وَلْيُسَمِّحْ لِي الْآنَ فَقَطْ
بِأَنْ أَمْتَلِكَ حَقًّا
الْأَشْيَاءَ الَّتِي رَفَضْتُهَا وَأَهْمَلْتُهَا
عَلَى الدَّوَامِ . .

93

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ
لَقَدْ أَذِنَ لِي بِالرَّحِيلِ
قُولُوا لِي . . وَدَاعًا
إِنِّي أَنَحْنِي أَمَامَكُمْ جَمِيعًا
وَأودِّعُكُمْ
هَآ أَنَا أُعِيدُ مَفَاتِيحَ بَابِي
وَأَتَنَازِلُ عَنْ كُلِّ حَقٍّ لِي فِي بَيْتِي
وَلَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ سِوَى كَلِمَاتٍ وَدَاعِيَّةٍ لَطِيفَةٍ
لَقَدْ تَجَاوَرْنَا وَقْتًا طَوِيلًا

وَأَخَذْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيتُ
 وَهِيَ هِيَ الصَّبَاحُ يَنْشُرُ ضَوْءَهُ
 وَالْمِصْبَاحُ الَّذِي كَانَ يُضِيءُ زَاوِيَتِي
 الصَّغِيرَةَ الْمُظْلِمَةَ
 قَدْ ائْطَفَأَ
 وَقَدْ بَلَغَنِي النَّدَاءُ
 وَإِنِّي لَمُسْتَعِدٌّ لِلرَّحِيلِ

94

أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ
 لَقَدْ حَانَتْ سَاعَةُ رَحِيلِي
 فَلْتَتَمَنَّوْا لِي حَقًّا سَعِيداً
 لَقَدْ صَبَغَ الْفَجْرُ السَّمَاءَ بِلَوْنٍ وَرْدِي
 وَطَرِيقِي تَمَتْ جَمِيلَةً رَائِعَةً
 لَا تَسْأَلُونِي عَمَّا سَوْفَ أَحْمِلُهُ مَعِي

إِنِّي أَنهَضُ لِرِحْلَتِي بِأَيْدِ فَارِغَةٍ
 وَقَلْبٍ عَامِرٍ بِالْأَمَلِ
 سَأَتَزِينُ بِإِكْلِيلِ عُرْسِي
 أَمَّا ثَوْبُ الْمُسَافِرِ الْأَحْمَرُ الْمُغْبَرُّ
 فَلَا يَلَائِمُنِي .
 وَلَنْ اسْتَشْعَرَ الْخَوْفَ
 وَإِنْ كَانَتْ ثَمَّةَ أَخْطَارٍ فِي الطَّرِيقِ .
 إِنْ نَجَمَتِ الْمَسَاءُ سَطَطِلُ
 حِينَ تَنْتَهِي رِحْلَتِي
 وَأُنْغَامُ الْغُرُوبِ الْحَزِينَةِ
 سَيَتَرَدَّدُ صَدَاهَا فِي الْأَبْوَابِ الْمَلَكِيَّةِ الْحَزِينَةِ .

95

لَمْ أَشْعُرْ بِاللَّحْظَةِ
 الَّتِي اجْتَرْتُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ

عَتَبَ هَذِهِ الْحَيَاةَ .
 أَيُّ قُدْرَةٍ جَعَلْتَنِي أَتَفْتَحُ
 عَلَى هَذَا السِّرِّ الرَّحِيبِ
 كَمَا تَتَفَتَّحُ الزَّهْرَةُ فِي الْغَابَةِ
 عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .
 وَحِينَ رَأَيْتُ الثُّورَ فِي الْمِصْبَاحِ
 شَعَرْتُ عَلَى الْقَوْرِ
 أَنَّنِي لَسْتُ غَرِيباً عَنْ هَذَا الْعَالَمِ
 وَأَنَّ ذَلِكَ الْغَامِضَ الْمَجْهُولَ
 بِلا اسْمٍ وَلَا شَكْلِ
 قَدْ أَخَذَنِي بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ
 مَائِلاً فِي صُورَةِ أُمِّي .
 هَكَذَا
 فِي الْمَوْتِ
 فَإِنَّ هَذَا الْمَجْهُولَ سَيَبْدُو لِي

كَمَا هُوَ مَأْلُوفٌ لَدَيَّ .
 وَلَا أَنِي أَحِبُّ الْحَيَاةَ
 فَلَانِي أَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَحِبُّ الْمَوْتَ أَيْضًا .
 وَالطِّفْلُ يَبْكِي حِينَ تُبْعَدُهُ أُمُّهُ
 عَنْ نُدْيِهَا الْأَيْمَنِ .
 وَلَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا يَجِدُ سَلَوَاهُ
 فِي مَصِّ نُدْيِهَا الْأَيْسَرِ

96

عِنْدَمَا أَرْحَلُ بَعِيداً عَنْ هَذَا الْمَكَانِ
 فَسَتَكُونُ هَذِهِ كَلِمَتِي الْأَخِيرَةَ
 إِنْ مَا رَأَيْتَهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدَانِيهِ أَوْ يَسْمُوَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
 لَقَدْ تَذَوَّقْتُ طَعْمَ الْعَسَلِ الْخَفِيِّ
 لِزَهْرِ اللُّوتُسِ الَّذِي يَنْتَشِرُ فِي بَحَارِ النُّورِ
 وَكَأَنْتَ حَيَاتِي مُبَارَكَةً

وَتِلْكَ هِيَ كَلِمَتِي الْأَخِيرَةَ
 وَفِي هَذَا الْمَسْرَحِ الْعَامِرِ بِالشُّكَالِ الْمُخْتَلِفَةِ
 مَثَلْتُ دَوْرِي
 وَهُنَا لَمَحْتُ مَا لَا صُورَةَ لَهُ .
 كُلُّ جَسَدِي
 وَكُلُّ أَعْضَائِي
 ارْتَجَفَتْ تَحْتَ لَمْسَةِ ذَلِكَ الَّذِي لَا يُلْمَسُ
 وَإِذَا طَابَ لِنَهَائِي أَنْ تَكُونَ هُنَا
 فَلْتَشْرُكُوها تَأْتِي إِلَيَّ
 وَهَذِهِ هِيَ كَلِمَتِي الْأَخِيرَةَ . .

(97)

جِئْتُ لَعِبْتُ مَعَكَ
 لَمْ أَسْأَلْكَ مَنْ أَنْتَ
 وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الْخَوْفَ وَالْخَجَلَ

وَكَاثَ حَيَاتِي صَحَابَةً
كُنْتُ تُوقِظُنِي فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ
كَأَيِّ رَفِيقٍ
وَتُقَوِّدُنِي مِنْ غَابٍ إِلَى غَابٍ
وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
لَمْ أَكُنْ أَشْغَلُ نَفْسِي
بِفَهْمِ مَعَانِي الْأَغَانِي الَّتِي كُنْتُ تُغَنِّيهَا لِي
كَانَ صَوْتِي وَحْدَهُ
يَتَلَقَّفُ الْأَلْحَانَ
فَيَرُدُّهَا
وَيَرْقُصُ قَلْبِي عَلَى إِيقَاعِهَا
وَالآنَ وَقَدْ انْقَضَى وَقْتُ اللَّعِبِ
أَيُّ رُؤْيَا مُفَاجِئَةٍ تَبْدُو لِي؟
إِنَّ الْعَالَمَ
بِكُلِّ نُجُومِهِ الصَّامِتَةِ

يَخْفِضُ بَصَرَهُ

نَحْوَ قَدَمَيْكَ . .

98

سَأَتَوَجَّكَ بِغَنَائِمِي
التي هي أكاليلُ هَزِيمَتِي
فلن تكونَ في وَسْعي النجاة
قبل أن أشعرُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
أَعْلَمُ عَن يَقِينٍ أَن زَهْوِي
سَيُفْسِحُ الطريقَ
وَأَنَّ في الأَلَمِ اللّائِهَانِي
سَتُحْطَمُ حَيَاتِي كُلَّ قُبُودِهَا
وَأَن قلبي الخاوي
سَيَجْهَشُ لموسيقاه
مثل قصبَةٍ جَوْفَاءَ
وَأَن الأحجارَ
سَتَصِيرُ دُمُوعاً

واعلم عن يقين
أن الأفواف المثة لزهرة اللوتس
لن تبقى مغلقة إلى الأبد
وأن المنفذ الحثي لشهدها
سينفتح
ومن السماء الزرقاء
سترعاني مُمّلة
وتدعوني في صمت
لن يبقى لي شيء، شيء على الإطلاق
وعند قدميك
أتلّي الموت الأكمل

99

عِنْدَمَا أَمَحَّلى عِن المِقْوَدِ
أَعْلَم أَنَّهُ قَدْ حَانَت السَّاعَةُ الَّتِي تُسِكُّ أُنْتُ بِهِ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْمَلَ

يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ بِسُرْعَةٍ
وَأَيُّ مُقَاوَمَةٍ هِيَ نَوْعٌ مِنَ الْعَبَثِ
فَلْتَسْحَبْ يَدَيْكَ
وَلتَقْبَلْ هَزِيمَتِكَ فِي صَمْتٍ .
وَاذْكُرْ
أَنَّكَ كُنْتَ مَحْظُوظًا
لأنَّ تَجَلُّسَ سَاكِنًا فِي الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ لَكَ
هَذِهِ مَصَابِيحِي تَنْطَفِئُ
بِأَوْهَى نَسَمَةٍ مِنْ نَسَمَاتِ الرِّيحِ
وَفِي مَحَاوَلَةِ الْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا
وَضَاءَةٌ مُوقَدَةٍ
فَإِنِّي أَنْسَى مَا سِوَى ذَلِكَ
وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ
سَوْفَ أَكُونُ حَكِيمًا
وَأَنْتَظِرُ فِي الظُّلَامِ

بَاسِطاً حَصِيرِي عَلَى الْأَرْضِ
وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَطِيبُ لَكَ
يَا سَيِّدِي
فَلْتَأْتِ فِي صَمْتٍ
وَلْتَجْلِسْ إِلَى جَانِبِي . .

100

أَعُوصُ فِي خِضَمِّ الْأَشْكَالِ
عَلَى أَمَلٍ أَنَّ أَجِدَ اللُّوْلُوَّةَ الْكَامِلَةَ
الَّتِي لَا شَكْلَ لَهَا .
لَنْ أَبْجِرَ بَعْدَ الْيَوْمِ
مِنْ مَرَقًا إِلَى آخِرٍ
بِرُورَقِي هَذَا الَّذِي هَدَمْتُهُ الْعَوَاصِفُ .
لَقَدْ انْقَضَتْ مِنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ
تِلْكَ الْأَيَّامُ الَّتِي كُنْتُ أَنْعَمُ فِيهَا بِهَذِهِ الْأَمْوَاجِ .

وإني لأتوقُّ الآنَ إلى أَن أُمُوتَ
 في مَنْ لَا يَمُوتُ
 وفي رَذْهَةِ الاسْتِقْبَالَاتِ
 قُرْبَ الهاوِيَةِ السَّحِيقَةِ
 حَيْثُ تَرَدَّدُ مُوسِيقَى الأَوْتَارِ الَّتِي لَا صَوْتَ لَهَا
 سَاحِمِلُ مِعْزَفَ حَيَاتِي
 وَسَاطَوَعَهَا لِأَلْحَانِ الخَالِدِ الدَّائِمِ
 وَحِينَ تَشْهَقُ
 تَكُونُ قَدْ قَالَتْ كَلِمَتَهَا الأَخِيرَةَ
 فَأَضَعُ مِعْزَفِي الأَخْرَسَ
 عَلَى قَدَمِي ذَلِكَ السَّكِّتِ ..

101

حَاوَلْتُ عَلَى الدَّوَامِ
 وَطَوَالَ حَيَاتِي

أَنْ أَبْحَثَ عَنْكَ
 عَبْرَ أَغَانِيَّ الَّتِي كَانَتْ تَقُودُنِي
 مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ
 وَقَدْ تَمَكَّنْتُ بِوَاسِطَتِهَا
 أَنْ أَلْمَسَ مَا حَوَالِيَّ
 بَاحِثًا عَنْ عَالَمِي
 وَمُعَابِثًا لَهُ
 كَانَتْ أَغَانِيَّ هِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كُلَّ مَا تَلَقَّيْتُهُ مِنَ الْحَيَاةِ
 وَهِيَ الَّتِي أَرَشَدَتْنِي إِلَى الدُّرُوبِ الْمَجْهُولَةِ
 الَّتِي حَمَلَتْ كَثِيرًا مِنَ النُّجُومِ
 إِلَى آفَاقِ قَلْبِي
 وَطَوَالَ الْيَوْمِ كَانَتْ تَقُودُنِي
 حَتَّى بَلَغْتُ سِرَّ وَطَنِ الْفَرَحِ وَالْأَلَمِ
 وَالْآنَ
 نَحْوَ بَابِ أَيِّ قَصْرِ

حَمَلْتَنِي
فِي هَذَا الْمَسَاءِ الَّذِي تَنْتَهِي فِيهِ رِحْلَتِي ؟ .

102

بَيْنَ الرِّجَالِ
كُنْتُ أَفْخَرُ بِمَعْرِفَتِكَ
وَلَقَدْ رَأَوْا صُورَتَكَ
فِي جَمِيعِ أَعْمَالِي
وَقَدْ جَاءُوا لِسُؤَالِي
مَنْ هُوَ ؟
وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُجِيبُ
وَأَقُولُ :
حَقًّا إِنِّي لَا أَعْرِفُ
فَيَضْحَكُونَ مِنِّي وَيَنْصَرِفُونَ عَنِّي

وَقَدْ اَمْتَلَأْتُ نَفْسَهُمْ بِالاسْتِهْزَاءِ
وَكُنْتَ أَنْتَ تَجْلِسُ هُنَاكَ
بَاسِمًا

لَقَدْ قَصَصْتُ حِكَايَاتِكَ فِي أُغْنِيَاتِ خَالِدَةٍ
وَقَدْ جَاؤَا لِسَوَالِي
اشرحْ لَنَا مَا عَنَيْتَ
وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُجِيبُ
وَأَقُولُ

لَا أَدْرِي مَاذَا تَعْنِي
فَيَضْحَكُونَ وَيَنْصَرِفُونَ

وَقَدْ اَمْتَلَأْتُ نَفْسَهُمْ بِالاسْتِهْزَاءِ
وَأَنْتَ تَجْلِسُ هُنَاكَ
بَاسِمًا ..

103

فِي تَحِيَّةٍ مَرْفُوعَةٍ إِلَيْكَ

يَا إِلَهِي
فَإِنَّ جَمِيعَ حَوَاسِّي تَنْسَكِبُ
لِتُلَامِسَ هَذَا الْكَوْنَ
الرَّايِضَ بَيْنَ قَدَمَيْكَ
وَمِثْلَ غَيْمَةٍ تَمُوزُ
الَّتِي تَنْوُءُ بِثِقَلِ أَمْطَارِهَا
الَّتِي لَمْ تَهْطِلْ
فَإِنَّ أَفْكَارِي تَنْحَنِي عِنْدَ بَابِكَ
فِي تَحِيَّةٍ مَرْفُوعَةٍ إِلَيْكَ

وَكَسْرِبٍ مِنَ الطُّيُورِ الْمُهَاجِرَةِ
الَّتِي يَقُودُهَا الْحَيْنُ
إِلَى أَوْكَارِهَا الْجَبَلِيَّةِ
فَتُحَلِّقُ مِنْ أَجْلِ الْعُودَةِ إِلَيْهَا
لَيْلاً وَنَهَاراً
هَكَذَا حَيَاتِي الَّتِي تَسْتَأْنِفُ رِحْلَتَهَا
نَحْوَ الْإِقَامَةِ الْخَالِدَةِ
تَرْتَفِعُ فِي تَحِيَّةٍ إِلَيْكَ..

البُستاني

الخدام : رحمةً بخادمك ... يا مَلِيكَتي

المَلِكَة : إنَّ الاجْتِمَاعَ قَدْ انْفَضَّ ، وانصَرَفَ جَمِيعُ
خُدَّامِي ، فَلِمَاذَا جِئْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ ؟

الخدام : حِينَ تَفْرَغِينَ مِنَ الْآخَرِينَ ، تَأْتِي سَاعَتِي ، لَقَدْ
جِئْتُ أَسْأَلُ عَمَّا بَقِيَ لِآخِرِ خُدَامِكَ

المَلِكَة : مَاذَا تُؤْمِلُ أَنْ تَنَالَ عِنْدَمَا تَكُونُ مُتَأَخِّرًا ؟

الخدام : اجْعَلِيَنِي بُسْتَانِيًّا فِي حَدِيقَةِ زُهورِكَ

المَلِكَة : مَا هَذَا الْجُنُونُ ؟

الخدام : سَأَتَنَازِلُ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ آخِرٍ ، وَأُلْقِي إِلَى التُّرابِ
حِرَائِي وَسُيُوفِي ، فَلَا تَبْعَثِيَنِي إِلَى بَلَاطَاتٍ بَعِيدَةٍ ،
وَلَا تَأْمُرِيَنِي الْقِيَامَ بِمُفْتَوِّحاتٍ جَدِيدَةٍ ، وَلَكِنْ
اجْعَلِيَنِي فَقْطُ بُسْتَانِيًّا فِي حَدِيقَةِ زُهورِكَ .

المَلِكَة : مَا هِيَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي سَتُؤَدِّيهَا ؟

الْخَادِمُ : أَنْ أَخْدَمَكَ فِي أَيَّامِ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِرْحَاءِ : سَأَجْعَلُ
الدَّرَبَ الْمُعْشَبَ الَّذِي تَمْرِينُ فَوْقَهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
طَرِيقًا نَدِيًّا . وَفِي كُلِّ خُطْوَةٍ ، تُحِيِّي قَدَمَيْكَ أَمَادِيحَ
الزُّهُورِ الْمَشُوقَةِ إِلَى الْمَوْتِ ، وَسَاهُزُ أَرْجُوحَتِكَ
بَيْنَ أَغْصَانِ السَّبَاطِرِنَا حَيْثُ الْقَمَرُ ، عِنْدَ أَوَّلِ
ظُهُورِهِ فِي الْمَسَاءِ ، يُصَارِعُ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ
لِيَقْبَلَ حَافَةَ فُسْتَانِكَ . وَسَأَمْلَأُ بِالزَّيْتِ الْمُعْطَّرِ
الْمِصْبَاحَ الَّذِي يَتَقَدُّ قُرْبَ سَرِيرِكَ ، وَأُزْخِرُ
الْمَقْعَدَ الَّذِي تَضَعِينَ عَلَيْهِ قَدَمَيْكَ بِرُسُومٍ رَائِعَةٍ
مَصْنُوعَةٍ مِنْ عَجِينِ الصَّنْدَلِ وَالزَّعْفَرَانِ .

المَلِكَة : وَمَاذَا تَطْلُبِ مِنْ أَجْرِ ؟

الْخَادِمُ : أَنْ أَشُدَّ عَلَى رَاحَتَيْكَ الصَّغِيرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تُشَبِّهَانِ
بَرَاعِمِ اللُّوتُو الرُّطْبَةِ . وَأَنْ أَضْفِرَ حَوْلَ مِعْصَمَيْكَ
أَسُورَةً مِنَ الزُّهُورِ ، وَأَنْ أُحْيِي بِعَصِيرِ الْأَشُوكَا

الأحمر وأن أُمسح بِقُبَلَاتِي حَبَّاتِ الْغُبَارِ الَّتِي تَقَعُ
عَلَيْهِمَا .

الْمَلِكَةُ : إِنْ رَجَاءُكَ قَدْ تَحَقَّقَ يَا خَادِمِي ، سَتَكُونُ بُسْتَانِيَّ
حَدِيقَةَ زُهُوري ..

②

آه أَيُّهَا الشَّاعِرُ
إِنَّ الْمَسَاءَ يَقْتَرِبُ
وَشَعْرُكَ يَشِيبُ
فَهَلْ تُصْغِي فِي وَحْدَتِكَ التَّائِمِلَةِ
إِلَى رِسَالَةِ الْمَجْهُولِ ؟
أَجَابَ الشَّاعِرُ :
إِنَّهُ الْمَسَاءُ
وَإِنِّي لِأُصْغِي
فِرْيَا دَعَانِي أَحَدُهُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ

رَغْمُ تَأْخُرِ السَّاعَةِ
إِنِّي أَرْقُبُ الْقُلُوبَ الشَّابَّةَ الشَّارِدَةَ
وَهِيَ تَلْتَقِي .

وَبَعْيُونِ مُبْتَهَلَةٍ خَاشِعَةٍ
تَلْتَمِسُ أَنْ تُحَطَّمَ مُوسِيقَايَ
سُكُونَهَا

وَتَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا

فَمَنْ يَنْسِجُ أَغَانِيهَا الْعَاشِقَةُ
إِذَا جَلَسْتُ عَلَى ضِفَّةِ الْحَيَاةِ
أَتَأْمَلُ الْمَوْتَ ، وَمَا وَرَاءَ الْمَوْتِ ؟

إِنْ نَجْمَةُ الْمَسَاءِ تَأْفُلُ

وَنَارُ مَحْرَقَةِ الْمَوْتَى تَخْبُو بِبُطْءٍ
قُرْبَ النَّهْرِ الصَّامِتِ .

وَمِنْ سَاحَةِ بَيْتِ مَهْجُورٍ تَعْوِي الذُّنَابُ عَوَاءً جَمَاعِيًّا
لِضَوْءِ الْقَمَرِ الْوَاهِي

فَإِذَا غَادَرَ أَحَدُ الْعَابِرِينَ بَيْتَهُ

وَجَاءَ هُنَا يَتَأَمَّلُ اللَّيْلَ
 وَيُصْنَعِي بِرَأْسِ مُنْكَسٍ خَاشِعٍ
 إِلَى غَمْغَمَةِ الظَّلَامِ
 فَمَنْ الَّذِي يَهْمِسُ إِلَيْهِ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ ؟
 إِذَا أَنَا أَغْلَقْتُ أَبْوَابِي
 مُحَاوَلًا التَّحَرُّرَ مِنَ الرُّوَاطِطِ الْفَانِيَةِ .
 غَيْرِ مُهِمٍّ
 أَنْ يَشِيبَ شَعْرِي
 إِنِّي دَائِمًا شَابٌّ وَعَجُوزٌ
 كَأَكْثَرِ شَبَابِ الْقَرْيَةِ شَبَابًا
 وَأَكْثَرِ شُيُوخِهِمْ شُيُوخُوخَةً
 فِي عُيُونِ الْبَعْضِ
 ابْتِسَامَةً بَسِيطَةً وَعَذَبَةً
 وَفِي عُيُونِ الْبَعْضِ الْآخِرِ غَمَزَاتٌ مَآكِرَةٌ
 وَآخِرُونَ فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ
 وَلَيْسَ لَدَيَّ وَقْتُ

لِلتَّفَكِيرِ
حَوْلَ الْأَبَدِيَّةِ
أَنَا تَرَبُّ لَهُمْ جَمِيعًا
وَمَنْ الْعُمُرِ نَفْسِهِ
فَمَاذَا يَهُمُّ
إِذَا كَانَ شَعْرِي سَيْشِيبُ؟

3

فِي الصَّبَاحِ
أَلْقَيْتُ شَيْئًا كِي فِي الْبَحْرِ

وَاسْتَخَرَجْتُ مِنَ اللَّجَّةِ الْمُظْلِمَةِ
 أَشْيَاءَ غَرِيبَةَ الْمَنْظَرِ ، رَائِعَةَ الْجَمَالِ
 بَعْضُهَا يَتَأَلَّقُ كَأَنَّهُ ابْتِسَامَةٌ
 وَبَعْضُهَا يَلْمَعُ كَأَنَّهُ دَمْعَةٌ
 وَبَعْضُهَا وَرْدِي كَأَنَّهُ وَجَنَتَا عُرُوسٍ .
 وَحِينَ عُدْتُ إِلَى بَيْتِي فِي نِهَآيَةِ الْمَسَاءِ
 حَامِلًا غَنِيمَتِي
 كَانَتْ حَبِيبَتِي تَجْلِسُ فِي الْحَدِيقَةِ
 تَتَرَعُّ فِي كَسَلٍ أَفْوَافَ زَهْرَةٍ .
 وَفِي تَهْيِبٍ وَاجْتِشَامٍ
 وَضَعْتُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا ، كُلَّ صَيْدِي
 فَانْظَرْتُ إِلَيْهِ فِي اسْتِخْفَافٍ ، وَقَالَتْ :
 مَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْغَرِيبَةُ ؟
 لَسْتُ أَدْرِي مَا نَفْعُهَا ؟
 فَأَحْنَيْتُ رَأْسِي فِي خَجَلٍ ، وَفَكَّرْتُ
 « لَمْ أَصَارِعْ لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا
 إِنَّهَا عَطَايَا لَيْسَتْ جَدِيرَةً بِكَ »

وَلَبِثْتُ طَوَالَ اللَّيْلِ
أَلْقِيَهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً
فِي الطَّرِيقِ .
وَفِي الصَّبَاحِ
جَاءَ الْمُسَافِرُونَ
وَجَمَعُوهَا ، وَحَمَلُوهَا إِلَى بُلْدَانٍ بَعِيدَةٍ

4

أَوَاهِ .. لِمَاذَا شِيدُوا بَيْتِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ الْمَفْضِيَةِ إِلَى
السُّوقِ ؟
إِنَّهُمْ يَرْسُونَ مَرَائِبَهُمُ الْمَشْحُونَةَ
قُرْبَ أَشْجَارِي
يُرْوَحُونَ وَيَجِثُّونَ

كَمَا يَحْلُوْلُهُمْ
 وَأَنَا جَالِسٌ أَرْقُبُهُمْ
 وَوَقْتِي يَمُرُّ بِهَدْوٍ
 لَا أَسْتَطِيعُ طَرْدَهُمْ
 وَعَلَى هَذَا النَّسَقِ تَمْضِي أَيَّامِي
 لَيْلًا وَنَهَارًا
 بَعْضُهُمْ تَعْرِفُهُ أَصَابِعِي
 بَعْضُهُمْ حَيَاشِيْمِي
 وَيَبْدُو أَنَّ بَعْضَهُمْ الْآخِرُ يَعْرِفُهُمُ الدَّمُ الَّذِي يَجْرِي فِي
 عُرْوَقِي
 لَا أَسْتَطِيعُ طَرْدَهُمْ فَاهْتِفْ بِهِمْ . وَأَقُولُ
 لِيَأْتِ إِلَى بَيْتِي مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ
 نَعَمْ ، تَعَالَوْا إِلَى بَيْتِي
 وَفِي الصَّبَاحِ حِينَ يَقْرَعُ جَرَسُ الْمَعْبَدِ
 يَأْتُونَ حَامِلِينَ سَلَالَهُمْ .
 أَقْدَامُهُمْ مُورَدَةٌ

ووجوههم مضاءة بأول أنوار الفجر
 أن أطردهم ، لا أستطيع
 ولكنني أهتف بهم وأقول
 تعالوا ، اجمعوا الزهور من حديقتي
 تعالوا ،

وفي منتصف النهار
 يدق الطبل أمام مدخل القصر
 لا أدري لماذا يتركون العمل
 ويطوفون حول سياحي .
 الزهور فوق شعورهم
 شاحبة ذابلة .
 وأنغام ناياتهم خافتة واهنة .
 لا أستطيع طردهم
 وأهتف بهم قائلاً :
 إن الظل ندي تحت أشجاري
 أيها الأصدقاء ، تعالوا

وفي اللَّيْلِ تَخَفْتُ أَصْوَاتَ الْحُبَابِ فِي الْغَابِ
 مَنْ هُوَ هَذَا الْغَرِيبُ الْقَادِمُ ، الَّذِي يَأْتِي بِهُدُوٍّ ، وَيَطْرُقُ
 بَابِي بِطُفٍّ ؟
 لَا أَكَادُ أَتَيْنُ مُحْيَاهُ
 وَلَا مِنْ كَلِمَةٍ يَنْبَسُ بِهَا
 أَنْ أَطْرَدَ ضَيْفِي
 ذَلِكَ مَا لَا أَسْتَطِيعُ
 وَلَكِنِّي أَرْقُبُ مُحْيَاهُ فِي الظَّلَامِ
 وَتَمْضِي بِي سَاعَاتُ مِنَ الْأَحْلَامِ

5

إِنِّي قَلِقُ
 وَظَامِي إِلَى أَشْيَاءَ بَعِيدَةٍ
 وَإِنْ نَفْسِي لَتَهْبُ مَشُوقَةٌ
 إِلَى أَنْ تَلْمَسَ حَافَةَ الْبُعْدِ الْغَامِضِ الْمُبْهَمِ .

آه ، أَيُّهَا الْمَاورَاءُ الْعَظِيمُ
 يَا لَرَوْعَةِ النَّدَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَهْتَفُ بِهِ نَايِكَ
 إِنِّي أَنْسَى ، أَنْسَى دَوْمًا
 أَنَّهُ لَيْسَتْ لِي أَجْنِحَةٌ أُحَلِّقُ بِهَا
 إِنَّ صَبْرِي لَنَافِدٌ ، وَإِنِّي لَمُورِقٌ
 وَغَرِيبٌ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ
 وَنَفْسُكَ يَبْلُغُنِي ، هَامِسًا بِالْأَمَلِ الْمُسْتَحِيلِ
 إِنَّ قَلْبِي يَفْهَمُ لُغَتَكَ
 وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِاللُّغَةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ بِهَا .
 آه أَيُّهَا الْبَعِيدُ عَنِ الْبَحْثِ وَالتَّنَاوُلِ
 أَوَاه ، مِنْ نِدَاءِ نَايِكَ الْحَادِّ
 إِنِّي أَنْسَى ، أَنْسَى دَوْمًا
 إِنِّي أَجْهَلُ الطَّرِيقَ
 وَلَيْسَ لِي وَلَا لَكَ الْفَرَسُ الْمَجْنَحُ
 وَلَا شَيْءٌ يَشِيرُ أَهْتَامِي
 أَنَا مُتَشَرِّدٌ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي

وفي الضبابِ المُشمِسِ للسَّاعاتِ الواهِنَةِ تَتَّخِذُ تِلْكَ الرُّؤْيَا
 الْعَظِيمَةَ شَكْلًا فِي زُرْقَةِ السَّمَاءِ
 آه أَيُّهَا الْهَدَفُ الْقَصِيُّ النَّائِي
 آه ، مِنْ نِدَاءِ نَائِكَ الْحَادِّ
 إِنِّي أَنْسَى ، أَنْسَى دَوْمًا أَنْ جَمِيعَ الْبَوَابِ مُغْلَقَةٌ
 فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَعِيشُ فِيهِ وَحِيدًا

6

الطائرُ الحَيِّسُ فِي الْقَفْصِ
 وَالطائرُ الطَلِيقُ فِي الْغَابِ
 التَّقْيَا حِينَ أَزِفَ وَقْتُ الْإِقَاءِ
 تِلْكَ كَانَتْ مَشِيئَةُ الْقَدَرِ
 هَتَفَ الطائرُ الطَلِيقُ بِرَفِيقِهِ :
 يَا حَبِيبِي ، لِنُحَلِّقْ فِي الْغَابِ
 وَلَكِنَّ الطائرَ الْحَيِّسَ هَمَسَ :
 تَعَالَ ، لِنَعِشْ مَعًا فِي الْقَفْصِ

فَيَقُولُ الطَّائِرُ الطَّلِيْقُ :
 بَيْنَ الْقُضْبَانِ ؟ كَيْفَ نَجِدُ الْفَضَاءَ لِبَسْطِ أَجْنِحَتِنَا ؟
 فَيَصْرُخُ الْعَصْفُورُ الطَّلِيْقُ (يَا حَبِيْبِي ، غَنِّ

أُغْنِيَاتِ الْغَابِ
 فَيَقُولُ الطَّائِرُ السَّجِيْنُ (اجْلِسْ بِالْقُرْبِ مِنِّي
 أَعْلَمُكَ لُغَةَ الْعَارِفِيْنَ)
 فَيَصْرُخُ الطَّائِرُ الطَّلِيْقُ (لَا .. لَا .. إِنْ الْأُغْنِيَاتِ لَا تُعَلِّمُ)

فَيَقُولُ الطَّائِرُ السَّجِيْنُ (أَوَاهُ ، إِنْ لَا أَعْرِفُ
 أُغْنِيَاتِ الْغَابِ) .

إِنْ حُبَّهُمَا لَعَمِيْقٌ وَمُدْمَرٌ
 وَلَكِنَّهُمَا لَا يَسْتَطِيعَانِ التَّحْلِيْقَ مَعًا
 وَمِنْ خِلَالِ قُضْبَانِ الْقَفْصِ
 يَتَأَمَّلَانِ ، وَيُمَعِنَانِ فِي التَّأَمُّلِ .
 وَلَكِنْ .. عَبَثًا يُحَاوِلَانِ التَّعَرُّفَ عَلَى بَعْضِهِمَا
 فَيَهْزَانِ أَجْنِحَتَهُمَا وَيَغْنِيَانِ
 (تَعَالَى ، اقْتَرِبْ مِنِّي يَا حَبِيْبِي)

فَبَصْرُ الْعُصْفُورِ الطَّلِقِ
(مُسْتَحِيل . إني أَخَشَى أَبْوَابَ
الْقَفْصِ الْمُقْفَلَةِ)

فِيهِمْسُ الْعُصْفُورِ السَّجِينِ
(أَوَاه . إن أُنْجِحْتِي لَعَاجِزَةٌ مَيِّتَةٌ)

7

أُمَاهُ .. إن الأَمِيرَ الشَّابَّ
سَوْفَ يَمُرُّ بِمَوْكِهِ أَمَامَ بَابِنَا ..
كَيْفَ يُمْكِنُنِي الْإِنْشِغَالُ بِالْعَمَلِ
هَذَا الْيَوْمَ ؟

أَرَيْنِي كَيْفَ أَصْفُ شَعْرِي
وَقَوْلِي ، أَيَّ أَثْوَابٍ أَرْتَدِي
أُمَاهُ ، لِمَاذَا تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بِدَهْشَةٍ
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ
نَحْوَ نَافِذَتِي

وَأَعْرِفُ تَمَامًا أَنَّهُ سَيَخْتَفِي كَالْبَرْقِ أَمَامَ بَصْرِي
وَلَنْ يَصِلَنِي مِنْ بَعِيدٍ
سِوَى نَشِيجِ أَنْعَامِ النَّايِ

ولكنَّ الأميرَ الشابَّ
 مرَّ أمامَ بابنا
 وشمسُ الصِّبَا
 تَسْطَعُ مِنْ عَرَبَتِهِ الْفَاخِرَةِ
 لَقَدْ رَفَعْتُ الْحِجَابَ عَنْ وَجْهِهِ
 وَنَزَعْتُ عِقْدَ الْمَاسِ مِنْ عُنُقِي
 وَأَلْقَيْتُ بِهِ فِي طَرِيقِهِ
 أُمَّاهُ ، لِمَاذَا تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بِدَهْشَةٍ
 أَعْرِفُ ، أَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْ الْعَقْدَ
 الَّذِي سَحَقَتْهُ الْعَجَلَاتُ
 تَارِكَةً بُقْعَةً مَسْحُوقَةً حَمَاءَ فَوْقَ الْغُبَارِ
 وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ هَدِيَّتِي
 أَوْلَمَنْ كَانَتْ مُوجَّهَةً
 وَلَكِنَّ الأميرَ الشابَّ مرَّ أمامَ بابنا
 وَأَنَا أَلْقَيْتُ فِي طَرِيقِهِ
 الْحِلْيَةَ الَّتِي أَحْمِلُهَا فَوْقَ صَدْرِي

عِنْدَمَا انْطَفَأَ الْمِصْبَاحُ الْقَرِيبُ مِنْ سَرِيرِي
 اسْتَيْقَظْتُ مَعَ يَقْظَةِ الْعَصَافِيرِ الْمُبَكَّرَةِ
 وَجَلَسْتُ إِلَى النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ
 وَإِكْلِيلُ طَرِيٍّ مِنَ الزُّهْرِ يَتَوَجُّ شَعْرِي الْمُبَدَّدَ
 وَأَقْبَلَ الشَّابُّ الْعَابِرُ يَمْشِي غِي الطَّرِيقِ الْمَقْفُوفَةِ
 بِضَبَابِ الصَّبَاحِ الْوَرْدِي
 كَانَتْ فِي عُنُقِهِ قِلَادَةٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ
 وَعَلَى تَاجِهِ تَتَلَاأُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ
 وَوَقَفَ أَمَامَ بَابِي ، وَسَأَلَنِي بِصَوْتٍ مُتَلَهِّفٍ
 نَافِدِ الصَّبْرِ :
 أَيْنَ هِيَ ؟
 وَمِنْ خَجَلِي الْعَظِيمِ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَقُولَ إِنَّهَا أَنَا ،
 أَيُّهَا الشَّابُّ الْعَابِرُ ، إِنَّهَا أَنَا ؟
 كَانَتْ سَاعَاتُ الْغُرُوبِ .

وَلَمْ يُوقِدِ الْمِصْبَاحُ بَعْدُ
وَكُنْتُ أَضْفَرُ شَعْرِي بِلَا رَغْبَةٍ
فَجَاءَ الشَّابُّ فَوْقَ عَرَبَتِهِ
يَحْفُ بِهِ بِرَيْقِ شَمْسِ الْغُرُوبِ
كَانَتْ مَلَابِسُهُ مَغْطَاً بِالْغُبَارِ
وَحَيَوُلُهُ مُجْهِدَةً

نَزَلَ أَمَامَ بَابِي
وَسَأَلَ بِصَوْتٍ مُتَعَبٍ مُرْهَقٍ
أَيْنَ هِيَ ؟

وَلَمْ أُسْتَطِعْ مِنْ خَجَلِي أَنْ أَقُولَ ، إِنَّهَا
أَنَا أَيُّهَا الْمُسَافِرُ الْمُتَعَبُ ، إِنَّهَا
أَنَا .. (..) ..

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ نَيْسَانَ
كَانَ الْمِصْبَاحُ يَشْتَعِلُ فِي غُرْفَتِي
وَنَسِيمُ الْجَنُوبِ يَهْبُ بِلُطْفٍ
وَالْبَغَاءُ الْمِهْدَارُ يَنَامُ فِي قَفْصِهِ

وَصَدْرِيَّيْ كَانَ لَهَا لَوْنٌ عُنُقِ الطَّائِفِ
وَمِعْطَفِي أَخْضَرُ مِثْلَ الْعُشْبِ الْغَضِّ النُّصِيرِ
وَجَلَسْتُ عَلَى الْأَرْضِ ، قُرْبَ النَّافِذَةِ
أَتَأَمَّلُ الطَّرِيقَ الْمَهْجُورَةَ

وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ
كُنْتُ أَتَمِّمُ بِاسْتِمْرَارٍ
إِنَّهَا أَنَا .. أَيُّهَا الْمُسَافِرُ الْيَائِسُ .. إِنَّهَا أَنَا

9

عِنْدَمَا أَذْهَبُ وَحْدِي فِي اللَّيْلِ
لِلْقَائِي الْغَرَامِي

تَكُونُ الْعَصَافِيرُ قَدْ تَوَقَّفَتْ عَنِ الْغِنَاءِ
 وَالرِّيحُ قَدْ انْقَطَعَتْ عَنِ الْهُبُوبِ
 وَالْبُيُوتُ الْمُنْتَشِرَةُ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ
 صَامِتَةٌ سَاكِتَةٌ
 أَنْ أَسُورَتِي فَقَطُّ هِيَ الَّتِي تَرِنُ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ
 فَيَمْلَأُنِي ذَلِكَ بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ
 وَحِينَ أُجْلِسُ عِنْدَ الشَّرْفَةِ
 أَسْمَعُ صَدَى خُطَوَاتِهِ
 فَالْأَوَاقُ تَنْقَطِعُ عَنْ حَفِيفِهَا بَيْنَ الْأَغْصَانِ
 وَتَسْكُنُ مِيَاهَ النَّهْرِ
 كَمَا يَسْكُنُ السَّيْفُ فَوْقَ رُكْبَتِي حَارِسٍ نَائِمٍ
 إِنَّ قَلْبِي فَقَطُّ هُوَ الَّذِي يَدُقُّ بِوَحْشِيَّةٍ
 وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَهْدِيهِ
 وَحِينَ يَأْتِي حَبِيبِي
 وَيَجْلِسُ إِلَى جَانِبِي
 وَحِينَ يَرْتَجِفُ جَسَدِي
 وَتَفْتَرُ جَفَنَايَ

واللَّيْلُ يُزْدَادُ حُلْكَهٗ
وَتُطْفِئُ الرِّيحُ الْمِصْبَاحَ
وَتَبْسُطُ السُّحُبُ حِجَابًا عَلَى النُّجُومِ
فَإِنَّ جَوْهَرَةَ قَلْبِي هِيَ الَّتِي تَتَلَقُّ ، وَتَشِعُّ
وَلَا أُدْرِي كَيْفَ أُخْفِيهَا

10

كُفِّي عَنِ الْعَمَلِ .. أَيَّتُهَا الْعُرُوسُ
وَأَسْمَعِي .. لَقَدْ جَاءَ الضَّيْفُ
أَلَا تَسْمَعِيهِ ؟ إِنَّهُ يُحَرِّكُ بُلُطْفِ
السِّلْسِلَةِ الَّتِي تُقْفِلُ الْبَابَ
إِحْذَرِي أَنْ تَرْنَ أَسْوَرَتَكَ رَيْنًا عَالِيًا
وَلَا تُسْرِعِي الْخَطَا إِلَى لِقَائِهِ

دَعِي عَمَلِكِ أَيُّهَا الْعُرْسُ
 واسمعي .. لَقَدْ جَاءَ الضَّيْفُ
 لَا تَخَافِي أَيُّهَا الْعُرْسُ
 فَلَيْسَ هُوَ رِيحَ الْأَشْبَاحِ
 إِنَّ الْبَدْرَ مُكْتَمِلٌ فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي نِسَانَ
 وَالظَّلَالُ شَاحِبَةٌ فِي بَاحَةِ الْبَيْتِ
 وَالسَّمَاءُ مُنِيرَةٌ
 أُسْدِلِي الْحِجَابَ عَلَى الْوَجْهِ
 إِذَا كُنْتَ تَوَمِّينَ
 وَضِعِي الْمِصْبَاحَ عِنْدَ الْبَابِ
 إِذَا كُنْتَ تَخَافِينَ
 لَا تَخَافِي أَيُّهَا الْعُرْسُ
 فَلَيْسَ هُوَ رِيحَ الْأَشْبَاحِ
 إِذَا كُنْتَ تَخْجَلِينَ
 فَلَا تَقُولِي أَيَّ كَلِمَةٍ
 وَفِي إِلَى جَانِبِ الْبَابِ ، حِينَ تَسْتَقْبِلِيهِ
 فَإِذَا طَلَبَ مِنْكَ شَيْئًا

فَخَفْضِي بَصْرَكَ فِي صَمْتٍ إِذَا شِئْتَ
وَلَا تَدْعِي الْأَسُورَةَ تَرْنُ حِينَ تُدْخِلِينَهُ ، وَالْمِصْبَاحُ فِي يَدَيْكَ
إِذَا كُنْتَ خَجَلِي فَلَا تَقُولِي لَهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً
لَمْ تُكْمِلِي عَمَلَكَ بَعْدُ ؟
اسْمَعِي .. لَقَدْ جَاءَ الضَّيْفُ
أَلَمْ تُوقِدِي الْمِصْبَاحُ فِي الْحَظِيرَةِ ؟
أَلَمْ تُعِدِّي سَلَّةَ الْعَطَايَا لِصَلَوَاتِ الْمَسَاءِ
أَلَمْ تَضْعِي عَلَامَةَ الْحِظِّ الْحَمْرَاءِ عِنْدَ فَرْقَةِ الشَّعْرِ
أَلَمْ تُتَرِّنِي لِلَّيْلِ
أَيُّهَا الْعُرُوسُ ، أَلَمْ تَسْمَعِي ؟
إِنَّ الضَّيْفَ جَاءَ
كُفِّي عَنِ الْعَمَلِ الْآنَ .

تَعَالَيْ ، عَلَى حَالَتِكَ
وَلَا تَتَبَاطَيْ فِي التَّرْنِ

إِذَا كَانَتْ ضَفِيرَةُ الشَّعْرِ قَدْ انْحَلَّتْ
 وَفَرَقَةُ الشَّعْرِ غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ
 وَإِذَا كَانَتْ أَشْرِطَةُ الصِّدَارِ غَيْرَ مَعْقُودَةٍ
 فَلَا تَهْتَمِّي
 وَتَعَالِي ، عَلَى حَالَتِكَ وَلَا تَتَبَاطَلِي فِي التَّرَيْنِ
 تَعَالِي فَوْقَ الْعُشْبِ بِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ
 فَإِذَا انْفَسَخَ الْأَحْمَرُ بِسَبَبِ النَّدى
 وَتَرَاحَتِ الْحَلَاخِيلُ الَّتِي تَرْنُ فِي قَدَمَيْكَ
 وَتَسَاقَطَتِ حَبَّاتُ قِلَادَتِكَ
 فَلَا تَهْتَمِّي
 فَلَا تَهْتَمِّي
 تَعَالِي ، فَوْقَ الْعُشْبِ بِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ
 أَلَا تَرَيْنَ السُّحْبَ تَغْطِي السَّمَاءَ
 وَأَسْرَابَ الطُّيُورِ تَرْتَفِعُ لِلتَّحْلِيْقِ
 مِنْ فَوْقِ الضَّفَةِ الْأُخْرَى لِلنَّهْرِ
 وَالْقُطْعَانَ الْخَائِفَةَ تُسْرِعُ نَحْوَ الْحَطَائِرِ

أَلَا تَرَيْنَ السُّحْبَ تَغْطِي السَّمَاءَ
 حِينَ تُوقِدِينَ مِصْبَاحَ غُرْفَةِ الزَّيْنَةِ
 يَتَرَنَحُ اللَّهَبُ ثُمَّ تَطْفِئُهُ الرِّيحُ
 فَمِنْ الَّذِي يَقْطُنُ إِلَى أَنْ رُمُوشُكَ لَمْ تُصْغَعْ بِالظُّلَالِ
 إِنْ عَيْنُكَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ السُّحْبِ الْقَاتِمَةِ
 فَمَنْ الْعَبَثُ أَنْ تُوقِدِي مِصْبَاحَ غُرْفَةِ الزَّيْنَةِ
 تَعَالَى ، عَلَى حَالَتِكَ
 وَلَا تَتَّبِاطِي فِي التَّرْتِينِ
 إِذَا كَانَ الْعِقْدُ غَيْرَ مَنْظُومٍ
 فَلَا يَهُمُّ
 وَإِذَا كَانَ السَّوَارُ غَيْرَ مُقْفَلٍ
 دَعِيهِ عَلَى حَالِهِ
 إِنَّ السَّمَاءَ مُغَطَّاةٌ بِالسُّحْبِ
 وَالْوَقْتُ مُتَأَخِّرٌ
 تَعَالَى عَلَى حَالَتِكَ
 وَلَا تَتَّبِاطِي فِي الزَّيْنَةِ .

تَعَالَى ، تَعَالَى إِلَى بُحَيْرَتِي إِذَا كُنْتُ تُرِيدِينَ أَنْ تُلْقِي
 بِنَفْسِكَ فِي الْمَاءِ
 إِذَا كُنْتُ تُرِيدِينَ أَنْ تَكُونِي مَجْنُونَةً
 وَإِذَا كُنْتُ تَبْحَثِينَ عَنِ الْمَوْتِ غَرَقًا
 تَعَالَى ، تَعَالَى إِلَى بُحَيْرَتِي
 إِنَّهَا بُحَيْرَةٌ بَارِدَةٌ وَعَمِيقَةٌ
 وَمُظْلِمَةٌ مِثْلَ نَوْمٍ بِلَا أَحْلَامٍ
 وَفِي أَغْوَارِهَا يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
 وَالْأَغْنِيَاتُ فِيهَا هِيَ الصَّمْتُ
 تَعَالَى
 تَعَالَى إِلَى بُحَيْرَتِي
 إِذَا كُنْتُ تَرَعِّينَ فِي أَنْ تُلْقِي
 بِنَفْسِكَ فِي أَحْضَانِ الْمَوْتِ
 إِذَا كُنْتُ تُرِيدِينَ أَنْ تَمْلِي جَرَّتَكَ

تَعَالِي ، تَعَالِي إِلَى بُحِيرَتِي
فَالْمَاءُ سَيَطُوقُ قَدَمَيْكَ
وَيَهْمِسُ إِلَيْكَ بِسِرِّهِ .
وعلى الرَّمْلِ .
ظِلَالُ الْمَطَرِ الْقَادِمِ
وَالسُّحُبِ عَلَى مَسَافَةٍ مَنخَفِضَةٍ
فَوْقَ الْجَانِبِ الْأَزْرَقِ مِنَ الْأَشْجَارِ
كَالشَّعْرِ الْكَثِيفِ الْمُسَدِّلِ عَلَى عَيْنِكَ
إِنِّي أَعْرِفُ تَمَامًا وَقَعَ خُطُوتُكَ
إِنَّهَا تَدُقُّ فِي قَلْبِي
فَتَعَالِي ، تَعَالِي إِلَى بُحِيرَتِي
إِذَا كُنْتَ تُرِيدِينَ أَنْ تَتَكَاسَلِي
وَتَجْلِسِي فِي خُمُولٍ
وَتَدْعِي جَرَّتَكَ تَطْفُو فَوْقَ الْمَاءِ
تَعَالِي ، تَعَالِي ، إِلَى بُحِيرَتِي
إِنِ الْمُنْحَدِرُ الْمُعْشَبُ مُخْضَرٌ

وَزُهُورُ الْحَقْلِ لَا تُحْصَى
 وَمِنْ عَيْنِكَ السَّمَاوِينَ
 تَجُوبُ أَفْكَارُكَ
 مِثْلَ الطُّيُورِ خَارِجَ أَعْشَاشِهَا
 وَسَيَسْقُطُ خِيَارُكَ عَلَى قَدَمَيْكَ
 تَعَالَى ، تَعَالَى
 إِذَا كُنْتَ تُرِيدِينَ الْجُلُوسَ فِي اسْتِرْحَاءٍ
 إِذَا كُنْتَ تَرْغَبِينَ فِي تَرْكِ لُعْبَتِكَ وَالْعَوَصِ فِي الْمَاءِ
 تَعَالَى ، تَعَالَى إِلَى بُحَيْرَتِي
 دَعِي لِحَافِكَ الْأَزْرَقَ عَلَى الضَّفَّةِ
 فَالْمِيَاهُ الزَّرْقَاءُ سَتَسْتُرُكَ وَتُخَفِّيكِ
 وَتَرْتَفِعُ الْأَمْوَاجُ عَالِيَةً لِتُقَبِّلَ عُنُقَكَ
 وَتَهْمِسَ فِي أُذُنِكَ

3

لَمْ أَطْلُبْ شَيْئًا .
 اكْتَفَيْتُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ نِهَآيَةِ الْعَابَةِ
 مَخْتَفِيًا وَرَاءَ شَجَرَةٍ .

عيونُ الفجر ما تزالُ واهنةً
 والندى ما يزالُ عالِقاً بالجوِّ
 والعطرُ الكسولُ المُنبتُّ من العُشبِ المبلَّلِ ،
 يُرفِرفُ عبْرَ الضبابِ الخفيفِ
 فوقَ الأرضِ
 وتحتِ الشجرةِ
 كنتِ تحلِّينِ البقرةَ بِيدَيْكِ النَّاعِمَتَيْنِ الطَّرِيتَيْنِ طَراوةَ
 الزُّبْدَةِ
 ولَبِثْتُ وَاقِفاً أَتَأَمَّلُكِ
 لم أَفْهَ بِكَلِمَةٍ واحدةٍ
 كانَ العصفورُ المُخْتَفِي وراءَ الأدغالِ يُغَنِّي
 والمائِجُ تُساقِطُ زُهورَها على طَرِيقِ القَرِيَةِ
 والنحلُ يَطِنُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى
 وعِنْدَ حَافَةِ المُسْتَنْقَعِ
 كانَ بابُ مَعْبِدٍ (شَيْفَا) مَفْتُوحاً
 وقد أَخَذَ المؤمنُ يُنْشِدُ تَرَاتِيلَهُ وَأَغَانِيَهُ

وَالسَّطْلُ فِي حَضْنِكَ
 كُنْتُ تَحْلِيْنِ الْبَقَرَةَ
 وَلَبِثْتُ أَنَا وَأَقْفًا بِوَعَائِي الْفَارِغِ
 وَلَمْ أَقْتَرِبْ مِنْكَ
 وَاسْتَيْقَظَتِ السَّمَاءُ عَلَى صَدَى طَبْلِ الْمَعْبَدِ
 وَحَوَافِرُ الْبَهَائِمِ الَّتِي تُقَادُ إِلَى الْمَرْعَى
 كَانَتْ تُثِيرُ غُبَارَ الطَّرِيقِ
 وَبَعْضُ النِّسَاءِ يُقْبِلْنَ مِنَ النَّهْرِ
 وَفَوْقَ أَكْتَافِهِنَّ الْجَرَارُ الْمَلَايَ
 وَأَسُورُكَ كَانَتْ تَرِنُ
 وَالرَّغْوَةُ تَفِيضُ عَنْ السَّطْلِ
 وَانْقَضَى الصَّبَاحُ
 وَلَمْ أَقْتَرِبْ مِنْكَ

14

كُنْتُ أَمْشِي طُولَ الطَّرِيقِ

وَلَا أَعْرِفَ لِمَاذَا أَمْشِي
 لَقَدْ مَضَى نِصْفُ النَّهَارِ
 وَكَانَتْ أَشْجَارُ الْبَامْبُو تَبْعَثُ خَفِيفَهَا مَعَ حَرَكَةِ الرِّيحِ
 وَالظَّلَالُ الْمَائِلَةُ بِأَذْرُعِهَا الْمُمْتَدَّةِ تَذْكُ
 أَقْدَامَ الثَّوْرِ الْهَارِبِ
 وَالْكُورَسُ قَدْ تَعِبَ مِنَ الْغِنَاءِ
 وَأَنَا أَمْشِي طُولَ الطَّرِيقِ
 وَلَا أَعْرِفُ لِمَاذَا أَمْشِي .
 أَنْ الْكُؤُخَ الْقَائِمَ عَلَى ضَفِّهِ النَّهْرِ
 كَانَتْ تُظِلُّهُ شَجَرَةٌ وَارِفَةٌ
 وَامْرَأَةٌ مَشْغُولَةٌ بِأَعْمَالِهَا
 فَاسْمَعُ رَيْنَ أَسْوَرَتِهَا
 وَقَدْ تَوَقَّفْتُ قُرْبَ ذَلِكَ الْكُؤُخِ
 دُونَ أَنْ أَذْري
 وَالطَّرِيقُ الْمَلْتَوِيَةُ الضَّيِّقَةُ

كَانَتْ تُحَاذِي الْكَثِيرَ مِنَ الْحُقُولِ
 وَالْعَدِيدَ مِنْ غَابَاتِ الْمَنْجَا
 وَتَمَرَّ قُرْبَ مَعْبِدِ الْقَرْيَةِ .
 أَمَّا السُّوقُ فَكَانَ عِنْدَ مَرَسَى النَّهْرِ
 وَتَوَقَّفْتُ قُرْبَ الْكُوخِ .
 دُونَ أَنْ أُدْرِى لِمَاذَا؟
 كَانَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ مَارِسَ
 شَدِيدِ الرِّيحِ .
 وَمِنْذُ أَغْوَامِ .
 عِنْدَمَا كَانَ يَخْفُتُ هَمْسُ الرَّبِيعِ .
 وَتَسْقُطُ زُهُورُ الْمَانِجَا
 وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى فِي التُّرَابِ
 كَانَتْ الْمِيَاهُ الْعَكِيْرَةُ تَلْعَقُ
 السَّطْلَ الْبُرُونِيَّ عِنْدَ مَدْرَجِ الْمَرَسَى
 وَأَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ مَارِسَ

دُون أَن أُدْرِى .

إِن الظَّلَال تَتَدَاخِلُ

وَالْقُطْعَانُ تَعُودُ إِلَى حَظَائِرها

وَالنُّور قَدْ اتَّخَذَ لَوْنًا رَمَادِيًّا فَوْقَ الْحُقُولِ الْمُوحِشَةِ

وَالْفَلَاحُونَ يَنْتَظِرُونَ زَوْرَقَ الْعُبُورِ

وَأَعُودُ أَذْرَاجِي يَبْطِئُ

وَلَا أَدْرِى لِمَاذَا أَعُودُ؟

(15)

أَجْرِي مِثْلَ الْوَعْلِ

الَّذِي يَعْدُو فِي ظِلَالِ الْغَابِ

مَجْنُونًا بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ الَّتِي تَفُوحُ مِنْهُ

الليْلَةُ مِنْ لَيَالِي مَايُو

وَالسَّيْمُ يَهْبُ مِنْ الْجَنُوبِ

وَقَدْ ضَلَلْتُ طَرِيقِي

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي أَمْشِي

أَبْحَثُ عَمَّا لَا أَحْصِلُ عَلَيْهِ

وَأَحْصِلُ عَلَى مَا لَا أَبْحَثُ عَنْهُ
وَمِنْ قَلْبِي، تَخْرُجُ رَاقِصَةٌ
صُورَةُ رَغَبَاتِي
وَالرُّؤْيَا الْخَاطِطَةُ تَهْرُبُ مِنِّي
فَأَحَاوِلُ الْقَبْضَ عَلَيْهَا بِقُوَّةٍ
وَلَكِنَّهَا تَرَاوِعُنِي وَتَفْلِتُ مِنِّي
إِنِّي أَبْحَثُ عَمَّا لَا أَحْصِلُ عَلَيْهِ
وَأَحْصِلُ عَلَى مَا لَا أَبْحَثُ عَنْهُ

16

الْيَدَانِ تَشُدُّانِ عَلَى الْيَدَيْنِ
وَالْعَيْنَانِ تُدِيمَانِ النَّظَرَ فِي الْعَيْنَيْنِ
هَكَذَا بَدَأَتْ قِصَّةَ قَلْبَيْنَا
كَأَنَّ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ شَهَرٍ مَارِسٍ
وَفِي الْجَوِّ يَعْبُقُ عِطْرُ الْجِنَاءِ الْعَذْبِ

وَنَظْمُكَ عَقْدَ الْأَزْهَارِ، لَمْ يَنْتَهُ بَعْدُ.
 إِنَّ الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 بَسِيطٌ مِثْلَ أُعْنِيَّةٍ.
 وَشَاخُكَ الرَّعْفَرَانِي
 يَمْنَحُ عَيْنِي نَشْوَةً.
 وَإِكْلِيلُ الْيَاسَمِينِ الَّذِي تَضْفِرِيهِ
 كَانَ يُثِيرُنِي وَيُحَرِّكُنِي كَقَصِيدَةٍ
 مَدِيحٍ
 لِنُهَا لُغْبَةُ الْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ
 وَالْكَشْفِ ثُمَّ الْعَوْدَةِ إِلَى الْإِخْفَاءِ
 الْإِتِسَامَاتِ وَالْحَيَاءِ
 وَالصَّرَاعَاتِ الْعَابِثَةِ اللَّذِيذَةِ
 إِنَّ الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 بَسِيطٌ مِثْلَ أُعْنِيَّةٍ
 لَا سِرَّ أَبْعَدَ مِنَ الْحَاضِرِ

وَلَا صِرَاعَ مِنْ أَجْلِ الْمُسْتَحِيلِ
 وَلَا ظِلَّ وَرَاءَ الْأَنْدِهَاشِ
 وَلَا بَحْثَ فِي الظَّلَامِ
 إِنْ الْحُبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 بَسِيطٌ مِثْلُ أُغْنِيَّةٍ
 لَا نَطُوفُ عَلَى أَبْعَدَ مِنَ الْكَلِمَاتِ
 بَحْثًا عَنِ الصَّمْتِ الْخَالِدِ
 وَلَا تَرْفَعُ أَيْدِينَا فِي الْفَضَاءِ
 بَحْثًا عَنْ أَشْيَاءَ أَبْعَدَ مِنَ الْأَمَلِ
 مَا نُعْطِيهِ وَنَحْصِلُ عَلَيْهِ
 يَكْفِينَا
 وَلَمْ نَطْرُدِ الْبُهْجَةَ
 لِنَعْصِرَ نَبِيذَ الْأَلَمِ
 هَذَا الْحُبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 بَسِيطٌ مِثْلُ أُغْنِيَّةٍ

الْعُصْفُورُ الْأَصْفَرُ يُغْنِي فَوْقَ شَجَرَتِهِمْ
 فَيْرْقَصُ قَلْبِي بِالْبَهْجَةِ
 نَحْنُ نَعِيشُ فِي الْقَرْيَةِ نَفْسَهَا
 وَهَذَا يَجْعَلُنِي سَعِيدًا
 إِنْ خَرُوفِهَا الْأَثِيرِينَ
 يَرَعَيَانِ فِي ظِلِّ أَشْجَارِ حَدِيقَتِنَا
 فَإِذَا شَرَدَا فِي حَقْلِ الشَّعِيرِ
 اخَذَتْهُمَا بَيْنَ ذِرَاعِيَّ
 اسْمُ قَرْيَتِنَا خَنْجَانًا
 وَنَهْرُنَا يُسَمَّى انْجَانًا
 وَكُلُّ الْقَرْيَةِ تَعْرِفُ اسْمِي
 أَمَّا هِيَ فَتُدْعَى رَانْجَانًا
 لَا يَفْصِلُ بَيْنَنَا حَقْلٌ

فَالْحَلِ الَّذِي يُشِيءُ خَلَايَاهُ فِي غَايَتِنَا
 كَانَ يَطِيرُ بَحْثًا عَنِ الرَّحِيقِ فِي زُهُورِ أَحْرَاشِهِمْ
 وَالْأَزْهَارِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ عِنْدَ مَرَسَاهُمْ
 كَانَتْ تَطْفُو عَائِمَةً فَوْقَ الْجَدُولِ
 حَتَّى تَبْلُغَ الْمَكَانَ الَّذِي نَسَبَحُ فِيهِ
 وَسِلَالُ زُهُورِ الْكَسَمِ الْجَافَةِ
 كَانَتْ تَأْتِي مِنْ حُقُولِهِمْ إِلَى أَسْوَاقِنَا
 إِنْ اسْمُ قَرْيَتِنَا خَانَجَانَا
 وَاسْمُ نَهْرِنَا أَنْجَانَا
 وَكُلُّ الْقَرْيَةِ تَعْرِفُ اسْمِي
 أَمَّا اسْمُهَا فَهُوَ رَانَجَانَا
 إِنْ الطَّرِيقُ الَّتِي تُودِّي إِلَى بَيْتِهَا
 مُعْطَرَةٌ فِي الرَّبِيعِ بِأَزْهَارِ الْمَانِجُو
 وَعِنْدَمَا يَكُونُ الْكَثَانُ مَهِيئًا لِلْجَنِيِّ لَدَيْهِمْ
 تَزْهَرُ الْكَنْبَا فِي حَقْلِنَا
 وَالنُّجُومُ الَّتِي تَضْحَكُ لِبَيْتِهِمْ

تَنْظُرُ إِلَيْنَا بِالنَّظَرَةِ الْغَامِزَةِ نَفْسَهَا
وَالْمَطَرُ الَّذِي يَمَلَأُ صِهْرِيَجَهُمْ
يُنْعِشُ غَابِتَنَا الْمُكَوَّنَةَ مِنْ أَشْجَارِ الْكَدَمِ
إِنْ قَرَيْتَنَا تُسَمَّى خَانِجَانَا
وَكُلُّ الْقَرْيَةِ تَعْرِفُ اسْمِي
وَاسْمُهَا هِيَ رَانِجَانَا

18

عَندَمَا تَخْرُجُ الْأُخْتَانِ لِجَلْبِ الْمَاءِ
تَأْتِيَانِ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ ، وَتَبْتَسِمَانِ
لَا بَدَّ أَنَّهَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَحَدًا مَا يَخْتَفِي خَلْفَ الشَّجَرَةِ
فِي كُلِّ الْمَرَّاتِ الَّتِي تَخْرُجَانِ فِيهَا لِجَلْبِ الْمَاءِ
وَعِندَمَا تَمُرَّانِ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ مِنَ الطَّرِيقِ
تَتَهَامَسَانِ
فَلَا بَدَّ أَنَّهَا خَمَّتَا سِرَّ ذَلِكَ الَّذِي يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِمَا
خَلْفَ الشَّجَرَةِ
فِي كُلِّ الْمَرَّاتِ الَّتِي تَخْرُجَانِ فِيهَا لِجَلْبِ الْمَاءِ

وَعِنْدَمَا تَبْلُغَانِ هَذِهِ الْجِهَةَ
 تَهْتَزُّ جَرَّتَاهُمَا وَيَنْكَسِبُ مِنْهُمَا الْمَاءُ
 فَلَا بُدَّ أَنَّهَا اكْتَشَفَتَا أَنَّ الْقَلْبَ يَخْفِقُ
 وَأَنَّ وَاحِدًا يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِمَا خَلْفَ الشَّجَرَةِ
 فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَخْرُجَانِ فِيهَا لِجَلْبِ الْمَاءِ
 وَعِنْدَمَا تَتَّجِهَانِ نَحْوَ هَذِهِ الْجِهَةِ
 تَتَبَادَلُ الْأَخْتَانِ النَّظَرَاتِ
 وَتَبْتَسِمَانِ
 وَفِي خُطَوَاتِهَا السَّرِيعَةِ
 شَيْءٌ يُشَبِّهُ الضَّحِكَ
 يُشِيرُ الْاضْطِرَابَ فِي عَقْلِ ذَلِكَ الَّذِي
 يَخْتَفِي خَلْفَ الشَّجَرِ
 فِي كُلِّ الْمَرَّاتِ الَّتِي يَخْرُجَانِ فِيهَا لِجَلْبِ الْمَاءِ

تَخْطِرِينَ عِنْدَ ضِفَّةِ النَّهْرِ
وَالْجَرَّةِ الْمَلَأَى فَوْقَ كَتِفِكَ
فَلِمَاذَا أَدْرَتِ رَأْسَكَ فِجَاءً
وَأُخَذْتَ تَرْمُقِينَ خَلْفَ خِمَارِكِ الرَّفَافِ؟
تِلْكَ النَّظْرَةُ الْمُتَالِقَةُ فِي الظَّلَامِ
وَقَعَتْ فِي نَفْسِي كَمَا يَقَعُ النَّسِيمُ الَّذِي يَبْعَثُ
رَجْفَةً فِي الْمِيَاهِ الْعَابِسَةِ
ثُمَّ يَهْرُبُ إِلَى الضَّفَّةِ الظَّلِيلَةِ
بَلَّغْتَنِي كَمَا يَبْلُغُ عُصْفُورُ الْمَسَاءِ
الَّذِي يَعْبُرُ الْغُرْفَةَ الْمُظْلِمَةَ
طَائِرًا مُحَلِّقًا فِي سُرْعَةٍ مِنْ شُرْفَةٍ إِلَى أُخْرَى
ثُمَّ يَخْتَفِي فِي اللَّيْلِ الْحَالِكِ
خَلْفَ الْحِجَابِ

وَفِي الظِّلِّ تَخْتَفِينَ
 كَمَا تَخْتَفِي النَّخْمَةُ خَلْفَ الهَضَابِ
 وَأَنَا عَابِرُ طَرِيقٍ
 فَلَمَّاذَا تَوَقَّفْتُ لَحُظَةً .
 وَنَظَرْتُ إِلَيَّ مِنْ وَرَاءِ خِمَارِكَ
 حِينَ كُنْتُ تَخْطُرِينَ عِنْدَ ضَفَّةِ
 النَّهْرِ ، وَالجَرَّةُ الْمَلَايَ فَوْقَ كَتِفِكَ

(20)

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ
 يَأْتِي وَيَرْحَلُ
 أَذْهَبِي إِلَيْهِ
 وَأَعْطِيهِ زَهْرَةً مِنْ شَعْرِي

أَرْجُوكِ
 لَا تُفْضِ إِلَيْهِ بِاسْمِي
 لِأَنَّهُ وَحْدَهُ يَأْتِي وَيَرْحَلُ
 تَحْتَ الشَّجَرَةِ يَجْلِسُ فَوْقَ الْأَرْضِ
 فَاجْعَلِي لَهُ مَقْعَدًا مِنَ الزُّهُورِ وَالْوَرَقِ
 إِنَّ عَيْنَيْهِ حَزِينَتَانِ
 يَحْمِلَانِ إِلَى قَلْبِي الْكَآبَةَ
 لَا يَكْشِفُ أَبَدًا عَنْ أَفْكَارِهِ
 إِنَّهُ فَقَطْ
 يَأْتِي ثُمَّ يَرْحَلُ

21

لِمَاذَا اخْتَارَ أَنْ يَجِيءَ إِلَى بَايِي
 عِنْدَ نِهَآيَةِ النَّهَارِ
 ذَلِكَ الشَّابُّ الْجَوَّابُ ؟

فِي خُرُوجِي وَدُخُولِي
 أَمْرٌ بِالْقُرْبِ مِنْهُ
 وَقَدْ أَخَذَتْ عَيْنَايَ بِمُحَيَّاهُ الْجَمِيلِ
 لَا أُدْرِي إِذَا كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ أَكَلِّمَهُ
 أَمْ أَتَرَمَّ السُّكُوتَ
 فَلِمَذَا اخْتَارَ أَنْ يَجِيءَ إِلَى بَابِي ؟
 إِنَّ اللَّيَالِيَ الْمَكْسُوءَةَ بِالسَّحَابِ فِي شَهْرِ يُولْيُو
 مُظْلِمَةٌ
 وَسَمَاءُ الْخَرِيفِ ذَاتُ زُرْقَةٍ شَاحِبَةٍ
 وَأَيَّامُ الرَّبِيعِ الْمُشْرِقَةِ قَدْ هَيَّجَتْهَا رِيحُ الْجَنُوبِ
 إِنَّهُ يَنْسِجُ أَغَانِيَهُ
 كُلَّ مَرَّةٍ يَأْتِي بِالْحَانِ جَدِيدَةٍ
 أَنْزَعُ نَفْسِي مِنَ الْعَمَلِ
 وَعَيْنَايَ مَلِئَتَانِ بِالضَّبَابِ
 لِمَذَا اخْتَارَ أَنْ يَجِيءَ إِلَى بَابِي ؟

عِنْدَمَا مَرَّتْ بِالْقُرْبِ مِنِّي
بِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ
لَمَسْتَنِي بِرِقَّةٍ
حَافَةً تَنُورُهَا

وَمِنَ الْجَزِيرَةِ الْمَجْهُولَةِ لِأَحَدِ الْقُلُوبِ
هَبَّ فُجَاءَةً نَسِيمٌ رَيَّعِي دَافِيٌّ
رَجْفَةٌ مِنْ لَمْسَةٍ خَاطِفَةٍ
مَسَّتَنِي وَتَلَاشَتْ فِي لَحْظَةٍ
مِثْلَ بَتْلَةٍ زَهْرَةٍ مُبْتَوْرَةٍ
مَحْمُولَةٍ عَلَى أَجْنَحَةِ النَّسِيمِ
وَاسْتَقَرَّتْ فِي قَلْبِي
مِثْلَ تَنْهِيدَةٍ مِنْ جَسَدِهَا وَهَمْسَةٍ مِنْ قَلْبِهَا

لِمَاذَا تَبْقِينَ جَالِسَةً هُنَا
 تُشَقِّشِقِينَ أَسُورَتَكَ
 هَلْ تَفْعَلِينَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اللَّعْبِ فَحَسْبُ؟
 اْمَلِّي جَرَّتَكَ
 لَقَدْ حَانَتْ سَاعَةُ الْعُودَةِ إِلَى الْبَيْتِ
 لِمَاذَا تُحَرِّكِينَ الْمَاءَ بِيَدَيْكَ
 وَتَنْظُرِينَ مِنْ حِينَ إِلَى آخِرٍ إِلَى الطَّرِيقِ
 لِتَرِي مَاذَا إِذَا كَانَ ثَمَّةً قَادِمٌ؟
 أَتَفْعَلِينَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اللَّعْبِ فَحَسْبُ؟
 اْمَلِّي جَرَّتَكَ وَعُودِي إِلَى الْبَيْتِ
 سَاعَاتُ الصَّبَاحِ تَمْضِي
 وَالْمَاءُ يَجْرِي قَاتِمًا
 وَالْأَمْوَاجُ تَضْحَكُ وَتَهَامِسُ فِيمَا بَيْنَهَا
 مِنْ أَجْلِ اللَّعْبِ فَحَسْبُ .

وَالسُّحْبُ الشَّارِدَةُ
تَجَمَّعَتْ عِنْدَ حَافَةِ السَّمَاءِ
فَوْقَ هَضْبَةٍ عَالِيَةٍ
إِنَّهَا تَتَمَهَّلُ وَتُحَدِّقُ فِي وَجْهِكَ
وَتَبْتَسِمُ
مِنْ أَجْلِ اللَّعِبِ فَحَسْبُ
فَاْمَلَيْتِي جَرَّتْكَ وَتَعَالَى إِلَى الْبَيْتِ

(24)

لَا تُخْفِ أَسْرَارَ قَلْبِكَ يَا صَدِيقِي
وَأَفْضِلْ بِهَا إِلَيَّ سِرًّا
إِلَى أَنَا فَحَسْبُ .
أَنْتِ الَّذِي تَبْتَسِمُ بِطُفٍّ

اهْمِسْهَا بِخَفْوَةٍ
فَإِنَّ قَلْبِي هُوَ الَّذِي يُصْغِي إِلَيْهَا
وَلَيْسَتْ مَسَامِعِي .
إِنَّ اللَّيْلَ عَمِيقٌ
وَالْبَيْتَ صَامِتٌ
وَأَعْشَاشَ الطُّيُورِ يَكْسُوها النُّعَاسُ
فَقُلْ لِي
بَيْنَ الدُّمُوعِ الْمُتَرَدِّدَةِ
وَالْإِبْتِسَامَاتِ الْحَائِرَةِ
وَالْأَلَمِ الْمَرِيرِ ، وَالْحَجَلِ الْحُلُوِّ
أَسْرَارَ قَلْبِكَ

تَعَالَ ، أَيُّهَا الشَّابُّ
وَقُلْ بِصِدْقٍ

لِمَاذَا هَذَا الْجُنُونُ الْبَادِي بِعَيْنَيْكَ
 - لَا أَدْرِي أَيَّ نَبِيذٍ
 مِنْ أَنْبَذَةِ الْخَشْخَاشِ الْوَحْشِيِّ شَرِبْتُ
 وَلِذَا كَانَ هَذَا الْجُنُونُ بِعَيْنِي
 - يَا لِلْعَارِ !
 - حَسَنًا إِنْ بَعْضُ النَّاسِ حُكَمَاءُ
 وَبَعْضُهُمْ وَاعُونَ مُتَبَصِّرُونَ
 وَآخَرُونَ طَائِشُونَ مُتَهَوِّرُونَ
 وَهُنَاكَ عَيُونٌ بِأَسِمَةٍ
 وَهُنَاكَ عَيُونٌ بِأَكِيَّةٍ
 وَفِي عَيْنِي جُنُونٌ
 - أَيُّهَا الشَّابُّ
 لِمَاذَا أَنْتَ ثَابِتٌ تَحْتَ ظِلِّ الشَّجَرَةِ ؟
 - إِنْ قَدَمِي مُتَعَبَتَانِ
 تَحْتَ ثِقَلِ قَلْبِي
 وَلِذَا وَقَفْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ
 - يَا لِلْعَارِ !

- حَسَنًا إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسِيرُونَ فِي طَرِيقِهِمْ
 وَبَعْضُهُمْ يَتَّبِطُّ وَيَتَوَقَّفُ فِي سِيرِهِ
 بَعْضُهُمْ أَحْرَارٌ
 وَبَعْضُهُمْ مُقِيدُونَ
 إِنَّ قَدَمِي مُتَعَبَتَانِ
 تَحْتَ وَطْأَةِ قَلْبِي

(26)

إِنِّي أَتَقَبَّلُ كُلَّ مَا يَأْتِي مِنْ يَدَيْكَ الْكَرِيمَتَيْنِ
 وَلَا أَطْلُبُ شَيْئًا آخَرَ
 « أَجَلٌ .. أَجَلٌ إِنِّي أَعْرِفُكَ أَيُّهَا الشَّحَّادُ الْمُتَوَاضِعُ
 إِنَّكَ تَطْلُبُ كُلَّ مَا نَمْلِكُ
 إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ زَهْرَةٌ تَأْتِيهِ

فَسَاحِمْهَا فِي قَلْبِي
 - وَإِذَا كَانَتْ ثَمَّةً أَشْوَاكَ ؟
 - سَوْفَ أَتَحْمَلُهَا
 - أَجَلٌ ، أَجَلٌ إِنِّي أَعْرِفُكَ أَيُّهَا الشَّحَّاذُ الْمُتَوَاضِعُ
 إِنَّكَ تَطْلُبُ كُلَّ مَا نَمْلِكُ
 إِذَا رَفَعْتَ مَرَّةً وَاحِدَةً
 عَيْنَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ إِلَى وَجْهِهِ
 فَإِنَّكَ سَتَجْعَلِينَ حَيَاتِي حُلُوةً ، بَعِيدَةً عَنِ الْمَوْتِ
 - وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ نَظَرَاتٌ قَاسِيَةً
 - سَأُؤْمِسُكِهَا لِأَطْعَنَ بِهَا قَلْبِي
 أَجَلٌ . أَجَلٌ إِنِّي أَعْرِفُكَ أَيُّهَا الشَّحَّاذُ الْمُتَوَاضِعُ
 إِنَّكَ تَطْلُبُ كُلَّ مَا نَمْلِكُ

(27)

ثِقِي فِي الْحُبِّ

وَلَوْ عَذَّبَكَ
وَلَا تُغْلِقِي قَلْبَكَ
(آه يَا صَدِيقِي
إِنْ كَلِمَاتِكَ غَامِضَةٌ
لَا أَقْدِرُ عَلَى فَهْمِهَا)
إِنَّ الْقَلْبَ يَا حَبِيبَتِي قَدْ وَجَدَ
لِكَي نَهَبَهُ مَعَ دَمْعَةٍ وَأَعْيُنَةٍ
(آه ، لَا يَا صَدِيقِي إِنْ كَلِمَاتِكَ غَامِضَةٌ
وَلَا أَقْدِرُ عَلَى فَهْمِهَا)
إِنَّ اللَّذَّةَ رَهِيْفَةٌ هَشَّةٌ
مِثْلَ قَطْرَةِ النَّدى
مَا تَكَادُ تَضْحَكُ حَتَّى تَمُوتَ
وَلَكِنْ الْأَلَمُ قَوِيٌّ وَدَائِمٌ
دَعِيَ الْحُبُّ الْحَزِينَ
يَسْتَيْقِظُ فِي عَيْنَيْكَ

(آه لا صديقي
إن كلماتك غامضة
ولا أقدر على فهمها)
إن زهرة اللوتس تزهر للشمس
ثم تفقد كل ما لديها
لا ترغب في أن تكون مزهرة
في ضباب الخريف الخالد
آه ، لا ، يا صديقي
إن كلماتك غامضة
ولا أقدر على فهمها

28

عيناك تسألاني في حزن
تريد أن معرفة أفكاري
مثل القمر الذي يريد أن يسير أغوار البحر

مِنْذُ الْبِدَايَةِ
 وَحَتَّى النِّهَايَةِ
 عَرَّيْتُ حَيَاتِي أَمَامَ عَيْنَيْكَ
 دُونَ أَنْ أُخْفِيَ شَيْئًا ، أَوْ أَصُونَ شَيْئًا
 وَلِهَذَا السَّبَبُ لَمْ تَعْرِفْنِي
 لَوْ كُنْتُ جَوْهَرَةً
 لَهَشَّمْتُهَا أَلْفَ قِطْعَةٍ
 لِأَصْنَعَ بِهَا عِقْدًا يُطَوِّقُ عُنُقَكَ
 لَوْ كُنْتُ زَهْرَةً مُسْتَدِيرَةً ، صَغِيرَةً ، حُلْوَةً
 لَقَطَفْتُهَا مِنْ غُصْنِهَا لِأَضَعَهَا فَوْقَ شَعْرِكَ
 وَلَكِنَّهُ قَلْبِي أَيْتَهَا الْعَزِيزَةُ الْحَبِيبَةُ
 أَيْنَ هِيَ شَوَاطِئُهُ وَأَيْنَ أَعْمَاقُهُ؟
 إِنَّكَ تَجْهَلِينَ حُدُودَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ
 وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتَ مَلِكُهَا الْمُطْلَقَةُ .
 لَوْ كُنْتُ فَقَطْ لَحْظَةً فَرَحٍ

لَأُزْهِرْتُ فِي ابْتِسَامَةٍ بَسِيطَةٍ
تَفْهَمِينَهَا فِي لَحْظَةٍ
وَلَوْ كُنْتُ الْأَلَمَ وَحْدَهُ لَتَحَلَّلَ فِي دُمُوعٍ صَافِيَةٍ
كَاشِفًا أَعْمَقَ أَسْرَارِهِ ، دُونَ أَنْ يَنْبَسَ بِكَلِمَةٍ
وَلَكِنَّهُ قَلْبِي يَا حَبِيبِي
أَفْرَاحُهُ وَأَحْزَانُهُ لَا حُدُودَ لَهَا
غِنَاهُ وَرَغَبَاتُهُ لَا نِهَآيَةَ لَهَا
لِإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْكَ مِثْلَ حَيَاتِكَ
وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعِينَ فَهْمَهُ فَهْمًا تَامًا

(29)

تَحَدَّثُ إِلَيَّ يَا حَبِيبِي
قُلْ لِي كَلِمَاتٍ
مَا تَقُولُهُ فِي أُغْنِيَاتٍ
إِنَّ اللَّيْلَ مُظْلِمٌ .

وَالنُّجُومُ مُخْتَفِيَةٌ وَرَاءَ السُّحُبِ
 وَالرَّيْحُ تَهْبُثُ وَتُصَفِّرُ خِلَالَ الْأُورَاقِ
 سَوَفَ أَضْفِرُ شَعْرِي
 وَيُطَوِّقُنِي بُرْسِي الْفَيْرُوزِيَّ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ
 سَأَضُمُّ رَأْسَكَ إِلَى صَدْرِي
 وَهُنَاكَ فِي تِلْكَ الْوَحْدَةِ الْعَذْبَةِ
 أُغْمِضُ عَيْنِي وَأُصْغِي إِلَيْكَ
 وَحِينَ تَتَوَقَّفُ كَلِمَاتُكَ
 نَجْلِسُ سَاكِنَيْنِ فِي صَمْتٍ
 إِنَّ الْأَشْجَارَ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تَتَهَامَسُ فِي الظُّلَامِ
 وَيَسْحُبُ اللَّيْلُ
 وَيَبْزَغُ الْفَجْرُ
 وَتَلْتَقِي نَظْرَانَا لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ
 ثُمَّ يَأْخُذُ كُلُّ مَنَاطَرِيْقِهِ
 تَحْدُثُ إِلَيَّ يَا حَبِيبِي

قل لي في كَلِمَاتٍ
مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِي أُغْنِيَاتٍ

(30)

أَنْتِ سَحْبُ الْمَسَاءِ
التي تَجُوبُ سَمَاءَ أَحْلَامِي
إِنِّي أُرْسُمُكَ وَأَشْكُكَ
بِأَشْوَاقِ حُبِّي
أَنْتِ لِي . . لِي أَنَا فَقَطْ
أَيَّتُهَا السَّائِكَةُ أَحْلَامِي اللَّائِنَهَائِيَّةُ
إِنْ قَدَمَيْكَ مُورِدَتَانِ
يَلْهِيْبُ أَشْوَاقِي
أَيَّتُهَا الْجَانِيَةُ لِأُغْنِيَاتِي عِنْدَ الْغُرُوبِ .
مَنْ طَعْمَ نَبِيذِ أَلْمِي
كَانَ لِشَفَتَيْكَ ذَلِكَ الْمَذَاقَ الْحُلُوَّ الْمُرَّ

أَنْتِ لِي ، لِي أَنَا فَقَطْ
 أَيَّتُهَا السَّاكِنَةُ أَحْلَامِي الْمُنْفَرِدَةُ
 بِظِلَالِ غِرَامِي
 ظَلَلْتُ عَيْنَيْكَ
 أَيَّتُهَا الزَّاوِيَةُ لِأَعْمَاقِ نَظْرَاتِي
 لَقَدْ أَمْسَكْتُ بِكَ وَسَأَضُمَّكَ
 فِي شَبَكَةِ مُوسِيقَاي
 فَأَنْتِ لِي
 أَنَا وَحْدِي
 أَيَّتُهَا السَّاكِنَةُ أَحْلَامِي الْخَالِدَةُ

31

إِنَّ قَلْبِي ذَلِكَ الْعُصْفُورُ الصَّحْرَاوِي
 وَجَدَ سَمَاءَهُ
 فِي عَيْنَيْكَ

هُمَا مَهْدُ الصَّبَاحِ
هُمَا مَمْلَكَةُ النُّجُومِ
وَفِي أَعْمَاقِهِمَا تَضِيْعُ أَغْنِيَتِي
دَعِيْنِي فَقَطْ
أَتَحَرَّرُ وَأَنْطَلِقُ فِي تِلْكَ السَّمَاءِ
وَفِي وَحْدَتِهَا اللَّائِنَهَائِيَّةُ
دَعِيْنِي أَخْتَرِقُ سُحُبَهَا
وَأَبْسِطُ جَنَاحِي فِي شَمْسِهَا الْمُشْرِقَةِ

32

قُلْ لِي يَا حَبِيْبِي إِذَا كَانَ هَذَا حَقًّا
قُلْ لِي ، إِذَا كَانَ هَذَا كُلُّهُ حَقًّا.
حِينَ تُلْقِي هَذِهِ الْعُيُونُ بُرُوقَهَا
وَتُعْطِي السُّحُبُ الْقَائِمَةَ فِي صَدْرِكَ
رُدُّودَهَا الْعَاصِفَةَ.

أَحَقًّا أَنْ شِفَاهِي عَذْبَةٌ مِثْلَ بُرْعَمِ الْحَبِّ الْأَوَّلِ ؟
 وَأَنْ ذِكْرِيَّاتِ شَهْرِ مَائِوِ الْغَايَةِ تَتَمَطَّى فَوْقَ أَعْضَائِي
 وَأَنْ الْأَرْضَ تُصْبِحُ كَالْقِيَارِ
 وَتُهْتَرُ بِالْأَغَانِي عِنْدَ وَقْعِ أَقْدَامِي
 أَحَقًّا أَنْ قَطَرَاتِ النَّدى تَسْقُطُ مِنْ عُيُونِ الْبَيْلِ
 عِنْدَ ظُهُورِي ؟
 وَأَنْ ضَوْءَ النَّهَارِ سَعِيدٌ حِينَ يُلْفُ جَسَدِي ؟
 أَحَقًّا، أَنْ حُبِّكَ رَحَلَ عَبْرَ الْأَزْمَانِ وَالْبُلْدَانِ
 بَحْثًا عَنِّي ؟
 وَأَنْكَ حِينَ عَثَرْتَ عَلَيَّ أَحْيِرًا
 وَجَدَ شَوْقُكَ الْعَرِيقُ
 سَلَامَةَ الْكَامِلِ
 فِي لُطْفِ حَدِيثِي
 وَفِي عَيْنِي
 وَفِي شَفَتِي

وفي شَعْرِي المُنْدَقِ المُنْسَابِ
 وَقُلْ لِي أَحْيَرًا، إِذَا كَانَ حَقًّا
 أَنْ سِرَّ اللَّا نِهَائِي
 مَكْتُوبٌ عَلَى جَبِينِي الصَّغِيرِ
 قُلْ لِي
 إِذَا كَانَ هَذَا كُلُّهُ حَقِيقَةً

33

أَنَا أَحِبُّكَ يَا حَبِيبِي
 فَلْتَعْفِرْ حُبِّي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِثْلَ عُصْفُورٍ ضَلَّ طَرِيقَهُ
 وَحِينَ أَهْتَزُّ قَلْبِي، سَقَطَ حِجَابُهُ
 وَبَقِيَ عَارِيًّا
 فَلْتَكْسُهُ بِرَحْمَتِكَ يَا حَبِيبِي
 وَلْتَعْفِرْ حُبِّي

إِذَا كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحِبِّي
 يَا حَبِيبِي
 فَلْتُغْفِرْ أَلَمِي
 لَا تَنْظُرْ إِلَيَّ مِنْ بَعِيدِ نَظَرَاتِ السُّخْطِ
 إِنِّي أَرْجِعُ إِلَى رُكْنِي الصَّغِيرِ
 وَأَجْلِسُ فِي الظَّلَامِ
 وَبِكُلْتَا يَدَيَّ أُعْطِي حَجَلِي الْعَارِي
 فَانْظُرْ إِلَيَّ يَا حَبِيبِي
 وَلْتُغْفِرْ فَرَحِي
 وَحِينَ تَلْفُ قَلْبِي
 دَوَامَةَ السَّعَادَةِ
 فَلَا تَسْخَرُ مِنْ اسْتِسْلَامِي
 وَحِينَ أَجْلِسُ فَوْقَ عَرْشِي
 وَأَطْعِي عَلَيْكَ بِحُبِّي
 وَحِينَ أَمْنَحُكَ فَضْلِي كَالِهَةِ

فَلْتَحْمَلْ اعْتِرَازِي يَا حَبِيبِي
وَلتَغْفِرْ لِي سَعَادَتِي

(34)

لَا تَذْهَبْ يَا حَبِيبِي دُونَ أَنْ تُخْطِرَنِي
لَقَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ كُلَّهُ
وَالآنَ، أَثْقَلُ النُّعَاسُ أَجْفَانِي
أَخْشَى أَنْ أَفْقِدَكَ فِي نَوْمِي
فَلَا تَذْهَبْ يَا حَبِيبِي دُونَ أَنْ تُخْطِرَنِي
إِنِّي أَصْحُو
وَأُمُدُّ يَدِي لِأَلْمَسِكَ، وَأَشْعُرُ بِكَ
وَأَتَسَاءَلُ
هَلْ هُوَ حُلْمٌ؟
آه، لَوْ أُمَكِّنْ أَنْ أُمْسِكَ قَدَمَيْكَ
بِقَلْبِي

وَأَحْتَفِظُ بِكَ مَضْمُومًا إِلَى صَدْرِي
فَلَا تَذْهَبْ يَا حَبِيبِي دُونَ أَنْ تُحْطِرَنِي

(35)

مِنَ الْخَوْفِ الَّذِي يَعْرِفُكَ بِسُهُولَةٍ
تَلْعَبِينَ بِي
وَلَكِي تُخْفِي دُمُوعَكَ
فَإِنَّكَ تُعْمِئِنِي بِضَحَكَاتِ مُدَوِّيَةٍ
لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ
أَعْرِفُ فَتُكِنِ
أَنْتِ لَا تُقُولِينَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَرْغَبِينَ فِيهَا
وَخَوْفًا مِنْ ذَهَابِ إِعْجَابِي بِكَ
فَإِنَّكَ تُرَاوِغِينِي بِأَلْفِ طَرِيقَةٍ
وَخَوْفًا مِنَ الْإِخْتِلَاطِ بِأَعْمَارِ النَّاسِ
فَإِنَّكَ تَنْعَزِلِينَ

إِنِّي أَعْرِفُ، أَعْرِفُ فَتُكِ
 إِنَّكَ لَا تَسْلُكِينَ أَبَدًا الطَّرِيقَ الَّتِي تَرْغَبِينَ فِيهَا
 وَأَنْتِ تَطْلُبِينَ أَكْثَرِمًا يَطْلُبُهُ الْآخَرُونَ
 وَلِهَذَا أَنْتِ صَامِتَةٌ
 ثُمَّ وَبَعْدَ اكْتِرَاثِ سَاخِرِ هَازِي
 تَرْفُضِينَ جَمِيعَ هِبَاتِي
 إِنَّمَا أَعْرِفُ، أَعْرِفُ فَتُكِ
 إِنَّكَ لَا تَقْبَلِينَ أَبَدًا مَا تَرْغَبِينَ فِيهِ

(36)

هَمَسَ
 (يَا حَبِيبَتِي ارْفَعِي عَيْنَيْكَ)
 فَأَبْتَهُ بِشِدَّةٍ
 وَقُلْتُ لَهُ أَغْرُبْ عَنِّي
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ

وَظَلَّ وَأَقْفًا أَمَامِي
 مُمَسِّكًا بِيَدِي
 قُلْتُ لَهُ دَعْنِي
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ
 وَقَرَّبَ وَجْهَهُ مِنْ أُذُنِي
 فَانْظَرْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ
 - يَا لَلْعَارِ!
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ
 وَلَمَسَ خَدِّي بِشَفَتَيْهِ
 وَقُلْتُ لَهُ مَرْتَجِفَةً:
 كَيْفَ تَجْرُونَ؟
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِالْخَجَلِ
 وَوَضَعَ زَهْرَةً فِي شَعْرِي
 قُلْتُ لَهُ عَبَثًا تَفْعَلْ ذَلِكَ
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ

وَأَخَذَ الْقِلَادَةَ مِنْ عُنُقِي
وَذَهَبَ دُونَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةً
وَالآنَ ، إِنِّي أَبْكِي وَأَسْأَلُ قَلْبِي
لِمَاذَا لَا يَعُودُ؟

(37)

أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةَ
هَلْ تَرَعِّيبِينَ فِي أَنْ تَضَعِي قِلَادَةَ زُهُورِكِ الطَّرِيقَ
حَوْلَ عُنُقِي؟
فَلْتَعَلِّمِي أَنْ قِلَادَتِي قَدْ نَظَّمْتُهَا لِلْكَثِيرِينَ
لِلَّذِينَ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ فِي الرُّؤْيَى الْخَاطِئَةِ
أَوْ يَسْكُنُونَ الْأَقْطَارَ الْمَجْهُولَةَ
أَوْ يَعِيشُونَ فِي أُغْنِيَاتِ الشُّعْرَاءِ
لَقَدْ تَأَخَّرْتُ فِي طَلَبِ قَلْبِي بِدِيلًا عَنْ قَلْبِكَ
فَفِي الْمَاضِي كَانَتْ حَيَاتِي مِثْلَ الْبُرْعَمِ

الذي يَطْوِي فِي أَعْمَاقِهِ كُلَّ رَحِيْقِهِ
أَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَبَدَّدَ هَذَا الرَّحِيْقُ فِي كُلِّ جِهَةٍ
فَمَنْ الَّذِي يَعْرِفُ فَنَّ السَّحْرِ حَتَّى
يَجْمَعَهُ وَيُقِفِّلَ عَلَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ؟
لَقَدْ أُعْطِيتُ قُلُوبِي لِلْكَثِيرِينَ
وَلَمْ يَعُدْ بِي سَعِي
أَنْ أَهْبَهُ لِيَوَاحِدَةٍ فَقَطْ

(38)

يَا حَبِيبَتِي
ذَاتَ مَرَّةٍ
نَظَمَ شَاعِرُكَ فِي ذِهْنِهِ
مَلْحَمَةً شِعْرِيَّةً عَظِيمَةً
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَكِيمًا
فَذَهَبَ يَنْطَحُ الْخَلَائِلَ الَّتِي تَرْنُ فِي قَدَمَيْكَ

فَغَرِقَ
وَتَمَزَّقَ فِي قِطْعٍ مِنَ الْأَعْنِيَاتِ
الَّتِي تَبَعَثَتْ تَحْتَ قَدَمَيْكَ
وَذَهَبَتْ مَرْكَبَتِي الْمَشْحُونَةُ بِقِصَصِ الْحُرُوبِ الْقَدِيمَةِ
صَحِيَّةً لِلْأُمُوجِ الضَّاحِكَةِ.
وَامْتَلَأَتْ بِالْذُّمُوعِ فَغَرِقْتُ
يَا حَبِيبَتِي
عَلَيْكَ أَنْ تُعَوِّضَنِي عَنْ هَذِهِ الْخَسَارَةِ الْفَاضِحَةِ.
فَإِذَا كَانَ طُمُوحِي إِلَى الشُّهُرَةِ الْخَالِدَةِ بَعْدَ مَوْتِي
قَدْ تَبَدَّدَ، وَذَهَبَ شَطَايَا
فَاجْعَلِينِي
خَالِدًا فِي حَيَاتِي.
وَلَنْ آسَفَ عَلَى خَسَارَتِي
وَلَنْ أُلُومَكَ.

طَوَالَ الصَّبَاحِ
 حَاوَلْتُ أَنْ أَضْفِرَ فِلَادَةً
 وَلَكِنَّ الزُّهُورَ كَانَتْ تَقُلْتُ مِنْ أَصَابِعِي
 وَتَسْقُطُ فَوْقَ الْأَرْضِ
 وَأَنْتِ تَجْلِسِينَ هُنَاكَ
 وَتَرْفِقِينَ خَفِيَّةً
 بِطَرْفِ عَيْنِكَ الْفُضُولِيَّتِينَ
 فَمَنْ هُوَ الْمُذْنِبُ؟
 اسْأَلِي الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ تَحِيكَانِ الْمَكِيدَةَ
 فِي الظُّلَامِ.
 وَعَبَثًا حَاوَلْتُ أَنْ أُغْنِيَ أُغْنِيَةً
 فَارْتَجَفَتْ ابْتِسَامَةً خَفِيَّةً فَوْقَ ثَعْرَتِي
 اسْأَلِي هَذِهِ الْابْتِسَامَةَ عَنْ سَبَبِ فَسْلِي؟

اسْأَلِي شَفَتَيْكَ الْبَاسِمَتَيْنِ
 كَيْفَ ضَاعَ صَوْتِي فِي الظُّلَامِ
 كَمَا يَضِيعُ النُّحْلُ الْمُتَشْيِي بِأَزْهَارِ اللُّؤْسِ
 إِنَّهُ الْمَسَاءُ
 وَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِتُقْفَلَ الْأَزْهَارُ تَيْجَانَهَا
 دَعِينِي أَجْلِسُ بِقُرْبِكَ
 وَ مَرِي شَفَتِي
 أَنْ تَفْعَلَا مَا يُمَكِّنُهُمَا أَنْ تَفْعَلَا
 فِي صَمْتِ أَضْوَاءِ النُّجُومِ الْخَافِتَةِ

40

ابْتِسَامَةٌ مُرْتَابَةٌ تُرْفِفُ فَوْقَ عَيْنَيْكَ
 كُلَّمَا جِئْتُ لِتَوْدِيعِكَ
 لَقَدْ وَدَّعْتُكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ
 حَتَّى صِرْتُ تُفَكِّرِينَ فِي أَنَّنِي سَأَعُودُ إِلَيْكَ

فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ
 وَإِذَا أَرَدْتَ الْحَقَّ
 فَإِنِّي أَنَا أَيْضًا أَرْتَابُ فِي هَذَا التَّوَدُّيعِ
 ذَلِكَ لِأَنَّ أَيَّامَ الرَّبِّيعِ
 تَعُودُ كُلَّ عَامٍ
 وَالْبَدْرُ يُودِّعُنَا ثُمَّ يَعُودُ لِيَرَارَتَنَا مِنْ جَدِيدٍ
 وَالزُّهُورُ تَعُودُ كُلَّ عَامٍ
 لِيَتَضَرَّجَ فَوْقَ الْغُصُونِ
 وَرُبَّمَا كُنْتُ أَنَا الْآخِرُ
 أَبْتَعِدُ عَنْكَ ، مِنْ أَجْلِ الْعَوْدَةِ إِلَيْكَ
 إِنْ الْوَهْمَ يُفِيدُنِي قَلِيلًا
 فَلَا تَتَّعَجَّلْ بِطَرْدِهِ
 فَإِذَا جِئْتُكَ أَقُولُ :
 لِمَنِّي أَوْدَعَكَ إِلَى الْأَبَدِ .
 فَاقْبَلِي ذَلِكَ كَمَا لَوْ كَانَ حَقِيقَةً

وَدَعِيَ حِجَاباً مِنَ الدَّمْعِ
يَعْتَمُ، وَلَوْ لَحْظَةً بَسِيطَةً، تِلْكَ الدَّائِرَةُ
الظِّلِيلَةُ الَّتِي تُحِيطُ بِعَيْنَيْكَ
ثُمَّ اضْحَكِي ضِحْكَةً مَآكِرَةً
حِينَ أَعُودُ إِلَيْكَ

41

أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَعَمُّ الْكَلِمَاتِ
وَلَكِنِّي لَا أَجْرُؤُ خَوْفًا مِنْ سُخْرِيَّتِكَ
وَلِهَذَا أَضْحَكُ مِنْ نَفْسِي
وَأَحُولُ سِرِّي إِلَى سُخْرِيَّةِ
وَأَسْتَخِفُّ بِالْمِي حَتَّى لَا تَسْتَخِفُّ بِي
أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَصْدَقَ الْكَلِمَاتِ
وَلَكِنِّي أَخْشَى أَلَّا تُصَدِّقَنِي
لِهَذَا السَّبَبِ أَخْفِي هَذَا الصَّدَقَ

وَأَقُولُ لَكَ عَكْسَ مَا أَفَكَّرْتُ فِيهِ
 إِنِّي أَجْعَلُ دَائِمًا أَلَمِي عَبَثًا
 خَوْفًا مِنْ أَنْ تُقُومِي أَنْتِ بِذَلِكَ
 أُرِيدُ أَنْ أَسْتَخْدِمَ أَثْمَنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي ادَّخَرْتَهَا لَكَ
 وَلَكِنِّي لَا أَجْرُؤُ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَحْتَقِرِيهَا
 لِهَذَا أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ فِي قَسْوَةٍ
 وَأَجْرَحُكَ، خَوْفًا مِنْ أَلَّا تُعْرِفِي أَيَّ أَلَمٍ
 أُرِيدُ أَنْ أَجْلِسَ صَامِتًا إِلَى جَانِبِكَ
 وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يَثْبِقَ قَلْبِي إِلَى شَفَتِي
 لِهَذَا أَثَرِّثُ بِاسْتِمْرَارٍ
 وَأَخْتَفِي وَرَاءَ الْكَلِمَاتِ
 إِنِّي أَعَامِلُ أَلَمِي بِقَسْوَةٍ
 خَوْفًا مِنْ أَنْ تُقُومِي أَنْتِ بِذَلِكَ
 أُرِيدُ أَنْ أَبْتَعِدَ عَنْكَ
 وَلَكِنِّي لَا أَجْرُؤُ حَتَّى لَا يُكْشَفَ جُنْبِي

وهَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي يَجْعَلُنِي أَرْفَعُ رَأْسِي
وَأَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ بِلَا مُبَالَاهُ
إِنْ طَعَنَاتِ عَيْنِيكَ تَبْقَى عَلَى أَلْمِي حَيًّا

(42)

أَيُّهَا الْمَجْنُونُ، الرَّائِعُ النَّشْوَةُ
إِذَا فَتَحْتَ أَبْوَابَكَ بِرَكَالَاتِ قَدَمَيْكَ
وَقُمْتَ بِدَوْرِ الْمُهْرَجِ أَمَامِ الْجُمْهُورِ
وَأَفْرَعْتَ مِحْفَظَتَكَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ
وَسَخَرْتَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالرِّصَانَةِ
وَسَلَكَتَ دُرُوبًا غَيْرَ مَطْرُوقَةٍ
وَلَمْ تَهْتَمَّ بِالْقَافِيَةِ وَالْمَضْمُونِ
وَنَشَرْتَ أَشْرِعَتَكَ لِلْعَاصِفَةِ
وَشَطَرْتَ مِقْوَدَكَ شَطَرَيْنِ
فَإِنِّي سَأَتَّبِعُكَ أَيُّهَا الرَّفِيقُ .

وَأَسْكُرُ وَأُلْقِي بِنَفْسِي إِلَى التَّهْلُكَةِ .
 لَقَدْ بَدَّدْتُ أَيَّامِي وَلِيَالِيَّ
 فِي صُحْبَةِ الْعَارِفِينَ وَالْمُمْتَازِينَ .
 وَالْعِلْمُ شَيْبَ رَأْسِي
 وَالسَّهَرُ أَضْعَفَ بَصَرِي .
 وَطَوَالَ أَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ
 جَمَعْتُ قِطْعًا وَشَذَرَاتٍ
 لِمُخْتَلَفِ الْأَشْيَاءِ .
 فَلْتَدُسُّهَا ، وَلْتَرْقُصْ فَوْقَهَا
 وَلْتَبْدُدْهَا لِلرَّيَّاحِ الْأَرْبَعِ
 لِأَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ الْحِكْمَةَ الْعُظْمَى
 أَنَّ تَسْكُرَ وَتُلْقِي بِنَفْسِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ
 فَلْتَتَلَّشْ الْوَسَاوِسُ الْمُلتَوِيَّةُ
 وَلْتَضِعْ طَرِيقِي الْخَالِيَّةُ مِنَ الْأَمَلِ
 وَلْتَنْتَرِعْنِي رِيحٌ وَحَشِيَّةٌ عَاصِفَةٌ

من حِبَالِ المَرَّاسِي التي شَدَّتْنِي .
 إِنْ العَالَمَ عَامِرٌ مَلِيٌّ بِالرَّجَالِ القِيَمِينَ
 العَامِلِينَ النَّافِعِينَ ، العَارِفِينَ
 وَثَمَّةَ رِجَالٍ يَتَفَوَّقُونَ بِسُهُولَةٍ
 وَآخَرُونَ يَتَّبِعُونَهُمْ فِي طَاعَةِ عَمِيَاءَ
 فَلْيَسْعُدُوا وَلْيَهْنَأُوا
 وَدَعُونِي أَكُونُ تَافَهَا وَسَفِيهَا
 ذَلِكَ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ نِهَايَةَ كُلِّ عَمَلٍ
 هِيَ الْإِنْتِشَاءُ أَوْ الْإِلْقَاءُ النَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ،
 أَقْسِمُ
 أَنَّنِي سَأَتَخَلَّى مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ
 عَنْ أَنْ أَكُونُ فِي زُمْرَةِ الرِّجَالِ الْفَاضِلِينَ
 سَوْفَ أَتَخَلَّى عَنْ كِبَرِيَاءِ الْعِلْمِ
 وَمَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
 وَسَأَهْشُمُ وَعَاءَ الذِّكْرِيَّاتِ

قِطْعًا مُتَنَازِرَةً
سَاجِبًا عَلَيْهَا آخِرَ دَمْعَةٍ .
وَبِرَغْوَةِ الْبُيُودِ الْأَحْمَرِ
سَأَغْسِلُ ضَحْكَاتِي وَأَصْفِلُهَا .
وَبِالْمُنَاسَبَةِ
سَأَقْطَعُ مِائَةَ قِطْعَةٍ
شِعَارِ الْمُتَمَدِّنِ الرُّصِينِ .
وَسَأُنْذِرُ النَّذْرَ الْمُقَدَّسَ
بَأَنِّ أَكُونَ غَيْرَ لَاقٍ .
وَأَنِّ أَسْكِرَ
وَأُلْقِي بِنَفْسِي إِلَى التَّهْلُكَةِ

(43)

لَا أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ ، لَنْ أَكُونَ نَاسِكًا أَبَدًا
مَهْمَا قُلْتُمُ

فَلَنْ أَكُونَ نَاسِكاً
إِذَا هِيَ لَمْ تَنْدِرْ نَفْسَهَا لِلنُّسْكِ مَعِيَ
إِنَّهُ مِنْ عَزْمِي الثَّابِتِ
أَنْ لَا أَكُونَ نَاسِكاً
إِذَا لَمْ أَجِدْ مَأْوَى ظِلِيلاً
وَرَفِيقَةً لِتَوْبَتِي
لَا أَيُّهَا الْأَصْدَقَاءُ
لَنْ أَتْرُكُ أَبَداً
دِفْءَ الْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ
وَبَيْتِي
وَلَنْ أُنْسَجِبَ إِلَى وَحْدَةِ الْغَابِ
إِذَا لَمْ تَرَنَّ ضَحَكَاتٍ بَهِيجَةً
فِي ظِلَالِهِ الْمُرَدَّدَةِ لِلصَّدَى
وَإِذَا لَمْ تُرْفَرْفُ لِلرِّيحِ
حَافَةً لِحَافٍ زَعْفَرَانِي اللَّوْنِ

إِذَا لَمْ تَجْعَلْ هَمَّسَاتُ نَاعِمَةً
صَمَّتَ الْغَابِ أَكْثَرَ عُمْقًا
فَلَنْ أَكُونَ أَبَدًا نَاسِكًا

(44)

أَيُّهَا الْكَاهِنُ الْمُبْجَلُ
اغْفِرْ لِهَذَيْنِ الْخَاطِئَيْنِ
إِنْ رِيَّاحَ الرَّبِّعِ تَهْبُ فِي أَعَاصِيرِ وَخْشِيَّةٍ
حَامِلَةً الْأُورَاقَ الْمَيِّتَةَ
وَقَدْ ضَاعَتْ مَعَهَا كُلُّ دُرُوسِكَ
فَلَا تَقُلْ أَيُّهَا الْأَب . . إِنَّ الْحَيَاةَ بَاطِلٌ
ذَلِكَ لَا إِنَّا عَقَدْنَا، هَذِهِ السَّاعَةَ، مِيثَاقًا
مَعَ الْمَوْتِ
وَلْيَضْعِ سَاعَاتِ مُعْطَرَّةٍ
سَنَصِيرُ خَالِدِينَ .

لَوْ زَحَفَ عَلَيْنَا جَيْشُ الْمَلِكِ
 وَانْقَضَ عَلَيْنَا بَعْنُهُ
 فَسَنَهَزُهُ لَهُ رَأْسَيْنَا قَائِلَيْنِ
 أَيُّهَا الْإِخْوَةُ ، إِنَّكُمْ تُضَايِقُونَنَا
 فَلَمَّا أَرَدْتُمْ فِعْلًا اسْتِمْرَارَ فِي هَذِهِ اللَّعْبَةِ الصَّاحِبَةِ
 فَادْهَبُوا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ
 يَتَرَدَّدُ فِيهِ صَدَى أَسْلِحَتِكُمْ
 فَإِنَّا لِلْحِظَاتِ قَلِيلَةَ هَارِبَةٍ
 قَدْ صِرْنَا خَالِدِينَ
 وَإِذَا جَاءَ أَحِبَّائُنَا
 وَتَجَمَّعُوا حَوْلَنَا
 فَإِنَّا سَنُنَحْنِي لَهُمْ وَنَقُولُ
 إِنَّ هَذَا الْحِظَّ الْفَائِقَ
 يُرْبِكُنَا
 فَالْفُضَاءُ قَلِيلٌ

فِي السَّمَاءِ اللَّائِنِهَايَةِ
 الَّتِي نَسْكُنُهَا
 فِي الرِّبْعِ
 تَتَرَاخَمُ الزُّهُورُ
 وَأَجْنِحَةُ النُّحْلِ الْعَامِلِ تَصْطَلِمُ بَعْضُهَا
 وَالْفَرْدَوْسُ الَّذِي نَسْكُنُهُ
 نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ الْخَالِدَيْنِ
 ضَيْقٌ بِشَكْلِ غَيْرِ مَعْقُولٍ

(45)

تَمَنَّ لِلضُّيُوفِ الْمُغَادِرِينَ حَفْلاً طَيِّباً
 ثُمَّ امْسَحْ آثَارَ خُطَوَائِهِمْ
 وَضُمَّ إِلَى صَدْرِكَ بِابْتِسَامٍ
 كُلُّ مَا هُوَ سَهْلٌ وَبَسِيطٌ وَقَرِيبٌ
 فَالْيَوْمَ عِيدُ الْأَشْبَاحِ

الذين لَا يَعْرِفُونَ مَتَى يَمُوتُونَ
وَلَتَكُنْ ضِجْجَتُكَ
بَهْجَةً لَا مَعْنَى لَهَا
مِثْلَ شَرَارَاتِ الثُّورِ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ
وَلَتَرْقُصْ حَيَاتُكَ بِخِفَّةٍ
عِنْدَ حُدُودِ الزَّمَنِ
مِثْلَ مَا يَرْقُصُ النَّدَى
عَلَى أَطْرَافِ الْوَرَقِ
وَعَلَى أَوْتَارِ الْقِيَارِ
عَازِفًا أَثْغَامًا هَارِبَةً

(46)

لَقَدْ تَرَكْتَنِي ، وَتَابَعْتَ طَرِيقَكَ
وَقَدْ ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ غَرَسْتُ وَاحْتَفَظْتُ
بِصُورَتِكَ الْفَرِيدَةِ فِي قَلْبِي

منحوتة في أغنية ذهبية
 ولكن . . . أواه ، إنَّ الزَّمنَ لَقَصِيرُ
 وعامًا بعدَ عامٍ ، يُزهرُ الشَّبابُ
 وأيامُ الرَّبيعِ قصيرةٌ هاربةٌ
 والأزهارُ النَّاعِمةُ تموتُ عبثاً
 والحكيمُ يُنبئُ بأنَّ الحَيَاةَ
 لَيْسَتْ سِوَى قَطْرَةٍ نَدَى
 على صَفْحَةِ وَرَقٍ اللُّوتسِ
 فهل يَنْبَغِي أَنْ أُغْفَلَ كُلُّ ذَلِكَ
 من أَجْلِ وَاحِدَةٍ تَخُلَّتْ عَنِّي
 إنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الغَبَاوَةِ ، والسُّلُوكِ الصَّبِيَّانِي
 إنَّ الزَّمنَ لَقَصِيرُ
 فلتأتِ ، إِذْنِ ، يَا لِيَالِي المُمْطِرَةِ
 بِخُطُواتِ سَرِيعَةٍ صَغِيرَةٍ
 وَلْتَضْحَكِ يَا خَرِيفِي الذَّهَبِي

وَلَتَأْتِ يَا نَيْسَانَ الْخَالِي الْبَالِ
نَائِراً حَوْلَنَا قُبْلَاتِكَ
تَعَالَ أَنْتَ
وَأَنْتَ
وَأَنْتَ أَيْضاً
يَا أَحِبَّائِي ، إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا فَاؤُونَ
فَهَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ أَمْرَقَ الْقَلْبَ
مَنْ أَجَلَ وَاحِدَةٍ سَحَبَتْ مِنِّي قَلْبَهَا؟
ذَلِكَ أَنَّ الزَّمْنَ قَصِيرٌ
إِنَّهُ لَمِنْ الْعَذْبِ
أَنْ أَجْلِسَ إِلَى زَاوِيَةٍ
أَتَأْمَلُ وَأَكْتُبُ شِعْراً
أَقُولُ فِيهِ
إِنَّكَ عَالَمِي كُلُّهُ
وَإِنَّهُ لَمِنْ الْبُطُولَةِ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْإِنْسَانُ بِأَلَمِهِ وَيَرْتَبِطَ بِهِ

وإن يَرُفَضُ العَزَاءَ
وَلَكِنْ وَجْهًا صَغِيرًا
يَتَجَسَّسُ مِنَ الْبَابِ
وَيُحَدِّ النَّظَرَ فِي عَيْنِي
فَلَا يُمَكِّنُنِي إِلَّا أَنْ أَجْفَفَ دُمُوعِي
وَأَعْيَرَ إِيقَاعَ أَغْنِيَتِي
لَا إِلَّاءَ الزَّمَنَ قَصِيرٌ

(47)

إِذَا أَرَدْتُ
فَلِإِنِّي أَتَوَقَّفُ عَنِ الْغِنَاءِ .
إِذَا كَانَ قَلْبُكَ يَقْفِزُ
عِنْدَ نَظْرَاتِي
فَلِإِنِّي أَصْرِفُهَا عَنْ وَجْهِكَ .
وَإِذَا كَانَتْ تَهْزُلُكَ بَغْتَةً

حِينَ تَنْزُهِينَ
 فَلِإِنِّي سَأَنْسَجِبُ جَانِباً
 وَأَسْأَلُكَ طَرِيقاً أُخْرَى .
 وَإِذَا كَانَتْ تُبَيِّرُ فَيْكِ الْاضْطِرَابَ
 حِينَ تَضْفُرِينَ فِلَادَةَ الزُّهُورِ
 فَلِإِنِّي سَأَتَجَنَّبُ حَدِيقَتَكَ الْفَرِيدَةَ
 وَإِذَا كَانَتْ سَتَحْرُكُ الْمِيَاهَ كَثِيراً
 فَلِإِنِّي لَنْ أَطُوفَ
 قُرْبَ شَاطِئِكَ

(48)

حَرَّرَ بَنِي مِنْ قُيُودِ عُدُوِّكَ
 يَا حَبِيبَتِي
 وَأَصْرِفِي عَنِّي نَبِيذَ الْقُبُلَاتِ
 إِنْ ضَبَّابَ الْبَحُورِ الْكَثِيفِ

يَخْتَنُّ قَلْبِي
إِفْتَحِي الْأَبْوَابَ
وَادْخِلِي أَنْوَارَ الصَّبَاحِ
لَقَدْ ضِيعْتُ فِيكَ
وَصِرْتُ أَسِيرًا لِمَلَا طَفَائِكَ
فَحَرَّرْنِي مِنْ فُتُونِ سِحْرِكَ
وَأَعْيَدِي مَنْحَ الْقُوَّةِ لِي
حَتَّى أَهَبَكَ قَلْبِي الطَّلِيْقَ

49

إِنِّي أَقْبِضُ عَلَى يَدَيْكَ
وَأَضْمُهُمَا إِلَى صَدْرِي
وَأَحَاوِلُ أَنْ أَمْلَأَ ذِرَاعِي
بِجَمَالِكَ
وَأَنْ أُلْهَبَ بِالْقُبُلَاتِ

ابْتِسَامَتَكَ الْعَذْبَةَ
 وَإِنْ أَشْرَبَ نَظْرَاتِكَ السَّمَاءَ
 بِعَيْنِي
 وَلَكِنْ أَيْنَ؟
 وَمَنْ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى عَصْرِ زُرْقَةِ السَّمَاءِ؟
 أَحَاوِلْ أَنْ أَمْسِكَ بِالْجَمَالِ
 فَيَرَاوُعُنِي
 وَلَا يَتْرُكْ سِوَى الْجَسَدِ بَيْنَ يَدَيَّ
 وَأَنْسَجِبُ فِي إِعْيَاءٍ وَإِحْبَاطٍ
 كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْجَسَدِ أَنْ يَنَالَ الزُّهْرَةَ
 الَّتِي لَا تَقْدِرُ الرُّوحُ إِلَّا عَلَى لَمْسِهَا لَمْسًا هَيِّنًا رَفِيقًا

(50)

يَا حَبِيبِي
 لَيْلًا وَنَهَارًا

يَتَلَهَّفُ قَلْبِي لِقَائِكَ
لِقَاءَ يُشَبِّهُ الْمَوْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْءٍ
فَاكْسَحْنِي كَالْعَاصِفَةِ
وَاخْذُ مَا عِنْدِي
افْتَحْ أَبْوَابَ نَوْمِي عَلَى مَصَارِعِهَا
وَانْهَبْ أَخْلَامِي
وَاخْطِفْنِي مِنْ عَالَمِي
وَفِي ذَلِكَ الْأَسَى
وَالْعُرْيِ الْمُطْلَقِ لِلرُّوحِ
فَلْتَتَوَحَّدْ فِي الْجَمَالِ
أَوَاه . . يَا لَهَا مِنْ رَعْبَةٍ بَاطِلَةٍ
أَيَّ أَمَلٍ فِي التَّوْحُدِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ
يَا إِلَهِي

51

أُخْتِمَ هَذِهِ الْأَغْنِيَّةُ الْأَخِيرَةَ
وَلِنَفْتِرُقْ
إِنْسَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ .
الآن ، وبعد أن انقضى اللَّيْلُ
عَمَّنْ أُبَحِّثُ لِأَضْمَهُ فِي أَحْضَانِي ؟
الْأَحْلَامُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ أَسْرَى
وَبَيْدَيْنِ مُتَلَهِّفَتَيْنِ .
أَضْمُ الْفَرَاغَ إِلَى قَلْبِي
فَيَجْرَحُ صَدْرِي

52

لماذا انطفأ المصباح ؟
لقد غطَّيْتُهُ بِاللِّحَافِ

حَتَّى أَقْبِهَ مِنَ الرِّيحِ
لِهَذَا انْطَفَأَ الْمِصْبَاحُ
لِمَاذَا تَذُبُّلُ الزَّهْرَةِ؟
لَقَدْ ضَمَمْتُهَا إِلَى قَلْبِي
فِي حَبِّ مُشْفِقٍ
لِهَذَا ذُبُلَتِ الزَّهْرَةُ
لِمَاذَا جَفَّ الْجَدُولُ؟
لَقَدْ صَنَعْتُ حَوْلَهُ سَدًّا
لِيَكُونَ لِي وَحْدِي
لِهَذَا جَفَّ الْجَدُولُ
وَلِمَاذَا تَقَطَّعَتْ أَوْتَارُ الْقِيَارِ؟
لَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ اسْتَخْرِجَ مِنْهَا
نَعْمًا فَوْقَ طَائِفَتِهَا
فَلِهَذَا تَقَطَّعَتْ أَوْتَارُهَا

لماذا تُغَطِّيَنِي نَظَرَاتُكَ بِالْخَجَلِ ؟
 فلم آتِ إِلَيْكَ مُسْتَعْطِيَا
 لقد وَقَفْتُ سَاعَةً خَاطِئَةً
 عِنْدَ حَافَةِ سَاحَتِكَ
 خَارِجَ سِيَاجِ حَدِيقَتِكَ
 فلماذا تَغَطِّيَنِي نَظَرَاتُكَ بِالْخَجَلِ ؟
 لم أَقْطِفْ لَا وَرْدَةً ، وَلَا ثَمَرَةً
 مِنْ بُسْتَانِكَ
 وَلَجَّاتُ فِي حَيَاءٍ إِلَى الظِّلِّ
 الْمُنْبَسِطِ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 حَيْثُ يُمَكِّنُ لِكُلِّ غَائِبٍ أَنْ يَقِفَ
 وَلَمْ أَقْطِفْ وَلَا وَرْدَةً
 نَعَمْ ، إِنْ قَدَمِي كَانَتَا مُتَعَبَّتَيْنِ

والمطرُ يَهْبِطُ مِذْرَاراً
 والرياحُ تُعَوِّي بين الأغصان
 وأعوادِ قَصَبِ البامبو.
 والسُّحُبُ تَرْكُضُ فِي السَّمَاءِ
 مِثْلَ الْهَارِبِ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ
 كَانَتْ قَدَمَايَ مُتَعَبَتَيْنِ
 لَا أَعْرِفُ فِكْرَتَكَ عَنِّي
 وَلَا مَنْ كُنْتُ تَنْتَظِرِينَ عِنْدَ بَابِكَ
 وَكَانَتْ الْأَضْوَاءُ تُعْشِي عَيْنِي
 فَكَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَصَوَّرَ
 أَنَّكَ قَادِرَةٌ عَلَى رُؤْيِي فِي الظَّلَامِ
 لَا أَدْرِي فِكْرَتَكَ عَنِّي
 لَقَدْ انْقَضَى الْيَوْمُ
 وَالْمَطَرُ لَمْ يَتَوَقَّفْ لَحِظَةً عَنِ الْهَطُولِ
 إِنِّي أَتْرَكُ ظِلَالَ الشَّجَرَةِ

الوَاقِعَةِ عِنْدَ بُسْتَانِكَ

وَهَذِهِ الْمِصْطَبَّةُ وَسَطُ الْأَعْشَابِ

لَقَدْ خَيَّمُ الظَّلَامُ

فَأَغْلِقِي بَابَكَ

وَسَاوِصِلِ طَرِيقِي

إِنَّ الْيَوْمَ قَدْ انْقَضَى

54

ذَاتَ صَبَاحٍ

جَاءَتْنِي فَتَاةٌ عَمِيَاءُ

وَأَهْدَتْنِي قِلَادَةً مِنَ الزُّهُورِ

مُغْلَفَةٌ بِبُورْقِ اللَّوْتَسِ

وَوَضَعَتْهَا فِي عُنُقِي

فَطَفَّرَ الدَّمْعُ إِلَى عَيْنِي

وَقَبَّلَتْهَا قَائِلًا

إِنَّكَ عَمِيَاءُ مِثْلَمَا الزُّهُورُ عَمِيَاءُ
وَلَا تَعْرِفِينَ أَنْتِ نَفْسُكَ
إِلَى أَيِّ حَدٍّ هِيَ جَمِيلَةٌ هَدِيَّتُكَ

55

إِلَى أَيْنَ تَرْكُضُ بِسَلَّتِكَ
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ الْمَسَاءِ
بَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ السُّوقُ؟
لَقَدْ أَوَى النَّاسُ بِأَحْمَالِهِمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ
وَالْقَمَرُ يَتَجَسَّسُ فَوْقَ أَشْجَارِ الْقَرْيَةِ
وَصَلَى الْأَصْوَاتِ الَّتِي تُنَادِي عَابِرَةَ النَّهْرِ
يَتَخَلَّلُ الْمَاءَ الْعَكِيرَ، حَتَّى نِهَايَةِ الْمُسْتَنْقَعِ
حَيْثُ يَنَامُ الْبَطُّ الْوَحْشِيُّ
إِلَى أَيْنَ تَرْكُضُ بِسَلَّتِكَ
بَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ السُّوقُ؟

إِن النَّوْمَ قَدْ مَرَّ بِأَنَاوِيلِهِ عَلَى عُيُونِ الْأَرْضِ
وَأَعْيَاشِ الصَّفَرِّ صَارَتْ سَاكِنَةً
وَسَكَتَتْ أَوْرَاقُ الْبَابُو
وَالْفَلَاحُونَ الْعَائِدُونَ مِنَ الْحَقْلِ
يَجْلِسُونَ عَلَى الْحُصْرِ فِي رَحْبَةِ الْبَيْتِ
فَأِلَى أَيْنَ تَرْكُضُ بِسَلَّتِكَ
حِينَ انْتَهَتْ السُّوقُ؟

(56)

كَأَنَّ مُتَّصِفَ النَّهَارِ
حِينَ سَافَرْتَ
وَالشَّمْسُ كَانَتْ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ
كُنْتُ قَدْ انْتَهَيْتُ مِنْ عَمَلِي
وَجَلَسْتُ وَخَلِي فِي الشَّرْفَةِ
حِينَ سَافَرْتَ

وَبَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى
 كَانَتْ هَبَّاتٌ مِنَ الرِّيحِ
 تَهْبُ، حَامِلَةً عِطْرَ
 كَثِيرٍ مِنَ الْمُرُوجِ الْبَعِيدَةِ
 وَيُرْتَجِفُ الْحَمَامُ فِي الظِّلِّ
 وَنَحْلَةٌ تَدْخُلُ عُرفَتِي
 تُدْنِدِنُ بِأَخْبَارِ الْكَثِيرِ
 مِنَ الْحُقُولِ الْبَعِيدَةِ
 وَفِي قَبْضِ الْقَيْلُولَةِ
 كَانَتْ الْقَرْىُ تَنَامُ
 وَالطَّرِيقُ تَمْتَدُّ مَهْجُورَةً
 وَمِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ
 يَمُوتُ حَفِيفُ الْأُورَاقِ ثُمَّ يَحْيَا
 أَحْلَقُّ فِي السَّمَاءِ
 وَأَصُوغُ فِي زُرْقَتِهَا

حُرُوفَ اسْمٍ عَرَفْتُهُ
 حِينَ كَانَتْ الْقَرْيَةُ
 تَنَامُ فِي قَبْضِ الْقَيْلُولَةِ
 لَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أَضْفِرَ شَعْرِي
 وَالنَّسِيمُ الْوَاهِنُ يَتَلَاعَبُ بِهِ فَوْقَ وَجْهِي
 وَتَحْتَ الضِّفَّةِ الظَّلِيلَةِ
 كَانَ النَّهْرُ يَجْرِي هَادِئًا
 وَالسُّحُبُ الْبَيْضَاءُ الْمُتَكَاسِلَةُ
 كَانَتْ ثَابِتَةً فِي السَّمَاءِ
 لَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أَضْفِرَ شَعْرِي
 كَانَ مُتَنَصِّفَ النَّهَارِ
 عِنْدَمَا سَافَرْتُ
 وَغُبَارُ الطَّرِيقِ كَانَ مُلْتَهَبًا
 وَالْحُقُولُ تَحْفُقُ
 وَالْحَمَامُ يَضْطَرِبُ بَيْنَ الْأُورَاقِ الْكَثِيفَةِ

كُنْتُ وَحْدِي فِي شُرْفَتِي
عِنْدَمَا سَافَرْتَ

57

كُنْتُ وَاحِدَةً مِنَ النِّسَاءِ الْمَشْغُولَاتِ
بِالْأَعْمَالِ الْمَنْزِلِيَّةِ الْمُتَوَاضِعَةِ
فَلِمَ أَذَاخْتَنِي، وَأَخْرَجْتَنِي
مِنَ الْمَأْوَى النَّدِيِّ لِلْحَيَاةِ الْعَادِيَّةِ؟
إِنَّ الْحُبَّ الصَّامِتَ مُقَدَّسٌ
وَهُوَ يَتَأَلَّقُ مِثْلَ الْجَوَاهِرِ فِي ظِلَامِ
الْقَلْبِ الْخَفِيِّ
وَفِي ضَوْءِ النَّهَارِ الْفُضُولِيِّ
يَبْدُو مُظْلِمًا بِشَكْلِ مُثِيرٍ لِلرَّحْمَةِ
أَوْ، لَقَدْ اقْتَحَمْتَ حُصُونِ قَلْبِي
وَجَرَّرتَ قَلْبِي الْخَائِفَ إِلَى الْخَارِجِ.

مُدْمَرًا إِلَى الْأَبَدِ تِلْكَ الزَّائِرَةُ الظَّلِيلَةَ
 الَّتِي كَانَ يُخْفِي فِيهَا عَشَّةً
 وَهَكَذَا شَأْنُ النِّسَاءِ الْأَخْرِيَّاتِ دَوْمًا
 فَلَا أَحَدٌ
 تَطْلُعُ إِلَى أَعْمَاقِ قُلُوبِهِنَّ
 وَهُنَّ أَنْفُسُهُنَّ لَا يَعْرِفْنَ سِرَّهُنَّ الْخَاصَّ
 يَتَسَمَّنَ بِرَقَّةٍ ، وَيَبْكِينَ ، وَيُثْرَثِرْنَ
 وَيَعْمَلْنَ
 وَكُلُّ يَوْمٍ يَذْهَبْنَ إِلَى الْمَعْبَدِ
 وَيُوقِدْنَ مَصَابِيحَهُنَّ
 وَيَسْتَقِينَ مِنْ مِيَاهِ النَّهْرِ
 كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّرْتُ
 عَلَى حَبِيبِي ذَلِكَ الْخَجَلِ الرَّاجِفِ
 الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ كُلُّ مَنْ حُرِمَ الْمَأْوَى
 وَلَكِنَّكَ وَجَّهْتَ وَجْهَكَ نَحْوَ وَجْهَةِ أُخْرَى

أَجَلٌ ، إِنْ طَرِيقَكَ مَفْتُوحَةٌ أَمَامَكَ
وَلَكِنَّكَ قَطَعْتَ عَلَى طَرِيقِ الْعَوْدَةِ
وَتَرَكْتَنِي عَارِيَةً أَمَامَ الْعَالَمِ
يُحَلِّقُ فِي صَبَاحِ مَسَاءٍ
بِعُيُونِهِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْأَجْفَانِ

(58)

أَيَّتَهَا السَّمَاءُ
لَقَدْ قَطَعْتُ زَهْرَتَكَ
وَضَمَمْتُهَا إِلَى قَلْبِي
وَلَكِنْ شَوْكَةٌ جَرَحَتْني
وَحِينَ أَقْلَ الْيَوْمِ
وَلَحِيمِ الظُّلَامِ
اكَتَشَفْتُ أَنَّ الزُّهْرَةَ قَدْ ذُبُلَتْ
وَلَكِنْ أَلَمَ الْجَرَحِ بَاقٍ

زُهُورُ أُخْرَى
سَوْفَ تَأْتِيكَ بِعِطْرِهَا وَبَهْرَجَتِهَا
أَيْتُهَا السَّمَاءُ
أَمَّا أَنَا فَقَدْ انْقَضَى عِنْدِي
زَمَنُ قُطْفِ الزُّهُورِ
وَفِي اللَّيْلِ الْحَالِكِ
لَمْ تُعْذِلِي وَرَدَّتِي
وَلَمْ يَبْقَ لِي سِوَى الْأَلَمِ

59

أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ
لَسْتُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَحْدَهُ
وَلَكِنَّكَ أَيْضًا مِنْ خَلْقِ الرِّجَالِ
الَّذِينَ يَجْعَلُونَكَ بِقُلُوبِهِمْ
جَمِيلَةً

فَالشُّعْرَاءُ نَسَجُوا لَكَ شَبَكَةً
 مِنْ خُيُوطِ الْأَخْيَلَةِ الذَّهَبِيَّةِ
 وَالرَّسَامُونَ أَعْطَوْا دَوِّمًا
 لِهَيْئَتِكَ خُلُودًا جَدِيدًا
 وَالْبَحْرُ يُقَدِّمُ إِلَيْكَ لُؤْلُؤَهُ
 وَالْمَنَاجِمُ ذَهَبَهَا
 وَبَسَاتِينِ الصَّيْفِ تَمْنَحُكَ زُهُورَهَا
 لِكَيْ تُوشِيكَ وَتَكْسُوكَ
 وَتَجْعَلَكَ عَلَى الدَّوَامِ
 ثَمِينَةً غَالِيَةً
 وَشَوْقُ قُلُوبِ الرِّجَالِ
 بَسَطَ مَجْدَهُ
 عَلَى شَبَابِكَ
 فَصِرْتَ نِصْفَ امْرَأَةٍ
 وَنِصْفَ حُلْمٍ

آه . . أيتها الجميلة
 المنحوتة في الصخر
 بين هيجان الحياة وصراخها
 تظللين ثابتة ساكنة
 متفردة ، منعزلة
 والزمن الأعظم
 يجلس عاشقاً تحت قدميك
 ويهمس
 تحدثي ، تحدثي إلي يا حبيبي
 تكلمي يا عروستي
 ولكن كلماتك مختومة في الصخر
 آه ، أيتها الجميلة الساكنة

سَلَامًا يَا قُودِي
 وَلِنَأْمَلْ أَنْ يَكُونَ وَقْتُ الْوَدَاعِ
 حُلُوءًا لَطِيفًا
 أَنْ لَا يَكُونَ مَوْتًا، بَلْ كَمَالًا
 وَأَنْ يَذُوبَ الْأَلَمُ فِي الذُّكْرَى
 وَالْأَلَمُ فِي الْأَغْنِيَاتِ
 وَأَنْ التَّحْلِيْقَ نَحْوَ السَّمَاءِ
 يَنْتَهِي عِنْدَ طَيِّ الْأَجْنِحَةِ فَوْقَ الْوَكْرِ
 تَوَقَّفِي بَرَهَةً
 أَيْتَهَا النَّهَآيَةُ الْجَمِيلَةُ
 وَقُولِي لِي فِي صَمْتٍ
 آخَرَ كَلِمَاتِكَ
 إِنِّي أَنُحَنِّي أَمَامَكَ

وَأَرْفَعُ مِصْبَاحِي
يُنِيرُ سَبِيلَكَ
طُورَ الطَّرِيقِ

(62)

فِي الطَّرِيقِ الْفَاقِعِ لِأَحَدِ الْأَحْلَامِ
ذَهَبْتُ أَبْحَثُ عَنْ حَبِيبَةٍ
كَانَتْ لِي فِي حَيَاةٍ سَابِقَةٍ
بَيْتُهَا كَانَ فِي آخِرِ الطَّرِيقِ الْمَهْجُورَةِ
وَعِنْدَ هُبُوبِ نَسِيمِ الْمَسَاءِ، كَانَ طَاوُوسُهَا الْمُفْضَلُ
يَنْعَسُ فَوْقَ الْحِمَالَةِ
وَالْحَمَامُ كَانَ قَابِعاً يَهْدُوهُ فِي إِحْدَى الزَوَايَا
وَقَدْ وَضَعْتُ هِيَ مِصْبَاحَهَا أَمَامَ الْبَابِ
وَزَلَّتْ وَاقِفَةً أَمَامِي
وَرَفَعَتْ عَيْنَيْهَا الْكَبِيرَتَيْنِ فِي وَجْهِي

وقالت في صمتٍ
 كيف حالك يا صديقي
 وحاولت أن أجيب
 ولكن لغتنا قد ضاعت، ونسيناها
 وفكرت هي وفكرتُ
 فلم نسترجع اسمينا
 وتألقت الدموعُ في عينيها
 وقدمت لي يدها اليمنى
 فأخذتها بيدي
 ولبثنا واقفين
 وارتجف المصباحُ، مع هبوب نسيمِ المساء
 ثم انطفأ.

هل يَجِبُ أن تُسَافِر؟

إن الليل هادي

والظُلْمَةُ تَذُبُّ فوق الغاب

والمصابيح تَتَوَقَّدُ في شُرَفِنَا

والزُّهُورُ مَا تَزَالُ طَرِيَّةً نَدِيَّةً

والأعين الشَّابَّةُ مَا تَزَالُ يَقْظَى

فَهَلْ حَانَ وَقْتُ رَحِيلِكَ؟

أيُّهَا العابر

هل يَجِبُ أن تَرْحَلَ؟

لم نُقَيِّدْ قَدَمَيْكَ بِأَذْرُعِنَا الضَّارِعَةِ

وَكُلُّ أَبْوَابِكَ مَفْتُوحَةٌ

وَفَرَسُكَ مُسَرَّجٌ عِنْدَ الْبَوَابَةِ

فَإِذَا حَاوَلْنَا قَطَعَ طَرِيقَكَ

فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَغَانِينَا

وَإِذَا حَاوَلْنَا إِبْقَاءَكَ

فلم يكن ذَلكِ إلا بأَبْصارِنَا
أَيُّهَا الْعَايِرُ
لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ تَتَشَبَّثَ بِكَ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَى دُمُوعِنَا
أَيُّ نَارٍ مُوقَدَةٌ
تَلْمَعُ فِي عَيْنَيْكَ
وَأَيُّ حُمَى قَلِقَةٍ
تَجْرِي فِي دَمِكَ
وَأَيُّ نِدَاءٍ يُطَارِدُكَ مِنَ الظُّلَامِ
وَأَيُّ سِحْرِ مُرْعِبٍ
قَرَأْتَهُ بَيْنَ نُجُومِ السَّمَاءِ الَّتِي جَعَلْتَ بِرِسَالَتِهَا الْخَفِيَّةَ
ذَلِكَ اللَّيْلِ الْغَرِيبَ الصَّامِتَ
يَدْخُلُ قَلْبُكَ؟
أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُتَعَبُ
إِذَا كُنْتَ لَا تَأْبَهُ بِالنُّدُواتِ الْبَهِيحَةِ

وَتَبَحْتُ عَنْ الْهُدُوءِ وَالسَّلَامِ
 فَإِنَّا نُطْفِئُ مَصَابِيحَنَا
 وَنُسْكِتُ قِيَارَتنا
 وَنَجْلِسُ صَامِتِينَ فِي الظُّلَامِ
 بَيْنَ خَفِيفِ الْأَوْرَاقِ
 وَالْقَمَرِ الْمُضْنَى
 يَسْكُبُ أَشِعَّةَ شَاحِبَةٍ
 فَوْقَ نَافِذَتِكَ .
 أَيُّهَا الْعَابِرُ
 أَيُّ رُوحٍ مُؤَرِّقَةٍ
 قَدْ مَسَّتْكَ فِي قَلْبِ اللَّيْلِ ؟

(64)

أَمْضَيْتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ
 فِي غَبَارِ الطَّرِيقِ الْمُلْتَهَبِ

والآن ، وفي طَرَاوَةِ الْمَسَاءِ
أَدُقْ بَابَ الْمَأْوَى
إِنَّهُ مَهْجُورٌ وَمُهْدَمٌ
وَشَجَرَةُ الشُّطْبِ الْمُتَجَهِّمَةِ
تَمُدُّ جُذُوعَهَا الْجَائِعَةَ
لِتَتَسَلَّلَ كَالْحَيَّاتِ بَيْنَ شُقُوقِ الْجِدَارِ
لَقَدْ مَضَتْ تِلْكَ الْأَيَّامُ الَّتِي كَانَ الْعَابِرُونَ
يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ
لِيُقْسِلُوا أَقْدَامَهُمُ الْمُتَعَبَةَ
وَيَبْسِطُوا حُصَرَهم فِي رِحَابِهِ
تَحْتَ الضَّوءِ الشَّاحِبِ لِلْقَمَرِ الطَّالِعِ
وَهُنَاكَ يَجْلِسُونَ
يَتَحَدَّثُونَ عَنْ بُلْدَانٍ غَرِيبَةٍ
وَفِي الصَّبَاحِ ، وَبَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ اسْتَرَاحُوا
يَسْتَقِظُونَ عَلَى صَوْتِ الْعَصَافِيرِ الْبَهِيجِ

والزُّهُورُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ
تُحْيِيهِمْ بِمَوَدَّةٍ
وَلَكِنْ حِينَ وَصَلْتُ
لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى مِصْبَاحٍ مُنِيرٍ
فِي انْتِظَارِي.
بُقِعَ سُودَاءُ مِنَ الدَّخَانِ
تَرَكَتْهَا عِدَّةٌ مَصَابِيحَ مَنْسِيَّةٍ
مِثْلَ عُيُونِ عَمِيَاءٍ تُحَدِّقُ فِي الْجِدَارِ
وَالْجِدَاجِدِ تَطِيرُ بَيْنَ الْأَدْغَالِ
قَرَبَ الْمُسْتَنْقَعِ الْجَافِ
وَأَغْصَانِ الْبَابُو
تُتْلَقَى ظِلَالاً
عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي غَزَتْهَا الْأَعْشَابُ
وَأَنَا هُنَا فِي نِهَايَةِ يَوْمِي
ضَيْفٌ لَا أَحَدَ

واللَّيْل الطَّوِيل

يَنْتَظِرُنِي

وَإِنِّي لَمَتَعَب

65

أَمَا يَزَالُ نِدَاؤُكَ يُلَاحِظُنِي؟

لَقَدْ خَيَّمِ الْمَسَاءُ

وَالْإِعْيَاءُ يُحِيطُ بِي

كَأَذْرَعِ حَبِيبِ ضَارِعٍ

أَتَنَادِينِنِي؟

لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ يَوْمِي كُلَّهُ

أَيَّتَهَا السَّيِّدَةُ الْقَاسِيَةُ

وَتُرِيدِينَ أَنْ تَنْتَزِعِي مِنِّي اللَّيْلَ أَيْضاً؟

لِكُلِّ شَيْءٍ نِهَآيَةٌ

وَوَحْدَةُ الظَّلَامِ تُخِيفُنِي

فَهَلْ لَا بُدَّ لَصَوْتِكَ أَنْ يَقْطَعَهَا
وَيَجْرُحُنِي؟
أَلَا يَحْمِلُ الْمَسَاءُ إِلَى بَابِكَ
مُوسِيقَى النُّعَاسِ؟
وَالنُّجُومُ ذَاتَ الْأَجْنِحَةِ الصَّامِتَةِ
أَلَا تَطِيرُ فَوْقَ بُرْجِكَ الْقَاسِي
أَلَا تَسْقُطُ الزُّهُورُ بِمَوْتِهَا الْعَذْبِ
فِي ثَرَابِ حَلِيقَتِكَ؟
هَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَنَادِيَنِي
أَيُّهَا الرُّوحُ الْقَلِقَةُ
عَبَثًا إِذَنْ نَسْهَرُ وَتَبْكِي عَيُونَُ الْحُبِّ الْحَزِينَةِ
وَيُوقِدُ الْمِصْبَاحَ فِي الْبَيْتِ الْمُتَعَزِّلِ
وَتَحْوِلُ عَابِرَةَ النَّهْرِ الْعُمَالِ الْمُتَعَبِينَ
سَأَتْرُكُ أَحْلَامِي وَرَاءَ ظَهْرِي
وَأَهْرَعُ إِلَى نِدَائِكَ

مَجْنُونٌ مُتَشَرِّدٌ

كَانَ يَبْحَثُ عَنْ حَجَرِ الْفَلَّاسِيفَةِ

بِشَعْرِهِ الْأَشْعَثِ الْأَغْبَرِ

وَالْجَسَدِ الَّذِي صَارَ ظِلًّا

وَالشُّفَاءِ الْمَضْمُونَةِ

مِثْلَ أَبْوَابِ قَلْبِهِ الْمَسْدُودَةِ .

وَالْعَيْنَانِ مُتَوَقِّدَتَانِ

مِثْلَ الْحُبَابِجِ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْ رَفِيقِهَا

وَأَمَامَهُ

كَانَ يَصْطَخِبُ الْمُحِيطُ اللَّائِيهَائِي

وَالْأَمْوَاجُ الثَّرَائِرَةُ تَتَحَدَّثُ بِلا انْقِطَاعٍ

عَنْ كُنُوزِ خَفِيَّةٍ

تَسْخَرُ مِنَ الْجَهْلِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَسْرَارَهَا

رُبَّمَا لَمْ يَعُدِ الْآنَ أَيُّ أَمَلٍ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنِ الْبَحْثِ
تَمَاماً مِثْلَ الْمُحِيطِ
يَرْفَعُ ذِرَاعَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ
لِيَتَلَعَّ الْمُسْتَحِيلَ
تَمَاماً مِثْلَ الثُّجُومِ الَّتِي تَدُورُ فِي دَائِرَةٍ مُغْلَقَةٍ
تَبْحَثُ عَنْ هَدَفٍ لَا يُمَكِّنُ بُلُوغُهُ أَبَداً
هَكَذَا كَانَ تَمَاماً، فِي ذَلِكَ الشَّاطِئِ الْمَهْجُورِ
ذَلِكَ الْمَجْنُونُ بِشَعْرِهِ الْأَشْعَثِ الْأَعْبَرِ
يَجُوبُ الْآفَاقَ بَحْثًا عَنْ حَجَرِ الْفَلَاسِفَةِ
وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ
اقْتَرَبَ مِنْهُ أَحَدُ صِبْيَانِ الْقَرْيَةِ
وَسَأَلَهُ :
قُلْ لِي : هَلْ وَجَدْتَ تِلْكَ السُّلْسِلَةَ الدَّهْيِيَّةَ
الَّتِي كَانَتْ تُطَوِّقُ خَصْرَكَ ؟

فَارْتَعَدَ الْمَجْنُونُ فَأَيْلًا :

إِنَّ السِّلْسِلَةَ الَّتِي كَانَتْ حَدِيدِيَّةً
صَارَتْ ذَهَبِيَّةً !
لَمْ يَكُنْ حُلْمًا

ولكنه لا يَدْرِي مَتَى حَصَلَ هَذَا التَّحَوُّلُ ؟
وَضَرَبَ جَبْهَتَهُ بِقُوَّةٍ
أَيْنَ ؟ أَيْنَ ؟

هَلْ بَلَغَ قَصْدَهُ دُونَ أَنْ يَدْرِي ؟
لَقَدْ اعْتَادَ جَمَعَ الصُّحُورِ
وَلَمَسَ السِّلْسِلَةَ بِهَا
ثُمَّ يُلْقِي بِهَا بَعِيدًا

دُونَ أَنْ يَرَى مَا إِذَا كَانَ التَّحَوُّلُ قَدْ وَقَعَ ؟
هَكَذَا وَجَدَ الْمَجْنُونُ حَجَرَةَ الْفَلَّاسِفَةِ
ثُمَّ أَضَاعَهَا
كَانَتْ الشَّمْسُ تُغْرُبُ

والسَّمَاءُ تَكْتَسِي لَوْنًا ذَهَبِيًّا

وَعَادَ الْمَجْنُونُ أَذْرَاجَهُ

لِيَبْحَثَ مِنْ جَدِيدِ

عَنِ الْكَثْرِ الضَّائِعِ

وَلَكِنَّهُ الْآنَ

خَائِرُ الْقَوَى ، مُنْحِنِي الْجِسْمِ

مُغْبِرُ الْقَلْبِ

مِثْلَ الشَّجَرَةِ الْمُجْتَنَّةِ

(67)

رَغِمَ أَنْ الْمَسَاءَ يُقْبِلُ بِخُطَوَاتِ بَطِيئَةٍ

وَقَدْ أَعْطَى الْإِشَارَةَ

بِإِقْفَافِ جَمِيعِ الْأَغَانِي .

وَرَغِمَ أَنْ رِفَاقَكَ

قَدْ ذَهَبُوا لِلرَّاحَةِ

وَأَنْتِ أَيْضاً مُتَّعَبٌ
 وَرَعْمَ أَنْ الْخَوْفَ يَجْثُمُ فِي الظَّلَامِ
 وَوَجْهَ السَّمَاءِ مُحَجَّبٌ
 مَعَ ذَلِكَ ، فَلْتَصْنَعِي إِلَيَّ ، يَا عُصْفُورِي
 فَلَيْسَتْ ظِلَالُ أَوْراقِ الغَابِ
 بَلْ هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي يَتَنَفَّخُ
 مِثْلَ صَيْلٍ أَسْوَدَ غَامِضٍ
 وَلَيْسَتْ رَقْصَةُ الْيَاسَمِينِ بَيْنَ الزُّهُورِ
 وَلَكِنهَا الرُّعْوَةُ الْبَيْضَاءُ
 آه . . أَيْنَ الضِّفَّةُ الْخَضِرَاءُ الْمُشْمِسَةُ
 أَيْنَ عُشُّكَ؟
 عُصْفُورُ ، يَا عُصْفُورِي
 اصْنَعِي إِلَيَّ ، وَلَا تَضُمِّي جَنَاحَيْكِ
 إِنَّ اللَّيْلَ الْمُتَفَرِّدَ
 يَمْتَدُّ عَلَى طُولِ طَرِيقِكَ

وَالْفَجْرُ يَنَامُ خَلْفَ الضَّبَابِ
وَالنُّجُومُ تُمْسِكُ أَنْفَاسَهَا
وَتَعْدُ السَّاعَاتِ
وَالْقَمَرُ الْمُثِيرُ لِلْحُزَنِ
يَسْبَحُ فِي اللَّيْلِ الْعَمِيقِ
عُصْفُورُ، يَا عُصْفُورِي، اصْنَعْ إِلَيَّ
وَلَا نَصِمِ جَاحِيكَ
لَا أَمَلُ عِنْدَكَ، وَلَا خَوْفَ لَدَيْكَ
وَلَا كَلِمَةَ، وَلَا تَنْهِيدَةَ
وَلَا صَرْخَةَ
وَلَا بَيْتَ يُؤْوِيكَ
أَوْ سَرِيرَ تَسْتَرِيحُ عَلَيْهِ
هُنَاكَ جَنَاحَاكَ
وَالسَّمَاءُ الْخَالِيَةُ مِنَ الدُّرُوبِ
يَا عُصْفُورُ، يَا عُصْفُورِي

اصنعْ إليَّ
ولا تَضُمَّ جَنَاحِيكَ

(68)

يَا أَخِي
لَا أَحَدَ يَعِيشُ دَوْمًا
وَلَا شَيْءٌ يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ
فَاحْفَظْ ذَلِكَ فِي ذَاكَرَتِكَ
فَحَيَاتُنَا
لَيْسَتْ الْحِمْلُ الثَّقِيلَ الْعَرِيقَ فَحَسَبُ .
وَطَرِيقُنَا لَيْسَتْ هِيَ وَحْدَهَا الرِّحْلَةَ الطَّوِيلَةَ .
وَالشَّاعِرُ الْفَرِيدُ
لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يُغْنِيَ أُغْنِيَةً وَاحِدَةً
قَدِيمَةً
إِنَّ الزَّهَرَ يَذْبُلُ وَيَمُوتُ

ولكنَّ حَامِلَ الزُّهُورِ
يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَلَا يَبْكِيهَا إِلَى الْأَبَدِ
فاحْفَظْ ذَلِكَ يَا أَخِي ، وَتَمَتَّعْ
لِكي تَبْلُغَ الْمَوْسِمَ كَمَالِهَا
لَا بُدَّ لَهَا مِنْ بَعْضِ الْوَقْفَاتِ .
إِن الْحَيَاةَ تَسِيرُ نَحْوَ الْغُرُوبِ
حَتَّى تَظْهَرَ فِي الظُّلَالِ الذَّهَبِيَّةِ
وَالْحُبُّ يَنْبَغِي أَنْ يُصَرَّفَ عَنْ لُغَبِيهِ
حَتَّى يَشْرَبَ الْأَلَمَ وَيَعْرِفَ فِرْدَوْسَ الدُّمُوعِ .
فاحْفَظْ ذَلِكَ يَا أَخِي وَتَمَتَّعْ .
نَحْنُ نُعَجِّلُ بِقَطْفِ الزُّهُورِ
خَوْفًا مِنْ أَنْ تَقْتُلِعَهَا الرِّيحُ الْعَابِرَةُ
وَيَتَضَرَّمُ دَمْنَا
وَتَتَأَلَّقُ عُيُونُنَا
لِكي نَنْتَرَعَ الْقُبُلَاتِ

التي يُفْقِدُنَا إِيَّاهَا الْإِنْتِظَارُ إِلَى الْأَبَدِ
 إِنْ حَيَاتُنَا لَا نَعْرِفُ الصَّبْرَ.
 وَعَمِيقَةٌ هِيَ أَشْوَاقُنَا
 وَلَئِنْ الزَّمَنَ يَلْقُ نَاقُوسَ الرَّحِيلِ
 يَا أَخِي لِتَحْفَظْ ذَلِكَ وَلْتَمَتَّعْ
 لَا وَقْتَ لَنَا
 لِلْإِمْسَاكِ بِأَيِّ شَيْءٍ وَتَفْكِيكِهِ وَإِلْقَائِهِ فِي الثُّرَابِ
 وَالسَّاعَاتُ تَمْضِي مُسْرِعَةً
 وَتُخْفِي الْأَحْلَامَ فِي حُجُبِهَا
 وَحَيَاتُنَا قَصِيرَةٌ
 وَلَا تُعْطِينَا سِوَى أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ لِلْحُبِّ.
 وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ عَمَلًا قَاسِيًا فَقَطْ
 لَكَانَتْ طَوِيلَةً لَا حَدَّ لَهَا
 فَاحْفَظْ ذَلِكَ يَا أَخِي وَتَمَتَّعْ.
 فَالْجَمَالَ حُلُّوْ عَذْبُ

لأنَّه يُرَاقِصُ حَيَاتَنَا
 على اللَّحْنِ الخَاطِيفِ نَفْسِهِ .
 والمَعْرِفَةُ ثَمِينَةٌ
 لأننا لَا نَجِدُ الوَقْتَ أَبَدًا لِتَأْمُلِهَا
 فَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ تَمَّ وانْتَهَى في السَّمَاءِ الأَبَدِيَّةِ
 ولكن أَرْهَارَ الأَرْضِ الوَهْمِيَّةِ
 تَحْفَظُ طَرَاوَتَهَا الخَالِدَةَ
 في وَجْهِ المَوْتِ
 يا أَخِي ، احْفَظْ ذَلِكَ وَتَمَتَّعْ

69

إِنِّي ذَاهِبٌ لِصَيْدِ الوَعْلِ الذَّهَبِيِّ
 يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَضْحَكُوا أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ
 ولكني سَأَتَّبِعُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي تُرَاوِدُنِي
 سَأَجْرِي بَيْنَ الودَيَّانِ والهَضَابِ

وَأَجُوبُ بُلْدَانًا بِلَا أَسْمَاءَ
لَأَنِّي ذَاهِبٌ لِصَيْدِ الْوَعْلِ الذَّهَبِيِّ
أَنْتُمْ تَذْهَبُونَ إِلَى السُّوقِ
وَتَعُودُونَ إِلَى الْبَيْتِ مُحْمَلِينَ بِالْبَضَائِعِ
وَلَكِنْ سِحْرَ الرِّيحِ الَّتِي لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا
قَدْ أَصَابَنِي
وَلَا أَدْرِي كَيْفَ؟ وَلَا أَيْنَ؟
لَنْ أُلْقِيَ بَالًا إِلَى قَلْبِي
وَكُلُّ مَا أَمْلِكُهُ تَرَكْتُهُ وَرَأَيْتِي
بَعِيدًا عَنِّي
سَاجِرِي بَيْنَ الْجِبَالِ وَالْوُدَيَانِ
وَأَطُوفُ بُلْدَانًا بِلَا أَسْمَاءَ
لَأَنِّي أَلْحِقُ الْوَعْلَ الذَّهَبِيَّ

أَتَذَكَّرُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ طُفُولَتِي

حِينَ عَوَّمْتُ فِي الْخَنْدَقِ
 زَوْرَقًا مِنَ الْوَرَقِ
 كَانَ يَوْمًا رَطْبًا مِنْ أَيَّامِ يُولِيُو
 وَكُنْتُ وَحِيدًا سَعِيدًا بِلُغَبَتِي
 أَعَوَّمُ فِي الْخَنْدَقِ
 زَوْرَقًا مِنَ الْوَرَقِ
 وَفَجْأَةً تَكَانَفَتِ السُّحُبُ
 وَهَبَّتِ الرِّيحُ بِشَكْلِ زَوَاعٍ عَنِيفَةٍ
 فَتَدَفَّقَتْ سَيُولُ مِنَ الْمِيَاهِ الْعَكِرَةِ
 وَمَلَأَتِ الْجَدُولَ
 فَأَعْرِفَتْ زَوْرَقِي
 وَفَكَّرْتُ فِي أَعْمَاقِي بِمَرَارَةٍ
 أَنَّ الْعَاصِفَةَ إِنَّمَا هَبَّتْ قَصْدًا
 لِكَيْ تَحْرِمَنِي مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ
 وَيَبْدُو لِي الْآنَ

أَن ذَلِك الْيَوْمَ الْكَثِيفِ السُّحْبِ مِنْ شَهْرٍ يُولِيُو
لَا حَدَّ لَهُ
وَقَدْ تَأَمَّلْتُ جَمِيعَ لُعْبِ الْحَيَاةِ الَّتِي هُزِمْتُ فِيهَا
وَكُنْتُ أَلْعَنُ قَدْرِي بِسَبَبِ اللَّعْبِ
الكَثِيرَةِ الَّتِي مَارَسَهَا ضِدِّي
حِينَ تَذَكَّرْتُ فَجْأَةً
زُورَقَ الْوَرَقِ الَّذِي غَرِقَ فِي الْخُنْدَقِ .

71

النَّهَارُ لَمْ يَنْتَهُ بَعْدَ
وَالْمَعْرِضُ الْمَقَامُ عَلَى ضِفَّةِ النِّهْرِ لَمْ يَتِمَّ
كُنْتُ أَخْشَى أَنَّي بَدَّدْتُ وَقْتِي
وَنَخَسِرْتُ آخِرَ نُقُودِي
وَلَكِنْ ، كَلَّا ، يَا أَخِي ! ، لَقَدْ بَقِيَ لِي شَيْءٌ
وَلَمْ يُجَرِّدْنِي الْقَدَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

لقد انتهى البيعُ والشراءُ
وصُفِّيتْ كُلُّ الصَّفَقَاتِ
وقد حَانَ الْوَقْتُ لِلْعَوْدَةِ إِلَى الْبَيْتِ
يَا حَارِسَ الْبَوَابَةِ ، هَلْ تَطْلُبُ أَجْرَكَ ؟
لَا تَخَفْ ، لَقَدْ بَقِيَ لِي شَيْءٌ
وَالْقَدَرُ لَمْ يُجَرِّدْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِنْ هُدُوهُ الرِّيحُ يُنْذِرُ بِمَجِيءِ الْعَاصِفَةِ
وَالسُّحُبُ الْمُتَخَفِّضَةُ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ
لَا تَعْدُ بِشَيْءٍ طَيِّبٍ
وَالْمِيَاهُ الْهَادِئَةُ تَنْتَظِرُ هُبُوبَ الرِّيحِ
فَلَا عَجَلَ بِعُبُورِ النَّهْرِ
قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَنِي اللَّيْلُ
يَا صَاحِبَ الزُّورَقِ ، هَلْ تُرِيدُ أَجْرًا ؟
أَجَلْ ، يَا أَخِي ، لَقَدْ بَقِيَ مَعِيَ شَيْءٌ
وَالْقَدَرُ لَمْ يُجَرِّدْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَعَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ
يَجْلِسُ الْمُتَسَوِّلُ
أواه . . لأنه يُحَلِّقُ فِيَّ بِأَمَلٍ خَجُولِ
يظنُّ أَنَّنِي غَنِيٌّ بِمَكَايِبِ الْيَوْمِ
نعم ، يا أخِي ، لَقَدْ بَقِيَ مَعِيَ شَيْءٌ
وَالْقَدَرُ لَمْ يَحْرِمْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
اللَّيْلُ يَزْدَادُ ظُلَامًا
وَالطَّرِيقُ وَحْشَةً وَوَحْدَةً
وَالْحُبَّاجِبُ تَلْمَعُ بَيْنَ الْأُورَاقِ
فَمَنْ أَنْتَ اللَّيْثِي تَتَّبِعُنِي
بِخُطُواتِ خَفِيَّةٍ صَامِتَةٍ؟
أجل ، إِنِّي أَعْرِفُ
تُرِيدُ أَنْ تَسْرِقَ كُلَّ مَكَايِبِي
لَنْ أَخِيبَ أَمْلَكَ

إِذْ بَقِيَ مَعِيَ شَيْءٌ
وَالْقَدَرُ لَمْ يَحْرِمْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَفِي مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ
بَلَغْتُ بَيْتِي
وَيَدَايِ فَارِغَتَانِ
وَأَنْتِ تَنْظُرِينَ بِعَيْنَيْنِ يَطْفَحُ مِنْهُمَا الْقَلْقُ
عِنْدَ الْبَابِ
مُورِقَةً سَاكِئَةً
وَمِثْلَ الْعُصْفُورِ الْخَائِفِ
طِيرْتَ نَحْوَ صَدْرِي
عَامِرَةً فَيَاضَةً بِالْحُبِّ
نَعَمْ يَا إِلَهِي ، نَعَمْ
لَقَدْ بَقِيَ لِي الْكَثِيرُ
وَالْقَدَرُ لَمْ يُجَرِّدْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

بِأَيَّامٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الشَّاقِّ
 شَيِّئَتْ مَعْبَدًا
 بِلَا أَبْوَابٍ، وَلَا نَوَافِدَ
 وَبَنِيَتْ جُدْرَانَهُ السَّوِيكَةَ
 مِنَ الْحَجَرِ الْمَتِينِ
 وَنَسِيَتْ كُلَّ شَيْءٍ
 وَتَجَنَّبَتْ الْعَالَمَ كُلَّهُ.
 وَكَنتُ أَتَأَمَّلُ فِي انْبِهَارٍ شَدِيدٍ
 الصُّورَةَ الَّتِي وَضَعْتُهَا عِنْدَ الْهَيْكَلِ
 فِي الدَّاخِلِ، كَانَ لَيْلًا دَائِمًا.
 وَالْمَصَابِيحُ وَحدهَا تَتَوَقَّدُ بِزَيْتِهَا الْمُعَطَّرِ.
 وَرَائِحَةُ الْبَحُورِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ
 كَانَتْ تُلْفُ قَلْبِي فِي دَوَّامَاتِهَا الْعَسِيرَةِ

وفي ليالي الأرقِ ، نَحَتُ فَوْقَ الْجُدْرَانِ الْخَيَالِيَّةِ
 صَوْرًا دَاخِلَ مَتَاهَاتٍ مِنَ الْخُيُوطِ الْمُرَبَّكَ .
 خُيُولُ مُجَنَّة ، زُهُورٌ بِوُجُوهِ بَشَرِيَّةِ
 نِسَاءٍ فِي أَجْسَامِ حَيَاتٍ .
 وَلَمْ أَتْرَكْ فَتْحَةً وَاحِدَةً
 يَنْقُذُ مِنْهَا غِنَاءُ الْعَصَافِيرِ
 أَوْ حَفِيفُ الْوَرَقِ .
 أَوْ ضَجَّةُ الْقَرْيَةِ الْكَامِلَةِ .
 وَالصَّوْتُ الْوَحِيدُ الَّذِي كَانَ يَتَرَدَّدُ
 تَحْتَ الْقُبَّةِ الْمُظْلِمَةِ
 هُوَ صَوْتُ انْدِهَاشِي
 لَقَدْ صَارَ ذِهْنِي مُرَكَّزًا وَحَادًا
 كَأَنَّهُ اللَّهَبُ الْحَادُّ .
 وَقَدْ تَاهَتِ حَوَاسِّي كُلُّهَا فِي نَشْوَةِ الدُّهُولِ
 وَنَسِيتُ مُرُورَ الزَّمَنِ .

حَتَّى أَصَابَتْ صَاعِقَةً مَّعْبُدِي .
 وَأَلَمُ حَادُّ طَعَنَ صَدْرِي
 وَحَدَّثْتُ فِي صُورِ الْهِمَّكْلِ
 فَرَأَيْتُهَا ضَاحِكَةً حَيَّةً
 يَلْمِسَةَ الْإِلَهِ الْحَيَّةِ
 فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي سَجَّتْهَا فِيهَا
 كَانَتْ قَدْ بَسَطَتْ أَجْنِحَتَهَا
 وَتَلَا شَتَّى . .

73

يَا أُمَّنَا الْأَرْضُ
 أَيْتُهَا الصَّابِرَةُ الْغَامِضَةُ
 إِنْ ثَرَوْتُكَ لِمَحْدُودَةٍ
 وَلَكِنَّكَ تُجَاهِدِينَ النَّفْسَ لِكَيْ تَقُوتِي ابْنَاءَكَ
 وَالْقُوَّةَ دَائِمًا نَادِرٌ قَلِيلٌ

وَالْبَهْجَةُ الَّتِي تَمْنَحِينَهَا لَيْسَتْ أَبَدًا كَامِلَةً
وَالْأَلْعَابُ الَّتِي تُبَدِّعِينَهَا لِأَطْفَالِكَ
كَانَتْ دَائِمًا هَشَّةً
لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُشْبِعَ آمَالَنَا
فَهَلْ تَتَخَلَّى عَنْكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ ؟
إِنْ ابْتَسَامَتِكَ الَّتِي يُعْتَمُّهَا الْأَلَمُ
عَذْبَةٌ فِي عَيْنَيَّ
وَحُبُّكَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِنْتِهَاءَ
حَبِيبُ إِلَى قَلْبِي .
مَنْ نَهْدَكَ
أَعْطَيْتَنَا غِذَاءَ الْحَيَاةِ
لَا غِذَاءَ الْخُلُودِ
وَلِهَذَا كَانَتْ عَيْنَاكَ دَائِمًا سَاهِرَتَيْنِ .
مُنْذُ أَحْقَابٍ
وَأَنْتِ تَعْمَلِينَ بِالْأَلْوَانِ وَالْأَغَانِي

ومع ذلك فإن سَمَاءَكَ لم تَبْنِ سِوَى وَهْمِكَ الْحَزِينِ
 وفوقَ اِبْدَاعَاتِكَ مِنَ الْجَمَالِ
 ضَبَّابٌ مِنَ الدُّمُوعِ
 سَأَسْكُبُ أَغَانِيَّ
 فِي قَلْبِكَ الصَّامِتِ
 وَحُبِّي فِي حُبِّكَ
 وسأَعْبُدُكَ بِالْعَمَلِ
 وَأُحِبُّ تُرَابَكَ الْمُؤَلَّمِ
 يَا أُمِّي الْأَرْضِ

74

فِي قَاعَةِ الْاِسْتِقْبَالَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ
 كَانَتْ وَرَقَةُ الْعُشْبِ الْبَسِيطَةِ
 تَجْلِسُ هِيَ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَنُجُومٌ مَنَاصِفُ اللَّيْلِ
 عَلَى بِسَاطٍ وَاحِدٍ

وكذلك أغانِيَّ جَاءَتْ لِشَارِكِهَا هَذَا الْمَكَانَ
 مِنْ قَلْبِ الْعَالَمِ
 مع مُوسِيقَى السُّحُبِ وَالْغَابَاتِ
 ولكن أَنْتَ، أَيُّهَا الرَّجُلُ الْغَنِيُّ الْقَادِرُ
 ليس لِثَرَوَتِكَ دَوْرٌ
 فِي هَذِهِ الْعَظَمَةِ الْبَسِيطَةِ لِذَهَبِ الشَّمْسِ الْبَهِيْجِ
 وَانْعِكَاسِ الْقَمَرِ اللَّطِيفِ
 إِنْ بَرَكَتِ السَّمَاءُ
 الَّتِي تُعَانِقُ كُلَّ شَيْءٍ
 لَمْ تُسَكَبْ فَوْقَ هَذِهِ الثَّرْوَةِ .
 وَحِينَ يَظْهَرُ الْمَوْتُ
 فَإِنَّهَا سَتُصَابُ بِالشُّحُوبِ وَالذُّبُولِ
 وَتَتَفَتَّتْ إِلَى عُبَارٍ

75

فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

أعلنَ الراغبُ في التَّسْكُ :
هَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَنْبَغِي فِيهِ
أَنْ أَغَادِرَ بَيْتِي بَحْثًا عَنِ اللَّهِ .
آه ، من الذي شَدَّنِي طَوِيلًا
إِلَى هَذَا الْوَهْمِ ؟
فَهَمَسَ اللَّهُ : (أَنَا)
وَلَكِنْ أَذْنِي الرَّجُلِ كَانَتْ مَسْدُودَتَيْنِ
وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تَنَامُ فِي هُدُوءٍ عَلَى جَانِبِ السَّرِيرِ
وَكَانَ ابْنُهَا الصَّغِيرُ نَائِمًا فِي حِضْنِهَا
وَهَمَسَ الصَّوْتُ :
إِنَّهُمَا اللَّهُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ
وَبَكَى الطِّفْلُ فِي نَوْمِهِ
وَتَشَبَّثَ بِحِضْنِ أُمِّهِ
فَأَمَرَ اللَّهُ :

تَوَقَّفْ أَيُّهَا الْغَيْبُ
لَا تَتَخَلَّ عَنْ بَيْتِكَ
فَلَمْ يَسْمَعْ
فَقَالَ اللَّهُ فِي حُزْنٍ
لِمَاذَا يَتَخَلَّى عَنِّي عَبْدِي
لِكَيْ يَبْحَثَ عَنِّي؟

(76)

كَانَ هُنَاكَ مَعْرِضٌ أَمَامَ الْمَعْبَدِ
وَكَانَتِ السَّمَاءُ قَدْ أَمْطَرَتْ عِنْدَ الْفَجْرِ
وَالنَّهَارُ يُوشِكُ عَلَى الْانْتِهَاءِ
وَكَانَ أَجْمَلٌ مِنْ بَهْجَةِ الْجُمُوعِ الْمُحْتَشِدَةِ
تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةُ الْهَادِئَةُ
الَّتِي ارْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْ صَبِيَّةٍ
اشْتَرَتْ بِفُلْسٍ وَاحِدٍ

صَفَّارَةٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ
وَتِلْكَ الْبَهْجَةُ الْحَادَّةُ الَّتِي تَنْشُرُهَا الصَّفَّارَةُ
كَانَتْ تُغَطِّي عَلَى الضَّجِيجِ وَالضَّحَكَاتِ .
الشَّارِعُ كَانَ مُوَحِّلاً
وَالنَّهْرُ كَانَ فَائِضاً
وَالْحُقُولُ مَغْمُورَةٌ بِمِيَاهِ الْمَطَرِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ
وَأَقْوَى مِنْ آلامِ الْجُمُوعِ الْمُحْتَشِدَةِ
كَانَ أَلَمْ صَبِيٍّ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ فِلْساً
لِكَيْ يَشْتَرِيَ عَصَاً مَلُونَةً
وَعَيْنَاهُ الْمَغْمُومَتَانِ تُحَدِّقَانِ فِي عَرَبَةِ الْبَايِعِ
وَتَجْعَلَانِ مِنْ حُشُودِ الْبَشَرِ
شَيْئاً تَافِهاً

جَاءَا مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ
 كَمَا يَحْفُرَانِ لِصَنْعِ الْأَجْرِ
 اللَّازِمِ لِلتُّورِ
 وَطِفْلَتُهُمَا الصَّغِيرَةُ تَذْهَبُ إِلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ
 وَلَا تَنْتَهِي أَبَدًا مِنْ غَسْلِ وَتَلْمِيعِ الْقُدُورِ وَالْأُوعِيَةِ
 وَأُخُوهَا
 بِرَأْسِهِ الْأَسْمَرَ الْحَلِيقِ
 كَانَ يَتَّبَعُهَا عَارِيًّا، مُعْطًى بِالْوَحْلِ
 وَيَنْتَظِرُهَا بِصَبْرِ عَلَى الضِفَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ النَّهْرِ
 وَتَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ بِجَرَّتِهَا الْمَلَايَ فَوْقَ رَأْسِهَا
 وَالْوِعَاءُ النُّحَاسِي يَلْمَعُ بِيَدِهَا الْيُسْرَى
 أَمَا يَدُهَا الْيُمْنَى فَتُمْسِكُ بِالطُّفْلِ
 إِنَّهَا الْخَادِمَةُ الصَّغِيرَةُ لِأُمِّهَا الَّتِي تَنْوُ
 بِثَقْلِ الْأَعْمَالِ الْمَنْزِلِيَّةِ
 فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ

رَأَيْتُ هَذَا الطُّفْلَ الْعَارِي جَالِساً
 وَرِجْلَيْهِ مَمْدُودَتَيْنِ
 وَأَخْتَهُ تَجْلِسُ قُرْبَ الْمَاءِ
 تَلْمَعُ وَعَاءٌ لِلشُّرْبِ بِحَفْنَةٍ مِنَ التُّرَابِ
 تُدِيرُهُ ثُمَّ تُدِيرُهُ
 وَبِالقَرَبِ مِنْهَا خُرُوفٌ نَاعِمٌ الصُّوفِ
 يَرْعَى عَلَى طُولِ الضِّفَّةِ
 ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنَ الطُّفْلِ الْجَالِسِ
 وَفَجْأَةً ثَغَا ثَغَاءً قَوِيّاً
 فَهَبَّ الطُّفْلُ صَارِخاً فِرْعاً
 وَتَوَقَّفَتْ الْأَخْتُ عَنْ تَنْظِيفِ الْوَعَاءِ
 وَهُرَعَتْ إِلَيْهِ
 وَأَخَذَتْ أَخَاهَا بِذِرَاعٍ
 وَالْخُرُوفَ الصَّغِيرَ بِذِرَاعٍ أُخْرَى
 وَقَسَمَتْ مُلَاطَفَتَهَا بَيْنَهُمَا

فَرَبَطْتُ بِرَبَاطٍ عَاطِفِيٍّ
بَيْنَ ذُرِّيَةِ الْبَهَائِمِ وَالْبَشَرِ

(78)

كَأَنَّ ذَلِكَ فِي شَهْرِ مَائُو
وَالظُّهَيْرَةِ الْخَائِنَةِ تَبْدُو طَوِيلَةً
لَا نِهَآيَةَ لَهَا
وَالْأَرْضُ الْقَاحِلَةُ
ظَامِيَةٌ تَتَشَقَّقُ مِنَ الْحَرِّ الشَّدِيدِ
وَمِنْ ضَيْفَةِ النَّهْرِ
سَمِعْتُ صَوْتًا يَدْعُونِي
(تَعَالِ يَا كَنْزِي)
فَطَوَيْتُ كِتَابِي
وَفَتَحْتُ النَّافِذَةَ كَيْ أَرَى
فَرَأَيْتُ جَامُوسًا ضَخْمًا، مُغَطًى بِالْوَحْلِ.

يَقِفُ قُرْبَ النَّهْرِ
 بِعَيْنَيْنِ هَادِئَتَيْنِ مُسْتَسْلِمَتَيْنِ
 وَطِفْلاً غَاطِئاً فِي الْمَاءِ حَتَّى رُكِبَتْهُ
 يَدَعُو الْجَامُوسَ لِلْإِسْتِحْمَامِ
 فَابْتَسَمْتُ طَرِباً
 وَشَعَرْتُ بِمَعْنَى مِنَ الْعُدُوبَةِ
 دَاخِلَ قَلْبِي

79

غَالِيًا مَا أَسْأَلُ
 أَيْنَ تَخْتَفِي حُدُودَ الْمَعْرِفَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ
 الَّذِي لَا يَمْلِكُ قَلْبُهُ مَوْهَبَةَ الْكَلِمَةِ؟
 فِي أَيِّ فِرْدَوْسٍ غَائِبٍ
 وَفِي أَيِّ صَبَاحٍ سَالَفٍ مِنْ أَيَّامِ الْخُلُقِ
 يَجْرِي الدَّرْبُ الْبَسِيطُ الَّذِي يُوَحِّدُ قَلْبَيْهِمَا؟

إِنَّ آثَارَ أَقْدَامِهِمَا لَمْ تُمَحَّ بَعْدُ
 رَغْمَ أَنَّ الْقَرَابَةَ بَيْنَهُمَا قَدْ نُسِيَتْ مُنْذُ عَهْدِ سَحِيقِ
 وَفَجَاءَ تَسْتَقِيقُ الذَّاكِرَةِ الْغَامِضَةِ .
 عَلَى مُوسِقَى بِلَا كَلِمَاتِ
 وَيَنْظُرُ الْحَيَوَانُ فِي وَجْهِ الْإِنْسَانِ
 بِثِقَةٍ رَقِيقَةٍ
 وَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ فِي عَيْنِي الْحَيَوَانِ
 بِعَاطِفَةِ طُرُوبِ
 حَتَّى لَيَبْدُو تَقْرِيباً أَنَّ الصَّدِيقَيْنِ يَتَلَاقِيَانِ مُقْنَعَيْنِ
 وَعَبْرَ هَذَا التَّنَكُّرِ
 يَتَعَارَفَانِ
 وَلَكِنْ بِغُمُوضٍ .

80

أَيُّهَا الْمَرْأَةُ الرَّشِيقَةُ

بِنَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عَيْنِكَ
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تَسْلُبِي كُلَّ ثَرَوَةِ الْأَغْنِيَاتِ
 الَّتِي تَعْرِفُهَا قِيَارَةُ الشُّعْرَاءِ
 وَلَكِنَّكَ لَا تُصْغِينَ إِلَى مَدَائِحِهِمْ
 وَلِهَذَا أَعْبُدُكَ .
 إِنْ كَمَالَ ذِرَاعُكَ
 يُضِيفُ مَجْدًا إِلَى أُبْهَةِ أَيِّ مَلِكٍ
 بِمُدَاعِيَّتِهِمَا
 وَلَكِنَّكَ تَسْتَعْمِلِينَ هَاتَيْنِ الذَّرَاعَيْنِ
 لِكَنْسِ الْغُبَارِ وَتَنْظِيفِ بَيْتِكَ الْمُتَوَاضِعِ
 وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ
 أَرَانِي أَمْتَلَىءُ بِاللَّهْشَةِ

لِمَاذَا تَهْمِسُ بِخُفْوَةٍ فِي أُذُنِي

أَيُّهَا الْمَوْتُ
يَا مَوْتِي
عندما تَذُبُّلُ الزُّهُورِ فِي الْمَسَاءِ
وَتَعُودُ الْبَهَائِمُ إِلَى حَظَائِرِهَا
فَإِنَّكَ تَأْتِي بِخَفَاءٍ
إِلَى جَانِبِي
وَتَهْمِسُ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ
أَبْهَذِ الطَّرِيقَةَ تَنْوِي الْقَبْضَ عَلَيَّ،
بِالْهَمْسِ الْمُخْذِرِ النَّاعِسِ وَالْقُبُلَاتِ الْبَارِدَةِ؟
أَيُّهَا الْمَوْتُ . . يَا مَوْتِي
أَلَا تَكُونُ هُنَاكَ احْتِفَالَاتٌ فَخْمَةٌ مُهَيَّبَةٌ
تَحْتَفِي بِزَفَافِنَا؟
أَلَا تَضُمُّ شَعْرَكَ الْأَسْمَرَ الْمَضْفُورَ
بِقِلَادَةٍ مِنَ الزُّهُورِ؟
أَلَا يُوجَدُ أَحَدٌ يَحْمِلُ شِعَارَكَ

وَيَتَقَدَّمُ بِهِ أَمَامَ مُوَكِّبِكَ؟
 وَاللَّيْلُ أَلَا يَلْتَهِبُ بُنُورَ الْمَشَاعِلِ الْأَحْمَرِ؟
 أَيُّهَا الْمَوْتُ . . يَا مُوتِي
 تَعَالَ عَلَى رَيْنِ مَحَارِكِ
 تَعَالَ فِي لَيْلِ الْأَرْقِ
 وَلْتَكْسِنِي بِطَيْلَسَانِكَ الْقُرْمُزِي
 وَلْتُمْسِكْ بِيَدِي ، وَلْتَاخُذْنِي
 إِنْ عَرَبَتِكَ جَاهِزَةٌ أَمَامَ بَابِي
 بِالْخُبُولِ الَّتِي تَصْهَلُ بِصَبْرِ نَافِذِ
 وَانْظُرْ إِلَيَّ وَجْهِي فِي كِبْرِيَاءِ
 أَيُّهَا الْمَوْتُ . . يَا مُوتِي

(82)

أَنَا وَعَرُوسِي
 سَتَلْعَبُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ

لُعْبَةَ الْمَوْتِ .
الَّيْلَةُ حَالِكَةُ السَّوَادِ .
وَسُحُبُ السَّمَاءِ تَبْدُو رَعْنَاءَ
وَأَمْوَاجُ الْبَحْرِ هَائِجَةٌ .
لَقَدْ تَرَكْنَا سَرِيرَ أَحْلَامِنَا
وَفَتَحْنَا الْأَبْوَابَ عَلَى مِصْرَاعِهَا
وَخَرَجْنَا
أَنَا وَعُرُوسِي
وَجَلَسْنَا فَوْقَ الْأَرْجُوحَةِ
تَذْفَعُنَا الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ .
وَكَانَتْ عُرُوسِي
تَتَحَرَّكُ فِي مَرَحٍ يُمَارِجُهُ الْخَوْفُ
وَتَلْتَصِقُ بِصَدْرِي .
وَلَقَدْ عَمِلْتُ مِنْ أَجْلِهَا طَوِيلًا
وَبِلُطْفٍ وَرِقَّةٍ .

فَمِنْ أَجْلِهَا صَنَعْتُ سَرِيرًا مِنَ الزُّهُورِ
 وَمِنْ أَجْلِهَا أَغْلَقْتُ الْأَبْوَابَ حَتَّى أُبْعِدَ عَنْ عَيْنِهَا
 الضُّوءَ الْقَاسِي .
 وَقَبَّلْتُ شَفَتَيْهَا بِرُقَّةٍ وَنُعُومَةٍ
 وَهَمَسْتُ بِعَذُوبَةٍ فِي أُذُنِهَا
 حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ يُغْمَى عَلَيْهَا مِنَ الْوَهْنِ وَالْاسْتِرْحَاءِ
 لَقَدْ تَلَاشَتْ فِي أَثَرِ مِنَ الْعَذُوبَةِ الْغَامِضَةِ
 لَا حَدَّ لَهُ
 وَلَمْ تَعُدْ تُسْتَجِيبُ إِلَى مُلَاطَفَتِي
 كَمَا أَنَّ أَغَانِيَّ لَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى إِيقَاضِهَا
 وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ
 جَاءَ مِنَ الْعَاقِبِ، نِدَاءُ الْعَاصِفَةِ
 فَاسْتَيْقَظْتُ عُرُوسِي مُرْتَجِفَةً
 وَاخْذَلْتُ بِبَيْدِي وَخَرَجْتُ
 شَعْرُهَا يَتَطَايَرُ مَعَ الرِّيحِ .

وَحِمَارُهَا يُرْفَرُ
 وَقِلَادَتُهَا تُخَشِّشُ فَوْقَ صَدْرِهَا
 إِنْ دُفِعَ الْمَوْتُ أَلْقَتْ بِهَا فِي خِصَمِّ الْحَيَاةِ
 وَهِيَ نَحْنُ الْآنَ
 وَجْهًا لَوَجْهِ
 وَقَلْبًا لِقَلْبٍ
 أَنَا وَعَرُوسِي

(83)

كَانَتْ تَسْكُنُ إِلَى جَانِبِ الْهَضْبَةِ
 عِنْدَ طَرَفِ حَقْلِ الْقَمْحِ
 قُرْبَ النَّبْعِ الَّذِي يَجْرِي فِي جَدَاوِلَ ضَاكِكَةِ
 تَحْتَ الظَّلَالِ الْمَهِيْبَةِ لِلْأَشْجَارِ الْعَتِيقَةِ .
 النِّسَاءُ يَذْهَبْنَ لِمَلَأِ الْجَرَارِ
 وَالْمَارَةُ يَجْلِسُونَ لِلرَّاحَةِ وَالْحَدِيثِ

كَانَتْ تَعْمَلُ
وَتَحْلُمُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى صَدَى الْجَدُولِ الرَّقْراقِ
وَفِي إِحْدَى الْأُمْسِيَّاتِ
هَبَطَ غَرِيبٌ مِنَ الْقِمَّةِ الْمَحْجُوبَةِ بِالضَّبَابِ .
كَانَ شَعْرُهُ مَنفُوشاً مِثْلَ الْحَيَّاتِ النَّاعِسَةِ
وَسَأَلْنَاهُ مُنْذِهِشِينَ :
مَنْ أَنْتَ ؟
وَلَكِنَّهُ لَمْ يُجِِبْ
وَجَلَسَ مُتَتَحِيّاً جَانِباً مِنَ الْجَدُولِ الصَّاخِبِ .
وَيَنْظُرُ فِي صَمْتٍ إِلَى الْكُوخِ الَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ .
وَارْتَجَفَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْخَوْفِ
وَحِينَ هَبَطَ اللَّيْلُ ، عُدْنَا إِلَى دِيَارِنَا
وَنَحْنُ نَفَكِّرُ فِي الْغَدِ .
حِينَ جَاءَتِ النَّسُوءُ تَرْدُ مَاءَ النَّبْعِ
تَحْتَ ظِلَالِ أَشْجَارِ الدُّودَارِ ،

كَانَتْ أَبْوَابُ الْكُوخِ مَفْتُوحَةً
 وَلَكِنْ صَوْنُهَا لَا يَتَرَدَّدُ فِي جَوَانِبِهِ
 فَأَيْنَ غَابَ مُحْيَاَهَا الْبَاسِمُ؟
 الْجَرَّةُ الْفَارِغَةُ مُنْطَرِحَةً عَلَى الْأَرْضِ
 وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ أَيْنَ هَرَبَتْ قَبْلَ ظُهُورِ الصَّبَاحِ .
 وَرَحَلَ أَيْضًا ذَلِكَ الْغَرِيبُ
 وَفِي شَهْرِ مَايُو أَخَذَتْ الشَّمْسُ تَتَوَهَّجُ
 وَذَابَ الثَّلْجُ عَلَى الْهَضَابِ
 وَجَلَسْنَا قُرْبَ النَّبْعِ
 نَسْأَلُهُ بِأَكِينٍ
 أَيْكُونُ هُنَاكَ جَدُولٌ فِي الْبَلَدِ الَّذِي رَحَلْتَ إِلَيْهِ؟
 أَيْمَكِنُهَا أَنْ تَمْلَأَ جَرَّتَهَا وَتُطْفِئَ ظَمَأَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
 الْحَارَّةِ؟
 وَتَبَادُلْنَا فِي دَهْشَةٍ هَذَا السُّؤَالِ :
 هَلْ يُوجَدُ، بَلَدٌ آخَرَ وَرَاءَ هَذِهِ الْهَضَابِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا؟

كَانَتْ أُمْسِيَّةٌ صَيِّفِيَّةٌ
وَالنَّسِيمُ يَهْبُ مِنْ الْجَنُوبِ
وَأَنَا جَالِسٌ فِي غُرْفَتِهَا الْمَهْجُورَةِ
حَيْثَ مَا يَزَالُ الْمَصْبَاحُ مُنْطَفِئًا
حِينَ اخْتَفَتَ فَجَاءَةٌ أَمَامَ عَيْنِي
جَمِيعُ الْهَضَابِ كَمَا لَوْ كَانَتْ خِيَامًا قَدْ اقْتُلِعَتْ
أَهْذِهِ أَنْتِ تَأْتِينَ؟
كَيْفَ حَالُكِ ابْنَتُهَا الصَّيِّفِيَّةُ؟
هَلْ أَنْتِ سَعِيدَةٌ؟
أَيْنَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَجِدِي مَلَاذًا تَحْتَ هَذِهِ السَّمَاءِ الْمَكْشُوفَةِ؟
أَوَاهُ ، لَمْ يَعْذُ يُوجَدُ جَدُّوْنَا
ذَٰكَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يُطْفِئَ ظَمَأَكَ
وَأَجَابَتْ :
هُنَا السَّمَاءُ نَفْسُهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا مُتَحَرِّرَةٌ مِنَ الْهَضَابِ
الَّتِي تَصْنَعُ السُّهُولَ فِي بِلَادِكُمْ .

وَهَذَا هُوَ السَّيْلُ الدَّاْفِقُ نَفْسُهُ ،
 وَلَكِنَّهُ صَارَ نَهْرًا عَظِيمًا
 وَهَذِهِ الْأَرْضُ نَفْسُهَا
 وَلَكِنَّهَا صَارَتْ سَهْلًا رَحِيًّا
 وَقَالَتْ فِي تَنَهُدٍ :
 هُنَا يُوجَدُ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى أَنَا لَا تُوجَدُ
 ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَضْحَكُ ضِحْكَةً حَزِينَةً :
 إِنَّكُمْ جَمِيعًا فِي قَلْبِي
 وَحِينَ اسْتَقْفَلْتُ سَمِعْتُ خَرِيرَ السَّيْلِ الدَّاْفِقِ
 وَخَفِيفَ أَشْجَارِ الدُّودَارِ يَسْرِيَانِ فِي اللَّيْلِ

(84)

فَوْقَ حُقُولِ الْأَرْضِ الْخَضِرَاءِ وَالصُّفْرَاءِ
 تَمُرٌ ظِلَالُ سَحَبٍ الْخَرِيفِ
 تَتَّبَعُهَا الشَّمْسُ الَّتِي تَكْسِرُ طَوْقَ السُّحُبِ وَمُضَائِقَاتِهَا

وَالتَّحُلُّ الَّذِي نَسِيَ مَصَّ الْعَسَلِ
 كَانَ مُتَشَبِّهًا بِالنُّورِ
 وَيُدْنِيهِ مِثْلَ الْمَجَانِينِ
 وَالْبَطِّ فَوْقَ جُزْرِ النَّهْرِ
 يَمْرَحُ بِلَا مَبَرِّ
 لَا أَحَدَ يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ هَذَا الصَّبَاحِ
 أَيُّهَا الْإِخْوَةُ
 وَلَا أَحَدَ يَذْهَبُ إِلَى الْعَمَلِ
 فَلَنَقْبِضَ قَافِزِينَ عَلَى زُرْقَةِ السَّمَاءِ
 وَلَيَتَهَادَ الضَّحِكُ فِي الْجَوِّ
 مِثْلَ رَعْوَةِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ
 أَيُّهَا الْإِخْوَةُ
 فَلَنُبَدِّدْ صَبَاحَنَا
 فِي أَغْنِيَاتِ تَافِهَةٍ

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَارِيءُ
 الَّذِي سَتَقْرَأُ شِعْرِي بَعْدَ مِثَاتِ الْأَعْوَامِ
 لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ
 زَهْرَةً وَاحِدَةً مِنْ ثُرُوءِ هَذَا الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ
 وَلَا خَيْطًا ذَهَبِيًّا
 مُنْسَابًا مِنَ السُّحُبِ الْبَعِيدَةِ .
 افْتَحِ الْأَبْوَابَ
 وَاَنْظُرْ حَوْلَكَ
 وَمِنْ بُسْتَانِكَ الزَّاهِرِ
 اقْطُفِ الذُّكْرِيَّاتِ الْعَطِيرَةَ
 لِلزُّهُورِ الَّتِي ذُبُلَتْ مُنْذُ مِائَةِ عَامٍ
 وَفِي فَرْحَةٍ قَلْبِكَ
 يُمَكِّنُكَ أَنْ تُصْنَعِيَ إِلَى الْبَهْجَةِ الْحَيَّةِ

التي غَنَّتْهَا أَنَا فِي صَبَاحِ رَيْيَعِي
مُرْسِلًا صَوْتَكَ الْفَرَحَ الْبَهِيحَ
عَبْرَ مِثَاقِ الْأَغْوَامِ

حَيْثُ الْوَيْحُ الَّذِي لَا يُمْرِفُ الْغَوْفُ
 وَحَيْثُ الرَّاسُ يَرْتَفِعُ شَائِعًا حَالِيًا
 وَحَيْثُ الْمَعْرِفَةُ حُرَّةٌ
 وَالْعَالَمُ غَيْرُ مُعْرِقٍ
 دَاخِلُ الْجُنُرَانِ السَّالُوفَةُ الضَّيْقَةُ
 وَحَيْثُ تَنْتَبِهُ الْكَلِمَاتُ مِنْ أَعْمَاقِ الْحَقِيقَةِ
 وَحَيْثُ الْجَهْدُ الْمُتَوَاصِلُ يَنْمُو ذِرَاعَهُ نَحْوَ الْكَمَالِ
 وَحَيْثُ نَهْرُ الْبَلَدِ الْمَسَالِمِ
 لَا يَهْضِلُ طَرِيقَهُ فِي رِمَالٍ مَسْتَوَا
 الْمَغَازَاتِ الْبَالِيَةِ
 وَحَيْثُ تَقُودُ الْمَقْلَ إِلَى الْأَمَامِ
 نَحْوَ الْفَتْحِ وَأَحْمَالِ قُرْدَادٍ رَحَابَةٍ عَلَى التَّدَامِ
 فِي ذَلِكَ الْجَوْنِ الْمُحَرَّرِ
 اجْعَلْ بِلَدِي يَنْهَضُ
 يَا رَبِّ ...

الهوامش

لفظ الرعي : خارج طوعة المصنوع - ص. ب : 3185 طرابلس - الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
 - المؤلف : 30384 - 47287 - تلكنس : 20003 الكتاب
 هجر الرعي : 4 ، سج 7101 - المار 2 ص. ب : 1104 القابعة الأصلية 1000 تونس - الجمهورية التونسية
 - المؤلف : 236000 - 236025 - تلكنس : 14966 كتاب